موسوعة

عالم الأديان

كل الأديان . المذاهب . الفرق . البدع في العالم

15

NOBILIS

موسوعة عالم الأديان

كلّ الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

الكنيسة الأرمنيّة

مجموعة من كبار الباحثين

بإشراف

ط. ب. مفرّج

موسوعة

عالم الأديان

كلّ الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

الجزء الخامس عشر

الكنيسة الأرمنيّة

NOBILIS

جميع الحقوق محفوظة للناشر

طبعة أولى - ٢٠٠٤

طبعة ثانية - ٢٠٠٥

إسم المجموعة	:	موسوعة عالم الأديان كُلُّ الأديان والمَذاهِب والفرَق والبِدَع في العَالم
إسم الكتاب	:	الكَنيسة الأرمنيَّة
الجزء	:	الخامس عشر
المؤلّف	:	مجمُوعة من كبَار الباحِثِين بإشراف ط. ب. مفرّج
قياس الكتاب	:	٢٠ × ٢٨
مكان النّشر	:	بيروت
دار النّشر والتّوزيع	:	NOBILIS
تلفاكس	:	٩٦١ - ١ - ٥٨١١٢١
	:	٩٦١ - ٣ - ٥٨١١٢١

يُمنع نسخ أو اقتباس أيّ جزء من هذه المجموعة أو خزنه في نظام معلومات إسترجاعيّ أونقله بأيّ شكل أوّ أيّ وسيلة إلكترونيّة أو ميكانيكيّة أو بالنسخ الفوتوغرافي أو التسجيل أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على إذن خطّيّ مسبق من الناشر.

المحتَويَات

الفَصلُ الأوّل

الجُذورُ الأرمَنيَّة

الفَصلُ الثانَي

إستِقلاَل الكَنِيسَة الأرمَنِيَّة

الفَصْلُ الثَّالث

الكَنِيسَة الأرمَنيّة والعُهُود الإسلاميَّة

الفَصْلُ الرَّابع

في ظلِّ الحُكم العُثمَانيّ ومَذَابِحِه

الفَصْلُ الخَامِس

الحَرَكَة الوَطَنيَّة الأرمَنيَّة وتجَدُّد الاضطِّهَادَات

الفَصْلُ السَّادِس

جُمهُوريَّة أرمينيَة وأرمنُ الشّتَات

الفَصْلُ السَّابِع

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الكاثُوليكيَّة

الفَصْلُ الأوّل

الجُذورُ الأرمَنيّة

الكَنيسَة الأرمنيّة الرَسُوليّة؛ أرمينية القَديمة؛

اللغةُ والأصُول؛ الدّولة الأرمنيّة؛ المَسيحيّة في أرمينيّة؛

كريكور المنوّر؛ خلفاء كريكور الأقربون؛ نَرسيس الكبير

القدّيس وارطان ورفاقه.

الكَنيسَة الأرمنيَّة الرَسُوليَّة

يندر وجود كنيسة في العالم مثل الكنيسة الأرمنيّة لجهة ما يتميّز به الشعب الأرمنيّ من ترابط قوميّ، ومن ارتباط بالأرض والشعب والدين عبر العصور، رغم ما تعرّض له الأرمن من قساوة الأحداث عبر تاريخهم المديد. فرغم تشتّت الأرمن في بقاع الأرض على امتداد حقبات التاريخ، ورغم ما تعرّضوا له من اضطهاد حتّى غدت كنيستهم "كنيسة الشهداء"، فهم لا يزالون مميّزين بطابع وطنيّ قوميّ ولغويّ ودينيّ منقطع النظير عند الشعوب المسيحيّة في العالم قاطبة: فكلّ أرمنيّ مسيحيّ حيثما وُجد، وما من أرمنيّ لا يتكلّم الأرمنيّة إلاّ في ما ندر. ويقول أسقف أرمنيّ معاصر:

> إنّ الأرمنيّ الذي لا ينتمي إلى المسيحيّة لا يُعدّ أرمنيًا. إيماننا وهويّتنا الوطنيّة ينبعان من مصدر واحد.

الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة، هو الإسم الرسميّ للكنيسة الأرمنيّة التي تُعتبر كنيسة مستقلّة[1]، ويُطلق عليها عادة إسم الكنيسة الأرمنيّة الغريغوريّة، نسبة إلى

---

١ ـ ذكر باحثون كنسيّون (يتيم المطران ميشال وديك الأرشمندريت اغناطيوس، تاريخ الكنيسة الشرقيّة منشورات المكتبة البولسيّة، ط٣، (بيروت،١٩٩١) ص١١٨ ـ ١١٩) أنّ الكنيسة الأرمنيّة قد اعتنقت المونوفيزيّة قبل نهاية القرن الخامس، واستقلّت عن الكنيستين البيزنطيّة واللاتينيّة. وقد تمكّن الأرمن تبعًا لهذه الاستقلاليّة الدينيّة، من المحافظة على استقلال متقطّع عن الأمبراطوريّة البيزنطيّة.

القدّيس غريغوريوس المنوّر [1] الذي أسّس هذه الكنيسة في القرن الثالث، ولكنّ الكنيسة الأرمنيّة الأرثذوكسيّة ترفض أن تُلقَّب بالكنيسة "الغريغوريّة"، كما جاء في الميثاق الروسيّ POLOJINIE، وتصرّ على أنها أُسّست على أيدي الرسولَين تدّاوس* وبرتلماوس* كما سيجيء. وتشير إلى أنّ كلمة "غريغوريّة" قد تؤكّد على الالتباس مع "الغريغوريّة" البابويّة الرومانيّة، كما هو الحال في كلمة التقويم "الغريغوري". إلاّ أنّها بالإضافة إلى اسمها الرسميّ: "الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة"، قد قبلت في مطلع القرن العشرين بأن تُعرف، في الأوساط المدنيّة والمسكونيّة، باسم "الكنيسة الأرمنيّة الأرثذوكسيّة". والكنيسة الأرمنيّة هي في الواقع اليوم كنيستان: الكنيسة الأرثذوكسيّة التي رفضت الاعتراف بمقرّرات المجمع الخلقيدونيّ [2] سنة ٤٥١ ومالت إلى المونوفيزيّة ثمّ أصبحت كنيسة وطنيّة في القرن السادس، وهي الكنيسة الأرمنيّة الأساسيّة وتشكّل القسم الأكبر من الأرمن في العالم، والكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة، وهي حديثة نسبيًّا إذ نشأت سنة ١٧٤٠، وتتبع لكنيسة روما. وفي الكنيستَين تجري الطقوس باللغة الأرمنيّة الكلاسيكيّة.

للكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة المعروفة بالأرثذوكسيّة سيادة واستقلال، ولها طقوسها وتقاليدها الخاصّة، ولكنّها تعتبر نفسها فرعًا من فروع الكنيسة الجامعة المؤسّسة على السيّد المسيح وتعاليمه السماويّة. كان المقرّ الرئيسيّ للكنيسة الأرمنيّة في البداية، في "أتشميادزين [3]"، ولكن في ما بعد، ونظرًا للظروف السياسيّة والأمنيّة، نُقل هذا المقرّ إلى "دوفين" حيث عاصمة الدولة، ومنها إلى "أني" و"تزوفك" و"هرومكلا" و"سيس"

---

١ ـ **القدّيس غريغوريوس المنوّر** (ت حوالى ٣٣٢): رسول أرمينية وأول أسقف عليها، سيأتي التعريف به لاحقًا.

٢ ـ راجع الجزء الثامن من هذه الموسوعة.

٣ ـ **أتشميادزين**: تعني بالأرمنيّة "المكان الذي نزل فيه الوحيد أي المسيح"، راجع شرحًا أوفى عنها أدناه.

عاصمة الدولة الروبينيّة الأرمنيّة آنذاك. وبقي الكرسيّ الكاثوليكوسيّ في سيس حتّى عام ١٤٤١ حيث تمّ انتخاب كاثوليكوس جديد في أرمينية. أمّا الكاثوليكوس كريكور موسابيكيان فبقي في سيس، وقد سُمّي هذا الكرسيّ في ما بعد باسم "كاثوليكوسيّة الأرمن لبيت كيليكيا"، وهكذا بدأ وجود كاثوليكوسَين في الكنيسة الأرمنيّة، لكلّ واحد منهما استقلاليّته الذاتيّة.

أرمينيَة القَديمَة

إنّ العلماء المعاصرين، إستنادًا إلى الحفريّات وإلى الاستكشافات الحديثة من تلك الحفريّات التي أجروها في مناطق أرمينية التاريخيّة، أي في الولايات الأرمنيّة المغتصَبَة وفي أرمينية السوفياتيّة، باتوا الآن يعتقدون أنّ أرمينية التاريخيّة كانت واحدة من مراكز الحضارات الأولى التي تطوّرت من خلالها الحياة الإنسانيّة نفسها. أي أنّ أرمينية هي من أهمّ المراكز الاستراتيجيّة في العالم التي انطلقت منها حضارة الإنسان البدائيّ إلى مختلف أرجاء المعمورة، ثمّ تطوّرت إلى الشكل الذي نعرفه اليوم. ذلك يعني أنّ الإنسان البدائيّ الأوّل ظهر أيضًا في أرمينية التاريخيّة، وذلك خلال العصر الحجريّ القديم الأوّل، وبالتحديد في الحقبة المسمّاة بالحقبة الشيليّة CHELLEAU الممتدّة ما بين مليون وحتّى نصف مليون سنة قبل الميلاد، بدءًا بإنسان النياندرتال NEANDERTHAL حتّى إنسان الكرو – مانيون CHRO - MAGNON . علمًا بأنّ الإنسان الحديث، أي الإنسان العاقل، ظهر منذ حوالي اثنَي عشر ألف عام فقط. واستمرّ هذا التطوّر دون انقطاع إلى أن وصل إلى العهد المجدولينيّ MAGDALENEAU الذي يمتدّ حتّى الميلاد. وقد عُثر على مخلّفات إنسان النياندرتال وأدوات حجريّة عاديّة وبلّوريّة بركانيّة في كهوف حول نهرَي "أخوريان" و"هرازتان"، وكذلك في هضاب جبال

"آرتي"، و"آراكادز"، و"بنغول"، و"آرارات"، أي في كافّة أنحاء أرمينيـة التاريخيّـة التـي سُمّيت أيضًا ببلاد أورارتو URARDU ونايري NAÎRI وآرارات وبلاد هاياسا HAYASSA.[1]

خلاصة القول: إنّ الموقع الجغرافيّ لأرمينية التاريخيّـة فـي آسيا الصغرى، كـان من المراكز المعدودة في تاريخ الإنسانيّة، حيث ظهر الإنسان البدائيّ الأوّل وبدأ يصنع الحضـارة الإنسـانيّة. أمّا مـن الناحيـة العرقيّـة، فـإنّ علمـاء السـلالات البشـريّة قـاموا بتصنيف الأرمن، كشعب، ضمن المجموعات الهندو ـ أوروبيّـة لانتمـائهم إلـى العـرق الآريّ، واستندوا في ذلك إلى الدراسات المفصّلة والدقيقة في تاريخ الشـعب الأرمنـيّ. كما استندوا إلى التحليلات الفيزيولوجيّة والفيزيونوميّة وحتّى التحليلات النفسانيّة[2].

اللغـــــة والأصُول

بحسب التصنيف الذي جاء في كتاب موفيس خوريـن "تـاريخ الأرمـن"، أنّ الدولـة الأوراتيّة هي المملكة الأرمنيّة السادسة التي انحـدرت مـن أبـي الأرمـن هـاييك. ورأي هذا المؤرّخ الذي عاش في القرن الخامس ميلاديّ، كان يتوافق مع الـرأي السـائد عنـد الأرمن حتّى ذلك التاريخ، بل كان يعبّر عن القناعـة الراسـخة لـدى الأرمـن بـأنّهم مـن السكّان الأصليّين للأراضـي الجبليّة الأرمنيّة. ومن الأساطير القديمة مثلاً هناك التصـوّر التاريخيّ التالي:

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الأرمن شعب وقضيّة (المختارة ـ لبنان،١٩٨٨) ص ١٣ ـ ١٤.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ١٤.

بعد الفيضان، نزل نوح من سطح جبل آرارات إلى هضبة الجبل وغرس شتلة العنب الأولى... ومن المعروف أنّ هناك ٣٦ صنفًا من العنب في أرمينية وعشرات الأغاني الشعبيّة عن العنب والنبيذ. وكان هاييك، أبو الأرمن، ابن طوركوم الذي كان من الجيل الرابع لنوح"[١].

المعطيات التي أصبحت اليوم متوفّرة في الأنتروبولوجيا والأدب القديم واللغة والثقافة العامّة، تدلّ بوضوح على أنّ الأرمن هم السكّان الأصليّون القدماء لأراضيهم الجبليّة، وأنّهم احتكّوا مع أقدم الشعوب في المنطقة مثل الشومريّين والبابليّين والأشوريّين. ويؤكّد العلماء على أنّ الشعوب التي تعايشت مع الأرمن في منطقة آسيا الصغرى، هي متشابهة، من حيث أكثريّة المعطيات التي ذُكرت. ولعلّ اللغة هي الخاصيّة الوحيدة للشعب الأرمنيّ الذي تميّزه بصورة مطلقة عن الآخرين. فبدون اللغة الأرمنيّة لا وجود للشعب الأرمنيّ. وبالتالي إنّ الفرق الرئيسيّ المميّز بين الأرمن والشعوب الأشوريّة والبابليّة واليونانيّة والخيتيّة والكرجيّة كان يكمن في اللغات المميّزة التي تكلّمت بها هذه الشعوب. ومن أجل تحديد المنطقة التي نشأ فيها الشعب الأرمنيّ يجب قبل كلّ شيء تحديد المنطقة التي نشأت فيها اللغة الأرمنيّة والزمن الذي نشأت فيه[٢].

ذكر باحثون[٣] أنّ المملكة الأرمنيّة الأولى أسّسها أبو الأرمن "هاييك" في سنة ٢١٠٧ ق.م.، وسُمّيت تلك المملكة بالدولة الهايكانيّة أو الدولة الهايكازنيّة، أو دولة بني

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضية، مرجع سابق، ص ١٦.

٢ ـ زهر الدين، مرجع سابق، الأرمن شعب وقضيّة، ص ١٦ ـ ١٧.

٣ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص١٥، نقلاً عن المحامي كاسبار دردريان، رئيس رابطة الخرّيجين الجامعيّين الأرمن في لبنان، استنادًا إلى كتاب "الأرمن عبر التاريخ" لأبي التاريخ الأرمنيّ موفيس خورين MOÏSE DE KHORÈNE.

هايك. أمّا بلاد بني هاييك، فسُمّيت: هايستان[1]، ووضع هاييك الأسس الأوليّة للمجتمع الأرمنيّ آخذًا بالقوانين البابليّة المعروفة بتشريعات حمورابي. أمّا اسم "أرمن" و"أرمينية" فيُنسب إلى "أرمين" بن "هايك" كما جاء في التقاليد الشعبيّة الأرمنيّة.

على العموم، عُرفت منذ القرن السادس ق.م. أمّة تتكلّم بالأرمنيّة، وتسكن نواحي أرارات الجبليّة. وقد تغيّرت حدود أرمينية الجغرافيّة عبر العصور، وكانت قبل دخول المسيحيّة إليها تمتدّ بين ينابيع الفرات غربًا وبحر قزوين شرقًا. فالسلسة الجبليّة الأرمنيّة، التي تبدو، لأوّل وهلة، منيعة وحصينة، تخترقها في الواقع وديان ومعابر وثغور، ما يجعلها عرضة للتقسيم الجغرافيّ الطبيعيّ. وهذا التقسيم ساعد في خلق جماعات إقطاعيّة عشائريّة كان من الصعب توحيدها تحت سلطة واحدة. والشعب الأرمنيّ ذو العرق الهندو ـ أوروبّي[2]، استوطن أوّلاً بلاد أرمينية حول بحيرة "فان[3]".

وقد ذكرت دراسات أنّه من الثابت أنّ تشكُّل الأمّة الأرمنيّة، بمعناه الحديث، قد بدأ في القرن الثامن قبل الميلاد، أي منذ اللحظة التي استقرّ فيها الأرمن في الأراضي المحصورة بين نهر هاليس ونهرَي دجلة والفرات، وهي المنطقة التي كانت في ذلك الوقت تتضمّن المقاطعة الشرقيّة من الأمبراطوريّة الحثّيّة المعروفة أيضًا باسم

---

١ ـ **هايستان**: أصلها: هاي ـ ستان، لختصارًا لـ"هاييك ـ ستان" مثل أفغان ـ ستان أو عرب ـ ستان أو كرد ـ ستان أو هند ـ ستان.

٢ ـ يرى باحثون أنّ الأرمن ينتمون إلى العرق الآريّ، وأنّهم مزيج من شعوب البلقان وجبال الألب الذين نزحوا شرقًا واختلطوا بشعب القوقاز، ليكوّنوا أمّة واحدة، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد.

٣ ـ **فان** VAN: مدينة في جنوب تركيا،بالقرب من الشاطئ الشرقيّ لبحيرة شهيرة تحمل اسمها وهي البحيرة المالحة الأكبر في تركيا، كانت لفان المدينة شهرة تجاريّة، أدمجت في الأمبراطوريّة العثمانيّة ١٥٤٣، استولى عليها الروس ١٩١٨ ثمّ استعادها الأتراك.

هاياسا[1]. وفي القرن الثامن إذن، قبل الميلاد، أي منذ حوالي ٢٧٠٠ سنة، بدأ الأرمن بالتمازج تدريجًا مع السكّان الحثّيين وتمكّنوا من السيطرة عليهم بمدّة زمنيّة قصيرة جدًّا بفضل لغتهم المستقلّة في مجموعة الهندو - أوروبيّة، واحتفظوا بنقاوتهم الأصليّة، قوميًّا ولغويًّا[2]. واللغة الأرمنيّة هي من العائلة اللغويّة الهندو - أوروبيّة، وتدخل في هذه العائلة: الهنديّة، الفارسيّة، اليونانيّة، الألبانيّة، الألمانيّة، السلافيّة، الرومانيّة... وقد أثبت العلماء أنّ بعض الكلمات الساميّة قد دخلت في اللغة الهندو - أوروبيّة الأمّ، وذلك منذ آلاف السنين، ما يعني أنّ الشعب الساميّ والشعب الهندو - أوروبيّ كانا، منذ القديم، يعيشان متجاورَين... ومعلومٌ أنّ الشعب الساميّ القديم قد عاش على الأراضي الواقعة جنوب الأراضي الأرمنيّة. يُستنتج من ذلك أنّ الشعب الهندو - أوروبيّ القديم كان يعيش في شمال هذا الخطّ، أي في آسيا الصغرى وفي الأراضي الجبليّة الأرمنيّة بالتحديد. إذ إنّ العلماء أشاروا إلى أنّ هناك بعض الكلمات في اللغة الهندو - أوروبيّة ذاتها تشير بمعناها إلى جبال ونباتات وحيوانات كانت موجودة في آسيا الصغرى والأراضي الأرمنيّة. وقد حدّد علماء اللغات الزمن الذي جرى فيه تفرّع اللغة الهندو - أوروبيّة إلى لغات شقيقة، وبالتالي تشعّب ذلك الشعب القديم، بالألف الرابع قبل الميلاد، أي منذ ستّة آلاف سنة. ولاحظ العلماء أنّ هذا الإنقسام أنتج ثلاث مجموعات

---

١ - في أواخر القرن التاسع عشر ذهب بعض العلماء إلى القول بأنّ الأرمن أتوا من آسيا الوسطى إلى الأراضي الجبليّة الأرمنيّة، ثمّ توجّهوا غربًا إلى البلدان البلقانيّة في أوروبا، وبعد زمن عادوا مع الفرثيين إلى آسيا الصغرى واستقرّوا في أرمينية. أمّا اليوم، حيث توجد معطيات علميّة ثابتة نتيجة الاكتشافات الأثريّة العديدة، يؤكّد العلماء على أنّ الإنسان القديم الذي عاش في الألف الخامس ق.م. في الأراضي الجبليّة الأرمنيّة هو نفس النوع الذي تطوّر منه الجنس الأرمنيّ إلى اليوم. وهذا ما أثبتته دراسة الجماجم البشريّة القديمة التي عثر عليها في الأراضي الأرمنيّة، والتي تتشابه في أشكالها مع جماجم الأرمن اليوم.

٢ - زهر الدين د. صالح ، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ١٧ - ١٨، نقلاً عن: TER MINASSIAN ANAHIDE , *LA QUESTION ARMÈIENNE*, ED: PARENTHÈSES, COL. ARMÉNIES (FRANCE, 1983) PP. 11 - 23.

بشريّة لغويّة مستقلّة هي: اليونانيّين والأرمن والإيرانيّين. فاليونانيّون توجّهوا نحو الغرب والجنوب؛ والأرمن عاشوا في المناطق المركزيّة من آسيا الصغرى؛ والإيرانيّون توجّهوا نحو الشرق والجنوب[1].

ويؤكّد دخول كلمات شومريّة وأشوريّة وبابليّة وعربيّة وفارسيّة ويونانيّة في اللغة الأرمنيّة على الإحتكاك الذي كان حاصلاً في ما بين هذه الشعوب وحضاراتهم وثقافاتهم، وعلى التبادل الحضاريّ في ما بينهم. وهناك كلمات من اللغات الشومريّة والأشوريّة والبابليّة التي أصبحت لغات ميتة، لكنّ كلماتها لا تزال تعيش في اللغة الأرمنيّة وتشكّل جزءاً من عناصر الثروة الثقافيّة للشعب الأرمنيّ. وهناك كلمات فارسيّة في اللغة الأرمنيّة بطُل استعمالها في الفارسيّة، وكلّما أراد الإيرانيّون العودة إلى الأصول يلجأون إلى اللغة الأرمنيّة.

وهكذا يتّضح أنّ اللغة الأرمنيّة المستقلّة لم تكن منعزلة، فهي ليست فقط همزة وصل بين مختلف اللغات الهندو - أوروبيّة، بل وتستوعب أيضًا المرادفات من اللغات الساميّة القديمة والحديثة، كالشومريّة والأشوريّة والبابليّة والآراميّة والعربيّة[2]. أمّا اللغة الأرمنيّة الحديثة، فقد تطعّمت بمفردات جديدة، إذ بعد مضيّ مائة عام على دخول المسيحيّة إلى أرمينية كما سيجيء، وقبل أن تترسّخ الديانة المسيحيّة بعمق في نفوس المؤمنين، كانت الصلوات والطقوس والقراءات الإنجيليّة تُقام باللغة اليونانيّة أو السريانيّة، وذلك لعدم وجود لغة أرمينيّة مكتوبة. وكان رجال الإكليروس يكتفون بالترجمة الشفويّة إلى اللغة الأرمنيّة، ويقدّمون بعض الشروحات البسيطة للكتاب

---

١ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٢٦.

٢ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٢٧.

المقدّس. وكَثُر أيضًا عدد الكهنة غير الأرمن القادمين من قبدوقية أو الرها، ما أثّر في استقلاليّة الكنيسة الأرمنيّة، التي كانت على علاقة وثيقة مع كرسيّ القسطنطينيّة عن طريق قيصريّة قبدوقية البيزنطيّة، ومع كرسيّ أنطاكية عن طريق الرها السريانيّة. إضافة إلى أنّ بعض الأمراء الميّالين إلى الفرس عادوا إلى بعض الطقوس الوثنيّة، مثل عبادة النار، واستمالوا الكهنة الزرادشتيّين. أمام هذا المدّ الفارسيّ، الذي بدأ يشكّل خطرًا على الثقافة المسيحيّة، راح العالم العبقريّ والرجل السياسيّ الأرمني الكبير الراهب "مسروب مشدوتس" يبحث عن أبجديّة أرمنيّة خاصّة تساعد على الحفاظ على استقلاليّة كنيستهم من جهة وعلى الحفاظ على ثقافتهم القوميّة من جهة أخرى.

تبنّى هذا المشروع الكاثوليكوس "ساهاك" الذي سيصبح قدّيسًا[1]، وشجّع الراهب "مسروب" على المضيّ قدمًا في أبحاثه، فاستطاع الأخير سنة ٤٠٦ أن يضع الأبجديّة الأرمنيّة في ٣٦ حرفًا، مرتكزًا على الأبجديّتَين اليونانيّة والسريانيّة[2]. وقد تحمّس الملك "فرامشابوه" لهذا الاكتشاف فعمّمه على جميع المناطق الأرمنيّة، وبدأت حملة تدريس الأبجديّة الجديدة على أيدي تلامذة القدّيسَين ساهاك ومسروب، وانكبّوا على ترجمة الكتاب المقدّس عن النسخة "السبعينيّة" أي اليونانيّة، وتُعتبر الترجمة الأرمنيّة الرابعة بين ترجمات ما بعد السبعينيّة، بعد الـ"بيشيطا" السريانيّة، والـ"فولكانا" اللاتينيّة، والترجمة العربيّة التي وُضعت سنة ٧٢٤م. في الأندلس بفضل أسقف مدينة إشبيليا

---

١ ـ عند الأرمن، يُلقَّب **القدّيس ساهاك** "بمنوّر العقول" بنور الكتابة، كما يُلقَّب **القدّيس كريكور** "بمنوّر النفوس" بنور الإيمان، و**القدّيس نرميس** بمنوّر القلوب" بنور المحبّة والأخلاق.

٢ ـ تُكتَب الأرمنيّة من اليسار إلى اليمين. وتجدر الإشارة إلى أنّ اللغة الأرمنيّة الكلاسيكيّة في ذلك العهد كانت تسمّى الـ"كرابار" أي اللغة الأدبيّة، وهي تحاكي اللغة اللاتينيّة في قواعدها وتصريفها. وبقيت هذه اللغة متداولة حتّى القرن التاسع عشر، إذ طغت عليها لغة شعبيّة جديدة، ولكنّها لا تزال تُستخدم في الطقوس الدينيّة حتّى يومنا هذا.

المطران يوحنا[1]. وكانت اللغة الأرمنيّة، في القرن الخامس، قد لمست حدًّا مهمًّا، جعل المستشرق الإنكليزيّ "فريديريك كونيبر" يقول عن الترجمة الأرمنيّة للكتاب المقدّس: "من ناحية جمال اللغة والترجمة الدقيقة، تبقى الترجمة الأرمنيّة للكتاب المقدّس بدون منافس... إنّ للترجمة الأرمنيّة للكتاب المقدّس بالنسبة لنا نفس قيمة النصّ الأصليّ اليونانيّ". كذلك الحال بالنسبة للمستشرق الفرنسيّ "لاغروف" الذي قال: "تُعتبر الترجمة الأرمنيّة للكتاب المقدّس ملكة الترجمات أجمع... من الممكن التأكّد من صحّة ترجمة فقرات عديدة من الترجمة السبعينيّة ـ اليونانيّة ـ عن طريق الترجمة الأرمنيّة". ثمّ بدأت الترجمة للمؤلّفات الكلاسيكيّة ولروائع الأدب الرومانيّ والسريانيّ والإغريقيّ، وتُرجمت الكتب الدينيّة والفلسفيّة والأدبيّة والعلميّة والجغرافيّة منذ النصف الأوّل من القرن الخامس ميلاديّ، فبرز إذذاك مفكّرون أرمن كبار[2].

بفضل الأبجديّة الجديدة، حافظت أرمينية آنذاك على هويّتها. وإذا كانت الأمّة الأرمنيّة قد فقدت الكثير من نفوذها السياسيّ في ظروف سنأتي على ذكرها وتعدادها، فإنّها أنقذت كيانها القوميّ واستقلالها الروحيّ من جهة، وساعدت الأرمن، خلال تاريخهم المديد، على أن يحافظوا على تمايزهم حيثما انتشروا. وفي الأزمنة الحديثة، تأثّرت اللغة الأرمنيّة باللغات الأوروبيّة الحديثة أيضًا، ولكنّها بقيت العنصر الجامع بين مختلف الجاليات الأرمنيّة حيثما وُجد أفرادها. وأضحت لغة غنيّة بمصطلحاتها بسبب التفاعل مع الحضارات، وبالإمكان القول إنّ اللغة الأرمنيّة سهلة وغنيّة في الوقت نفسه، تتمتّع بالمصطلحات اللازمة للتعبير عن المعطيات العلميّة واللاهوتيّة والفلسفيّة.

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٣٠ ـ ٣٢.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٣٢.

تُقسم اللغة الأرمنيّة الحديثة إلى لهجتَين متميّزتَين ولكن متقاربتَين هما: لهجة شرقيّة تُستخدم في أرمينية والبلاد المجاورة، عُدّلت فيها قواعد الإملاء؛ ولهجة غربيّة تُستخدم في الشتات، أي بلدان الانتشار، وهي تحافظ على قواعد الإملاء الكلاسيكيّة. وثمّة لهجات محليّة تختلف باختلاف المناطق، منها لهجات: كسب وأورفا وعنجر...

الدَّولَــة الأرمنيَّة

كانت أرمينية دولة مستقلّة منذ أقدم العصور، إسمها الكلاسيكيّ أرمينية الكبرى ARMÉNIE، وهي أنجاد وجبال ذروتها جبل أررات[1] بين البحر الأسود (قزوين) وبلاد الكرج (مسيل الفرات)، وشرقًا أنجاد إيران والكرج وبلاد العجم (إيران)، وجنوبًا كردستان والجزيرة، وغربًا الأناضول. يجتازها نهر آراس. خضعت لصولة الأشوريّين تارة، وصولة البابليّين طورًا، واستقلّت آونة من حكم كلتَي المملكتَين. وكان "شردوري" أوّل مَن ملك "أرارطو" أو أرمينية سنة ٨٨٥ ق.م. وخلفه "أرامي" وجرت بينه وبين الأشوريّين بقيادة شلمناصر (ت٨٢٥ ق.م.) حروب شتّى حتّى، أنّ شلمناصر قصد "أرزشخون" شمالي "فان" سنة ٨٥٨ ق.م. وقاتل "أرامي" فقتل من جنوده ٣,٤٠٠ نسمة ودمّر أرزشخون. ولمّا مات شلمناصر عصاه الأرمن فسار إليهم "ربشاقي" وقوّض من بلادهم ثلاثمئة مدينة وقرية، فهبّ "أرغستس" ملك أرمينية وحارب شلمناصر الرابع (ت٧٧٢ ق.م.) وانتصر عليه مرّتَين. غير أنّ تغلثفلسر الثالث (ت٧٢٧ ق.م.) حارب شردوري الثالث ملك أرمينية سنة ٧٥٦ ق.م. في دسبان وقتل

---

١ ـ أررات أو أرارات وفي التركيّة أكرى داغ وفي العربيّة جبل الحارث: جبل بركانيّ في أرمينية (تركية) يقع على الحدود بين تركيا وإيران وروسيا، ذروته ٥,١٥٦م. يتخلّله سهول مرتفعة في آسيا الصغرى جنوبي القفقاس.

من جنوده ثلاثة وسبعين ألفًا واستحوذ على عجلاتهم وأسلحتهم وأحرق خزائن مملكتهم ونقل تخت ملكهم إلى نينوى. وظلّت أرمينية خاضعة لملوك بابل وأشور ومادي حتّى ظهر الفرثيّون سنة ٢٥٠ ق.م. فملكوها وجعلوا عاصمتهم مدينة ساليق وقطسفون، أو هي المدائن. ولمّا قويت شوكة الملوك الرومانيّين دوّخوا أرمينية التي بلغت أوج عزّها في عهد "تغران" أو "دكران الكبير" الذي ملك أرمينية بين ٩٥ و٥٤ ق.م.، وهو صهر "ميتريدات الرابع أوباتور" ملك البنطس، ووقد بلغت أرمينية في عهد دكران أوج سلطتها، إذ وصل حكمه إلى سوريا وأنشأ على حدودها مدينة حملت اسمه: "ديكراناكيرد"، وهي المعروفة اليوم باسم "دياربكر" في تركيا. بيد أنّ الرومان قد هزموه ٦٩ ـ ٦٨ق.م.، وانتزعوا أرمينية من يد الملوك الفرثيّين[1] فقاتلهم "أرطبان الرابع" من سلالة "أرشاق الأول[2]" واستخلص منهم بلاده وملّك عليها "أرشاق الثاني" ابنه البكر سنة ١١ للميلاد. وفي سنة ٦١ م. سار "ولغش" إلى أرمينية وحصر الروم الذين فيها واضطرّهم إلى مغادرتها. وفي ٢٨ نيسان (إبريل) ٢٢٦ شدّ "أردشير بن بابك" رأس الملوك الساسانيّين على بلاد الفرثيّين وظفر بأرطبان ملكهم ودوّخ المدائن عاصمتهم فانهزم الفرثيّون إلى جبال أرمينية وتركوا خزائنهم وأسلابهم غنيمة للعدوّ. ومذ ذاك نشأت مملكة أرمينية الفرثيّة[3].

---

١ ـ **الفرثيّون**: شعب مزيج من السقيت والإيرانيّين، استقرّ في الألف الأول ق.م. في بلاد خرسان حيث نشأت فيه طبقة عسكريّة، أسّس أحد زعمائها "أرشاق" في القرن الثالث ق.م. أمبراطوريّة كبرى وسلالة حكمت حتّى ٢٢٦م.، اشتهر الفرسان الفرثيّون بخفّتهم في القتال وبمهارتهم في رمي النبال من وراء ظهورهم.

٢ ـ **أرشاق الأوّل**: أمير من الفرثيّين أسّس حوالى ٢٥٠ ق.م. سلالة الأرشاقيّين في بلاد الفرس وأمبراطوريّة واسعة امتدّت من الفرات حتّى المند. اشتهر في سلالته: تيريدات (٢٤٧ ـ ٢٠٦ ق.م.) وميتريدات الأول (١٧١ ـ ١٣٨ ق.م.) وميتريدات الثاني ١٢٣ ـ ٨٦ ق.م.)، انتهت هذه السلالة بالفوضى والاغتيالات. قضى عليها الساسانيّون ٢٢٦م.

٣ ـ أرملة الأب إسحق، القصارى في نكبات النصارى (١٩١٩) ص ١٧ ـ ١٨.

ظلّ الفرثيّون زمنًا طويلاً يحكمون في أرمينية هذه، وينصبّون لها الأمراء والبطاريق[1] والولاة من الأرمن، حتّى غدت متمتّعة برخاء وأمن وطمأنينة. وفي سنة ٨٥١ سيطر عليها الخليفة العبّاسيّ المتوكّل (٨٢١ ـ ٨٦١) وولّى عليها وعلى أذربيجان "يوسف بن محمّد"، الذي ما أن وصل إلى "خلاط" حتّى سارع إليه "بفراط بن أشوط" بطريق الأرمن، فاحتال عليه يوسف وأوثقه وحمله إلى المتوكّل. فاجتمع بطارقة الأرمن وتحالفوا على قتل يوسف فوثبوا به في قلعة موش في شدّة من البرد وقتلوه[2].

ساعد ملوك الأرمن الخلفاء العبّاسيّين، في ما بعد، وعضدوهم. حتّى إنّه في عهد المعتصم (٨٢٣ ـ ٨٤٢) زحف "سهل بن سنبلاط"، البطريق الأرمنيّ، إلى "بابك" عدوّ الخليفة، وأسره وبعث به إلى "الأفشين" فحمله إلى المعتصم الذي أمر سيّافه فقطع يدَيه ورجلَيه ثمّ ذبحه وشقّ بطنه وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرّاء. إثر ذلك عمل الخليفة على مجاملة الأرمن وأحسن معاملتهم[3].

ولعب ملوك الأرمن في عهد المغول، أو التتر، دورًا مهمًّا، إذ كان لهم نفوذ عند هؤلاء، حتّى أنّ أخا "التكفور" ملكهم حضر سنة ١٢٤٦ مع أمراء البلاد حفلة تتويج "كيوك خان" ملكًا على المغول، فأحسن كيوك خان إليه وكتب له العهود. وكان كيوك خان يعزّ النصارى ويكرّم المطارنة والأساقفة والرهبان فصارت الدولة المغوليّة مسيحيّة، وارتفع إذذاك شأن الفرنجة والروس والسريان والأرمن. والتزم الخاصّ

---

١ ـ **البَطريق**: جمعها بطارق وبطاريق وبطارقة، القائد من قوّاد الروم.

٢ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص١٩، نقلاً عن: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، نشر أنطوان صالحاني (بيروت، ١٨٩٠) ص ٢٤٧.

٣ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ١٩.

والعامّ من المغول وغيرهم ممَّن هو بينهم أن يقولوا في السلام "بارخمور" بالسريانيّة أي "بارك المولى[1]".

وسنة ١٢٥٢ توجّه "حاتم" ملك الأرمن من سيس[2] عاصمته إلى "مونككا" قاصدًا ملك التتر، فأعزّه الملك وأحسن معاملته. ولمّا ملك على المغول "أباقا ايلخان"، سيّر صاحب مصر إلى حاتم ليدخل في طاعته ويحمل إليه الجزية ويمكّن الناس من مشترى الخيل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلاده. غير أنّ حاتمًا لم يجب إلى طلبه فهجم المماليك على بلاد الأرمن وحاتم غائب، فاجتمع أخوته وأولاده وأمراؤه وجمعوا أتباعهم ليواجهوا المصريّين الذين التقوهم عند "حجر سروند"، فانكسر الأرمن وأسر ولد للملك حاتم وقُتل ولده الآخر "طورُس"، انهزم الأمراء والعسكر، فنهب المماليك سيس وخرّبوها[3].

واشتهر سنة ١٢٧٦ "لاون" إبن ملك الأرمن، وسار مع المغول إلى الشام سنة ١٢٨٢ في عساكرهما، فقهروا المصريّين في حمص ورجعوا. وملك بعده "يوحنّا بيل"، الذي سُمّي "قسطنطين الثالث"، ثمّ خلفه أخوه "كوفيدن" (ت١٣٣٤) ثمّ "قسطنطين الرابع" (ت١٣٦٤)، وفي عهد هذا الأخير سار التركمان إلى قلعة "كابان"، وهي من أمنع قلاع سيس، فملكوها بالحيلة وقتلوا رجالها وسبوا النساء والأطفال. ثمّ ملك "ليون" الذي شنّ المصريّون في عهده غارات مرارًا على قيليقية* ونهبوا وأحرقوا وقتلوا. وهجموا على سيس ودكّوا حصونها وفتحوا قبور الملوك والولاة وأحرقوا عظامهم

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢ ـ سيس: مدينة في جنوب تركيا الأسيويّة (قيليقية) جرت فيها رسامة القدّيس غريغوريوس المنوّر أسقفًا ٢٦٧ فأصبحت ذات مكانة دينيّة لدى الأرمن. كانت عاصمة مملكة أرمينية الصغرى، فتحها المماليك وخرّبوها ١٣٧٤.

٣ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ١٩ ـ ٢٠.

وأسروا لاون الملك وأهل بلاطه سنة ١٣٧٣ ومضوا بهم إلى مصر حيث سجنوهم سبع سنوات، توسّط بعدها الحبر الرومانيّ[١] في مسألتهم وأنقذهم من أسرهم. وسار بعد ذلك لاون الملك إلى أورشليم وترك بها امرأته وابنته، وانتقل إلى روما حيث زار اعتاب الحبر الأعظم[٢] وشكر له فضله وإحسانه، وعاد إلى باريس حيث توفّي في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٣٩٣[٣].

أمّا "تيمورلنك" الطاغية، فبعد أن دوّخ بلاد ما بين النهرَين، سار إلى سيواس[٤] وأمر جنوده فحشدوا الأطفال في إحدى البقاع وأوثقوهم بالحبال وأماتوهم بحوافر الخيل، ودفنوا الشبّان والنساء أحياء، وخنقوا المرضى والمقعدين والشيوخ. وأصبحت أرمينية سنة ١٦٠٣ خاضعة لـ"شهباز" ملك العجم، الذي أظهر كيدًا عميقًا تجاه الأرمن، فأخرجهم إلى سهول "أرارات" وأحرق دساكرهم وحقولهم وبساتينهم. واستاقهم كالخراف إلى النهر واضطرّهم أن يعبروه. فاختنق عامّتهم إلاّ مَن اعتاد السباحة منهم. ثمّ ساق منهم زهاء اثنَي عشر ألفًا إلى "أصبهان" في إيران حيْث مات منهم مَن مات، والذين نجوا أسّسوا لهم مدينة سنة ١٦٠٤ ظلّوا فيها نحو ثمانين سنة تحت نير العجم والأتراك. وسنة ١٨٢٦ استبدّ الروس بقسم من بلاد أرمينية، فأمسى الأرمن، والحالة هذه، منذ أوائل القرن التاسع عشر، خاضعين للعجم والأتراك والروس. فتفرّق الأرمن وتمزّقوا في تركيا وروسيا والعجم والنمسا والمجر والهند والكرج وبلاد اللّه[٥]. ومنذ

---

١ ـ في تلك الحقبة كان على الكرسيّ الرسوليّ البابا أوربانُس السادس (١٣٧٨ ـ ١٣٨٩)

٢ ـ في تلك الحقبة كان على الكرسيّ الرسوليّ البابا بونيفاتيوس التاسع (١٣٨٩ ـ ١٤٠٤)

٣ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٢٠ ـ ٢١.

٤ ـ **سيواس** أو **سَبَطية** SIVAS: مدينة في أواسط تركيا الأسيويّة.

٥ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ٢١.

عهد السلطان عبد الحميد عرف المجتمع الأرمنيّ أبشع المصاعب، واتّسم اضطهادهم بأعمال التهجير والقتل والنهب والمجازر الجماعيّة.

المَسيحيَّــة
في أرمينيّة

كانت المعابد الوثنيّة منتشرة في أرمينية. أمّا الآلهة التي كانوا يتعبّدون لها فكان بعضها من أصل فارسيّ مثل "أرماسد"، الإله الخالق وتمثّله الشمس؛ و"أناهيد"، إلهة الحياة وتمثّلها الماء؛ و"قاهاكن"، إله القوّة وتمثّله النار. وبعضها من أصل أشوريّ مثل "بعلشامين" و"أسدغيك"؛ وبعضها الآخر من أصل أرمنيّ مثل "فاندور" و"مهيك".

عندما انهارت مملكة ديكران الكبير أمام زحف الجيش الرومانيّ بقيادة بومبيوس في العام ٦٦ ق.م.، بقيت أرمينية في حماية الأمبراطوريّة الرومانيّة من سنة ٥٢ ق.م. حتّى سنة ٤٢٨م.، يحكمها ملوك من سلالة الأرشاكونيّين. ويفيد التقليد الكنسيّ الأرمنيّ بأنّ الرسولَين تدّاوس[1] وبرتلماوُس[2] بشّرا الأرمن بالدين المسيحيّ الجديد في منتصف القرن الأوّل للميلاد[3]. وهما اللذان أدخلا المسيحيّة إلى الهضبة الأرمنيّة التي كانت تقارب مساحتها الـ ٢٥٠ ألف كلم[2]. وأثبتت الآثار وجود شهداء مسيحيّين في أرمينية

---

١ ـ **تدّاوس**: يُعرف أيضًا باسم أدّاي وباسم يهوذا وباسم لياوس، أحد أنسباء يسوع ومن تلاميذه الإثنَي عشر (متّى، ١٠: ٣ و١٣ و٥٥، مرقس، ٣: ٨ و٦: ٣، لوقا، ٦: ١٦) قدّيس، له رسالة واحدة، بشّر بالمسيحيّة في الرها، وواصل الرسالة تلميذه "أجَي" الذي استُشهد في الرها، ومن تلاميذه أيضًا "ماري" الذي مدّ تبشيره إلى المدائن، وقد ورد ذكر لأعماله في سير الشهداء القدّيسين، عيده في ٢٨ كانون الأوّل (ديسمبر).

٢ ـ **برتلماوُس**: أحد الرسل وتلاميذ يسوع الإثني عشر (متّى، ١٠: ٣، مرقس، ٣: ١٨، لوقا، ٦: ١٤، أعمال الرسل، ١: ١٣) قدّيس، يروى أنّه بشّر في شمال الهند، استُشهد في أرمينية، عيده في ٢٤ آب (أغسطس).

٣ ـ كما ذكرنا في مجال سابق، ترفض الكنيسة الأرمنيّة الأرثذوكسيّة أن تلقّب بالكنيسة "الغريغوريّة"، كما جاء في الميثاق الروسيّ POLOJINIE نسبة إلى مؤسّسها غريغوريوس المنوّر. فهي لا تقبل بمؤسّس غير الرسولَين تدّاوس وبرتلماوس.

في حقبة ما بين القرنَين الأول والثاني. وقد اشتهر من هؤلاء شهداء "أرارات" و"توسكيانك" و"سوكياسيانك". وفي المدوّنات أنّه بين العامَين ٢٤٩ و٢٥٥ كان للأرمن أسقف بعث إليه القدّيس "ديونيسوس الإسكندريّ" برسالة يسأله فيها رأيه بقضيّة التوبة. وكان اسم ذلك الأسقف: مهروجان. وقد أدخل أحد آباء الكنيسة اللاتينيّة الكبار: "ترتوليانُس[١]"، في تفسيره لأعمال الرسل، إسم الأرمن في صفوف الأوائل الذين اهتدوا إلى الدين المسيحيّ[٢].

وما تؤكّد عليه المصادر التاريخيّة أنّه في نهاية القرن الثاني كانت قد تكوّنت جماعة كبيرة من المسيحيّين في جنوب أرمينية بفضل المبشّرين السريان القادمين من مدينة الرها، التي اعتنق ملكها الأبجر التاسع الديانة المسيحيّة. أمّا في القرن الثالث فتشير الوثائق التاريخيّة إلى وجود أسقف أرمنيّ في شرق قبدوقية إسمه "ميروجان". وهكذا بدأ الأرمن ينفصلون عن الفرس الساسانيّين ويميلون إلى الأمبراطوريّة الرومانيّة، ما جعلهم عرضة للاضطهادات المجوسيّة. وقد أصبحت المسيحيّة دين الدولة الأرمنيّة منذ بداية القرن الميلاديّ الرابع، وتحديدًا منذ سنة ٣٠١. ويفخر الأرمن بأنّهم أول مَن جعل المسيحيّة دينًا رسميًّا لدولتهم[٣]، قبل روما التي اعتنقت المسيحيّة في العام ٣١٢[٤]، وفرنسا سنة ٤٩٦، وإنكلترا سنة ٦٠٥، وألمانيا

---

١ ـ **ترتوليانُس** TERTULLIANUS (حوالى ١٦٠ ـ ٢٢٠): علاّمة مسيحيّ، انحاز إلى مذهب مونتان، من كبار الكتبة المحامين عن الديانة المسيحيّة ضدّ الوثنيّة.

٢ ـ سركيسيان سيبوه، الكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة في لبنان، مجلّة المنارة (١٩٨٦)، العددان الأوّل والثاني، ص٩٢.

٣ ـ العزّي د. غسّان، المجزرة الأرمنيّة ١٩١٥، وثائق من الأرشيف الدوليّ، مركز الدراسات الأرمنيّة (بيروت،١٩٩٧) ص ١٣.

٤ ـ علمًا بأنّ منشور ميلانو، الصادرر عن الأمبراطور قسطنطين، الذي يسمح بنشر الدين المسيحيّ، لم يعلَن إلاّ في العام ٣١٣. ويجب انتظار العام ٣٨٠ لكي يعلن الأمبراطور ثاودوسيوس الديانة المسيحيّة دينًا رسميًّا للدولة الرومانيّة؛ راجع الجزء الثامن من هذه الموسوعة.

سنة ٨٠٥ ميلاديّة[1]. ولم يسبق أرمينية إلى ذلك سوى بعض الإمارات الصغيرة، مثل إمارة الرها. وهكذا فإنّ الكنيسة الأرمنيّة تُعتبر من أقدم كنائس الشرق نشأة وطقسًا ولاهوتًا. ويُعتبر الرسول كريكور المنوِّر الثاني والمعروف باسم القدّيس غريغوريوس المنوِّر* شفيع الكنيسة الأرمنيّة التي عُرفت باسمه.

كريكُور المنوِّر

لمّا تولّى الملك "درطاد" الثالث زمام الحكم في أرمينية (٢٨٤ ـ ٣٠٥) تحالف مع الأمبراطور ديوقلِطيانس، واستطاع إبعاد الفرس الساسانيّين عن الحدود الأرمنيّة. وجعل الملك في خدمته شابًّا أرمنيًّا اسمه "كريكور"، وهي التسمية الأرمنيّة لـ "غريغوريوس". وكان كريكور يتقن اللغة اليونانيّة. فيما كان الملك درطاد يجهل أنّ كريكور هو ابن "آناج" قاتل والده الملك "خوسروف". أمّا كريكور فكان قد هرب آنذاك إلى قبدوقية حيث تثقّف واعتنق المسيحيّة. وفي يوم عيد إلهة بلاده "أناهيد"، رفض كريكور العائد من قبدوقية تقديم القرابين للوثن، وأعلن أمام الملك عن إيمانه المسيحيّ، فاستشاط الملك غيظًا ونكّل به أشدّ التنكيل. ولمّا كشف كريكور سرّه للملك بانّه ابن قاتل أبيه، أمر بإلقائه في بئر عميقة حيث بقي اثنتَي عشرة سنة، بحسب واضعي سيرته[2].

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٢٨؛ راجع كنيسة روما في الجزء العاشر من هذه الموسوعة.

٢ ـ المقول إنّ هذه البئر المعروفة باسم "خورفيرلب" أي "الجبّ العميقة"، لا تزال قائمة في جمهوريّة أرمينية، يؤمّها الحجّاج الأرمن من كلّ حدب وصوب، وينزلون إليها بواسطة سلالم معدنيّة. وقد شُيّد فوق فوهتها معبد صغير، وأُنشئت على مقربة منها كنيسة على اسم القدّيس غريغوريوس. وجرت العادة أن يأتي المؤمنون بآنية مملوءة بماء بئر المنزل إلى الكنيسة في عيد القدّيس غريغوريوس، وبعد بركتها يعودون بها إلى منازلهم فيرشّونها على بئر أو خزّان الماء وفي أرجاء غرف بيوتهم، طالبين شفاعة القدّيس لحمايتهم من الأمراض ومن لدغات العقارب والأفاعي وما شابه.

وأنّ الملك درطاد أُصيب بمرض نفسيّ رهيب غيّر أطباعه وشوّه حتّى معالم وجهه، ولم يُشفَ من ذلك المرض إلاّ عندما أمر بإخراج غريغوريوس من البئر، نادمًا على ما فعل. وفي النهاية اهتدى الملك إلى الدين المسيحيّ وتعمّد هو وحاشيته في نهر الفرات عن يد القدّيس غريغوريوس، وكان ذلك في العام ٣٠١. لذلك لقّب القدّيس كريكور بـ "لو سافوريش" أي المنوّر[١]، لأنّه أدخل نور المسيح إلى أرمينية، وبفضله اعتنق الملك وحاشيته وأركانه وجميع أفراد الشعب الديانة المسيحيّة. وهو الذي أسّس في "المدينة المنوّرة" "أتشميادزين" مركزًا رئيسيًا للكنيسة الأرمنيّة. وأشار إلى المكان، حيث يجب بناء الكاتدرائيّة، بواسطة نور ساطع بشكل الصليب. لذلك فإنّ "أتشميادزين" "المنوَّرة بنور الوحيد"، حيث بُنيت الكاتدرائيّة نسبة لاسم كريكور المنوّر، تحولت إلى عاصمة مقدّسة. وهي تقع جغرافيًّا وتاريخيًّا وسياسيًا في منطقة هامّة، في دائرة تضمّ رموز الأمّة الأرمنيّة كجبل آرارات*، ونهر "أراكس"، و"أرداشاد" العاصمة التاريخيّة للملكة الأرمنيّة الثانية التي عُرفت في القرن الثاني قبل الميلاد باسم الأردشيسيّة، ومدينة "سرداراباد" البطلة، حيث انتصرت إرادة الشعب الأرمنيّ في البقاء ضدّ الجحافل التركيّة في أيّار (مايو) ١٩١٨ كما سيأتي لاحقًا، وعاصمة الأمّة الأرمنيّة الحديثة "يريفان[٢]". وإنّ وقوع المدينة المنوّرة والمقدّسة للأرمن، أتشميادزين، في هذه الدائرة المحوريّة من تاريخ الأمّة الأرمنيّة، له دلالاته الفكريّة، التي تؤكّد على وطنيّة الكنيسة الأرمنيّة في عقيدتها وممارساتها[٣].

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٢٨.

٢ ـ **يريفان** ÉRIVAN : مدينة في أرمينية السوفياتيّة سابقًا، عاصمة الجمهوريّة الأرمنيّة، يسكنها نحو ٨٠٠ ألف نسمة.

٣ ـ زهر الدين د. صالح، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٢٨.

كان كريكور علمانيًّا متزوّجًا، ولكن بعد تنصّر المملكَة بفضله، أصرّ الملك والشعب على إعلانه بطريركًا ورئيسًا روحيًّا عليهم. فترك كريكور بيته وعائلته وذهب إلى قبدوقية حيث نال الرسامة الكهنوتيّة ثمّ الأسقفيّة عن يد أسقف قيصريّة وحاز على لقب "كاثوليكوس"، وعاد إلى بلاده ليتفرّغ للعمل الرسوليّ كليًّا. وبالرغم من أنّ بعض الجماعات الأرمنيّة كانت قد اهتدت إلى المسيحيّة قبل التنصّر الرسميّ لدولة أرمينية مع اهتداء ملكها، فإنّ الفضل يعود إلى القدّيس كريكور في تنظيم الكنيسة الأرمنيّة من حيث التعليم الدينيّ والطقوس الليتورجيّة التي أخذها عن كنيسة قبدوقية. وقد ترأس كريكور الكنيسة الأرمنيّة طيلة ربع قرن، رسم في خلالها الكهنة والأساقفة، وكان بعضهم من أبناء الكهنة الوثنيّين المهتدين إلى الدين المسيحيّ. وترك لكنيسته قوانين وخطابات وطقوسًا دينيّة. وسرعان ما أرسل جماعات من المبشّرين إلى البلاد المجاورة لأرمينية، مثل "جورجيا" و"الأغوان"، لتهدي أهاليها إلى الدين المسيحيّ، فلاقى أولئك الرسل نجاحًا سريعًا.

خلفَـــــــاء

كريكور الأقرَبون

توفّي كريكور المنوّر سنة ٣٢٥، فخلفه على السدّة البطريركيّة ابنه الصغير[١] أريستاكيس (٣٢٥ ـ ٣٣٣) الذي شارك في المجمع المسكونيّ الأوّل في نيقية سنة ٣٢٥. ثمّ خلف أريستاكيس أخوه البكر فرطانيس (٣٣٣ ـ ٣٤١) الذي كان متزوّجًا قبل سيامته أيضًا، وبعد وفاته خلفه ابنه هوسيك (٣٤١ ـ ٣٤٧). وهذه الخلافة

١ ـ إشارة إلى أنّ كريكور كان متزوّجًا وله عائلة قبل سيامته كاهنًا كما جاء في صدر النص أعلاه.

العائليّة في الرئاسة الكنسيّة كانت طبيعيّة في أرمينية، موروثة عن العادات الوثنيّة وتتلاقى مع النظام الكهنوتيّ في العهد القديم، كما كانت الحال في الكنيسة الأشوريّة[1].

نَرسِيس الكَبيـــر

يعود الفضل في تنظيم شؤون الكنيسة الأرمنيّة، بعد عهد الكاثوليكوس كريكور وخلفائه الأقربين، إلى نرسيس الكبير (٣٥٣ ـ ٣٧٣). فبعد أن نال الرسامة الأسقفيّة عن يد أسقف قيصريّة في العام ٣٦٤، عاد إلى أرمينية وسنّ الشرائع الكنسيّة، ووضع القوانين الرهبانيّة، ونظّم حياة الأديرة، وأنشأ الأبرشيّات والمياتم ودُور العجزة والمستشفيات، ووزّع على الكهنة قطعًا متساوية من الأراضي الزراعيّة ليضمنوا حياة عائلاتهم. ويقول كاتب سيرته: "في عهد نرسيس، لم تكن لتجد متسوّلاً واحدًا في البلاد الأرمنيّة". وأصبحت أرمينية في عصره كجماعة رهبانيّة ضمّها دير واحد ورئيس واحد[2]. على أنّ الكنيسة الأرمنيّة لم تشارك في المجمع المسكونيّ الثاني الذي عُقد في القسطنطينيّة في العام ٣٨١، ولا في المجمع المسكونيّ الثالث الذي عُقد في أفسس في العام ٤٣١، ولكنّها تبنّت جميع قراراتهما وتعاليمهما.

---

١ ـ راجع: الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة.

٢ ـ لرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ٢٣.

القدّيس وارطَان ورفاقُـــــــه

لم تدم الكنيسة الأرمنيّة على ازدهارها طويلاً بعد نرسيس الكبير، ذلك أنّ أوضاع أرمينية عمومًا قد شهدت إثر ذلك تدهورًا كبيرًا، إذ إنّ الأمبراطوريّة الرومانيّة المنهارة أمام الجحافل البربريّة الجرمانيّة، تخلّت عن حماية الملوك الأرمن المسيحيّين ضدّ هجمات الفرس الساسانيّين الزرادشتيّين. وهكذا استغلّ بعض الأمراء الأرمن ضعف الملك فأعلنوا الانشقاق واستمالوا عطف شاه الفرس، ووضعوا أنفسهم تحت حمايته بعد أن أطاحوا بالملك الأرمنيّ سنة ٤٢٨، وتقاسموا المملكة، فحوّلوها إلى مقاطعات إقطاعيّة، وتخلّوا عن قسم كبير من أرمينية لحماتهم الفرس. وإذ لم يكتفِ الملك الساسانيّ "شاهنشاه هازكيرد" بولاء الأرمن، أصدر سنة ٤٤٩ فرمانًا يطلب إلى جميع حكّام الأمبراطوريّة وسكّانها أن يعتنقوا الزرادشتيّة، وأرسل الكهنة المجوس وأعوانهم إلى مختلف المناطق لبناء معابد لآلهة النار، وأمر بقمع كلّ حركة عصيان.

ما إن وصل الجنود إلى أرمينية حتّى انتفض الشعب بقيادة القائد الأرمنيّ "وارطان ماميكونيان". ذلك أنّ الأرمن كانوا قد عانوا الكثير من سيطرة الفرس واضطهادهم للمسيحيّين علنًا. وعلى أثر اجتماع عام عقد في "أشتيشاد" حضره الأساقفة والأمراء، بعث هؤلاء برسالة إلى الشاه، يعلموه فيها عن رفضهم اعتناق الديانة الزرادشتيّة، ويؤكّدون على تمسّكهم بالدين المسيحيّ. وأمام هذا الإصرار العنيد، لجأ الملك "هازكيرد" إلى الحيلة، فدعا أمراء الأرمن إلى العاصمة "طيسفون"[1] للتفاوض معهم،

---

١ ـ **طيسفون أو قطيسفون أو ديسبون أو سلمان باك**: أنقاض مدينة جنوبي بغداد، ظهرت في القرن الثاني قبل المسيح، احتلّها الفرثيّون وجعلوها عاصمة لملكهم بدل سلوقية، هاجمها تريانس ١١٦ وسبتيمس ساويرس ١٩٧، احتلّها الفرس ٢٢٤ وأقام فيها كسرى الثاني قصرًا ضخمًا لا تزال آثاره إلى اليوم معروفة بـ"طاق كسرى"، وفي ٥٤٠ احتلّ كسرى أنو شروان أنطاكية وسلوقية ونقل سكّانها إلى طيسفون، احتلّها هرقل ٦٢٨ ثمّ وقعت بيد العرب ٦٣٧، ألّفت مع سلوقية "المدائن" وبُنيت بحجارتها قصور الخلفاء.

ولكن ما إن وصلوا حتّى احتجزهم. ولم يجدوا سبيلاً للإفلات سوى التظـاهر بـالمروق عن الدين المسيحيّ، حينئذ أطلق سراحهم. وما إن عادوا إلـى بلادهـم حتّـى بـدأوا شـنّ ثورة عارمة، فأحرقوا المعابد الوثنيّة وحطّموا هياكل النار، وقتلوا الكهنة الفرس. فـردّ الفرس بشنّ حملة عسكريّة ضخمة هدفت إلى إخضاع الشعب الأرمنيّ وتأديبه، فكـانت معركة "أفراير" سنة ٤٥١ التي استبسل فيها الجيش الأرمنيّ بقيادة وارطان ماميكونيان ورفاقه الأمراء. ولكنّهم لم يستطيعوا مقاومة الجيش الفارسـيّ المتفـوّق بـالعدد والعتـاد، فاستُشهدوا على أرض المعركة. وأعلنت الكنيسـة الأرمنيّـة قداسـة "وارطـان" ورفاقـه، لأنّهم ماتوا في سبيل الإيمان بالمسيح. ويحتفل الأرمن في السابع والعشرين مـن شـباط (فبراير) بذكرى هذه المعركة البطوليّة. وبعد معركة "أفراير" خضعـت أرمينيـة للحكم الساسانيّ، ولكنّ الشاه تخلّى عن سياسته القمعيّة وسمح للأرمـن بالحفـاظ علـى ديـانتهم المسيحيّة وممارسة شعائرهم.

الفَصْلُ الثَّاني

إستقلال الكنيسة الأرمنيّة

الكَنيسَة الأرمَنِيَّة مستقلَّة؛ مسألة قوميَّة؛

حقيقة معتقد الكنيسة الأرمنيّة؛

الليتورجيا الأرمنيّة؛

السنة الطقسيّة؛ الطقوس والتقاليد والفنّ الكنسيّ.

الكَنِيسَةُ الأرمَنِيَّةُ مستقلَّةً

إذا كانت الكنيسة الأرمنيّة، لظروف سياسيّة وأمنيّة، لم تشارك في المجمع المسكونيّ الثاني الذي عُقد في القسطنطينيّة في العام ٣٨١ وحرم مقدونيوس، ولا في المجمع المسكونيّ الثالث الذي عُقد في أفسس في العام ٤٣١ وحرم نسطوريوس، فإنّها تبنّت جميع قراراتهما وتعاليمهما وسارت عليها، مثلما تبنّت مقرّرات مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ والذي حرم آريوس. بيد أنّها لم ترضخ لمقرّرات المجمع الخلقيدونيّ الذي انُعقد سنة ٤٥١ والذي لم تتمثّل فيه أيضًا. وهو المجمع الذي حرم أوطيخا وشدّد على الطبيعتَين والمشيئتَين في المسيح. تجدر الإشارة إلى أنّ ذاك المجمع الأخير قد عُقد بينما كان الأرمن، إكليروسًا وشعبًا، يدافعون عن إيمانهم المسيحيّ ضدّ هجمات الفرس، فلم تستطع الكنيسة الأرمنيّة المشاركة فيه. ووصلت القرارات المجمعيّة ورسالة البابا لاون إلى الأرمن منقولة عن اللغة اليونانيّة بلغة غير دقيقة، ما دفعهم إلى الاعتقاد بأنّ التمييز بين طبيعتَي المسيح الإلهيّة والبشريّة هو نوع من الفصل في الشخص، فبدا لهم كأنّ المجمع الخلقيدونيّ قد قسم المسيح إلى شطرَين. فقد فهم الأرمن من الكلام عن طبيعتَين إلهيّة وبشريّة في المسيح، عودة إلى النسطوريّة التي حرّمها مجمع أفسس، فتمسّكوا بتعليم "كيرلّس" القائل: "طبيعة واحدة لكلمة اللّه المتجسّد". وبالتالي رفضوا قرار المجمع الخلقيدونيّ، ليس لجهة تحريم أوطيخا، الذي تحرّم كنيستهم تعاليمه بدورها، بل لجهة القول بالطبيعتَين والمشيئتَين، وذلك بسبب الالتباس

الذي ذكرنا. غير أنّ ذلك لم يمنع من أن تبقى الكنيسة الأرمنيّة على القول بالمونوفيزيّة. على أنّ قولها بالطبيعة الواحدة في المسيح، ليس بمعنى قول "أوطيخا" لجهة انصهار الناسوت واللاهوت في عنصر واحد، لكنّها تقول بالمونوفيزيّة أو الميافزيّة، قول "كيرلّس" ومجمع "أفسس" كي يبقى المسيح واحدًا في ناسوته مع لاهوته دون اختلاط ولا امتزاج ولا مزج.

ويرى باحثون مستقلّون أنّه مهما كانت الأسباب، سواء كانت سوء تفاهم في التعابير والمصطلحات اللاهوتيّة، أو تنافسًا على النفوذ الكنسيّ والمدنيّ، فقد اعتُبرت الكنيسة الأرمنيّة بعد المجمع الخلقيدونيّ مستقلّة، أو منشقّة عن الكنيسة الخلقيدونيّة، مثلها مثل شقيقاتها الكنائس القبطيّة والسريانيّة المونوفيزيّة والحبشيّة. وفي مجمع "دفين" المنعقد سنة ٥٥٤، ثبّتت الكنيسة الأرمنيّة رفضها لتعاليم مجمع خلقيدونية، فانقطعت الشركة مع الكنيسة البيزنطيّة وكرسيَّي القسطنطينيّة وروما.

مسألَة
قوميَّة

يرى باحثون مستقلّون[1]، متأثّرون بوجهة نظر رؤساء الكنيسة الأرمنيّة، أنّ المناقشات، على أثر المجمع الخلقيدونيّ، حول طبيعة السيّد المسيح، لا تدخل في الحقيقة في عداد القضايا اللاهوتيّة الخالصة، بل كانت تتعلّق بميل الدولة البيزنطيّة، تحت شعار "الكنيسة الشرقيّة"، إلى فرض سياستها الخاصّة على الأرمن وإذابتهم قوميًّا في بوتقة قوميّتها. وهذا ما رفضه الأرمن وفضّلوا كنيستهم الوطنيّة عن "الكنيسة الشرقيّة"، وقبلوا فقط بالمجامع المسكونيّة الثلاثة الأولى: نيقية ٣٢٥، والقسطنطينيّة

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٢٩.

٣٨١، وأفسس ٤٣١. بمعنى أنّ الكنيسة الأرمنيّة الوطنيّة لم تكن انعزاليّة، بل كانت مع وحدة الكنائس الحقيقيّة المسكونيّة، وضدّ المحاور ومناطق النفوذ ونزعات التكابر عند بعض الكنائس.. فالكنيسة الأرمنيّة الوطنيّة تؤمن برسالة الكنيسة العالميّة والأمميّة والمسكونيّة. وعندما انحرف بعض الكنائس المتكابرة عن الخطّ المسكونيّ ابتداءً من المجمع الخلقيدونيّ في عام ٤٥١، بقيت الكنيسة الأرمنيّة على خطّها المسكونيّ.

في الواقع، نجد في هذا الإيضاح ما هو عميق التقدير. ذلك أنّ رأينا في تفتّت الوحدة الكنسيّة في تلك الحقبة من التاريخ، يعود في سببيّته الأولى إلى انتفاض أهل البلدان الوطنيّة على الأمبراطور حامي الكنيسة. وقد اختلط يومذاك المفهوم القوميّ بالمفهوم الإيمانيّ عند العديد من الكنائس، كما سبق وأوضحنا في أجزاء سابقة[1].

على أيّ حال، فإنّ موقف الكنيسة الأرمنيّة من مقرّرات المجمع الخلقيدونيّ لم يكن شاملاً لها بالكامل، بل تمسك بعض الجماعات الأرمنيّة بتلك المقرّرات، واستمرّ على اتّصال مع الكنيسة البيزنطيّة، منذ الأساس. ومن بطاركة الكنيسة الأرمنيّة ورهبانها الذين اعترفوا بمجمع خلقيدونية وحاولوا إعادة الشركة مع الكنيسة البيزنطيّة، الكاثوليكوس يزر (٦٣٠ ــ ٦٤١) والكاثوليكوس نرسيس الثالث (٦٤١ ــ ٦٦١) والكاثوليكوس زكريّا (٨٥٥ ـ ٨٧٧). وفي وقت لاحق، فإنّ كنيسة جورجيا التي رفضت مجمع خلقيدونية في بادئ الأمر، ما لبثت أن انفصلت عن الكنيسة الأرمنيّة لتنضمّ إلى الكنيسة البيزنطيّة الأرثذوكسيّة.

---

١ ـ راجع: الموارنة، في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة؛ الكنيستَين السريانيّة والأشوريّة في الجزء الثالث عشر.

واشتهر في القرن السابع، من رجال الكنيسة الأرمنيّة، نرسيس الثالث الجاثليق[1]، وهو الذي ابتنى كنيسة جليلة في "فغرشاباط" سنة ٦٥٤ على اسم غريغور المنوَّر، ووضع فيها ذخائره الثمينة. وقد حملها في ما بعد متولّو الكنيسة إلى نابولي فروما[2].

حقيقَة معتَقَد

الكَنيسَة الأرمنيّة

بما أنّ الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة تقول بالعقائد المعلنة في المجامع المسكونيّة الثلاثة الأولى، وهي التي يعتبرها العديد من الكنائس خلاصة الدين المسيحيّ إذ إنّها تقول بألوهيّة المسيح وألوهيّة الروح القدس، وبسرّ الثالوث الأقدس، وباتّحاد اللاهوت بالناسوت في شخص يسوع المسيح من العذراء مريم، أي بحقيقة سرّ التجسّد، وبموت يسوع المسيح ابن اللّه على الصليب، أي بحقيقة سرّ الفداء، وبقيامة يسوع من بيت الأموات وصعوده إلى السماء... فإنّ إيمانها يشكّل جوهر المسيحيّة. وتعتبر الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة أنّ مجمع خلقيدونية وما بعده من المجامع، وهي التي لا تعترف بها، لم تأتِ بعقائد جديدة، بل كانت محاولات لتفسير عقائد معلنة في المجامع الأولى. والتفسير والتعليم لا يدعوان بالضرورة إلى مجمع مسكونيّ. ومن هذا المنطلق ترفض القول بالطبيعتَين في شخص المسيح الواحد، وبانبثاق الروح من الإبن، وبالمطهر،

---

١ ـ **الجثليق والجاثليق**: جمعها جثالقة: متقدّم الأساقفة. يونانيّة الأصل.

٢ ـ سنة ١٨٩٩ قام الأب "تديان" كاهن أتشميازدين بدراسة موضعيّة على الكنيسة المشار إليها، وعلى مسافة مسير ساعة إلى الشرق من أتشميادزين أجرى حفريّات على تلّ هناك فكشف عن بقايا الكنيسة القديمة، وقد ظهر منها تسعون عمودًا، وخمسة أبواب، وخمسة مذابح، ما يفيد عن أنّ تلك البقايا تعود إلى الكنيسة التي شادها نرسيس الجاثليق، وعثر على كتابتَين يونانيتَين رُقّم عليهما اسم نرسيس الجليل ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٢٣ ـ ٢٤.

وبالديونة الخاصّة، وبالغفرانات، وبالعصمة البابويّة... علمًا بأنّ الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة تتّبع في الليتورجيا قانون الإيمان "النقاوي" الذي ساهم في وضعه القدّيس أثناسيوس، والذي يتمحور حول سرّ التجسّد. وثمّة قانون آخر، وفيه رفض معلَن لهرطقة أوطيخا، وتأكيد على الطبيعة المتّحدة في شخص واحد بدون خلط أو مزج[1]. وعندما ظهرت في أرمينية في خلال القرن العاشر بدعة جديدة لُقّب أتباعها "بالبولسيّين[2]"، كان أتباعها يرفضون بعض التقاليد الكنسيّة والطقوس الدينيّة، وقد لاقت انتشارًا سريعًا، لجأت الدولة إلى قمع الحركة وإلى القضاء عليها تمامًا.

أمّا لجهة الأسرار، فإنّ الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة، وإن كانت تقول بسبعة أسرار، فهي تمنح سرّ المعموديّة مع سرّي الميرون والمناولة، فالأسرار الثلاثة الأولى تشكّل وحدة متكاملة يدخل بها الطفل المعمَّد في الكنيسة جسد المسيح السرّيّ. وهي لا تعترف بسرّ مسحة المرضى، وتكتفي بالصلاة على جثّة الميت. أمّا المرضى فيُمنحون سرّ التوبة أو سرّ المناولة[3].

لجهة الشرع الكنسيّ، تمنع الكنيسة الأرمنيّة الزواج من الأقرباء حتّى الدرجة الرابعة، وتحرّم مباركة الإكليل في أيّام الصوم والأعياد السيديّة، أي تلك التي لها

---

١ ـ تجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة تستخدم في الليتورجيا، هي أيضًا، هذين النوعين من "قانون الإيمان"، وبعد أن أدخلت في القرن السابع عشر بعض التعديلات على نصّ القانون "النيقاوي" عادت قبل سنتين وتخلّت عن هذه التعديلات لتحافظ على الأصل، ولم يتعارض ذلك مع الإيمان الأرثوذكسيّ أو الكاثوليكيّ.

٢ ـ تُنسب هذه البدعة إلى بولس سُمَيساطي أسقف أنطاكية ٢٦٠ ـ ٢٧٢ ومستشار زنوبيا ملكة تدمر الذي قال إنّ المسيح كان إلهًا بالتبنّي فرذل وتعاليمه.

٣ ـ تعترف الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة بالأسرار السبعة ولها طقس خاصّ بسرّ مسحة المرضى. وتمنح الميرون فقط للطفل المعمّد، وتترك سرّ المناولة إلى وقت لاحق تمنحه للأولاد في أثناء احتفال "المناولة الأولى" كما هي الحال في سائر الكنائس الكاثوليكيّة.

علاقة بالسيّد المسيح وسرَّي التجسّد والفداء، وهي خمسة أعياد كبرى: عيد الظهور الإلهيّ (٨ أيّام)، عيد القيامة (٥٠ يومًا)، عيد التجلّي (٣ أيّام)، عيد السيّدة أو عيد انتقال العذراء إلى السماء (٩ أيّام)، عيد الصليب (٧ أيّام). وجميع هذه الأعياد يقع يوم الأحد ما عدا عيد الظهور الإلهيّ الثابت في ٦ كانون الثاني (يناير)[١]. وتتميّز أيضًا بكون ثاني يوم العيد مكرّسًا دومًا لتذكار الموتى فيزور المؤمنون الأرمن مقابرهم خمس مرّات في السنة، ويقيمون القداديس والصلوات على نيّة موتاهم مرّة أيضًا في ٧ كانون الثاني (يناير) وأربع مرّات في يوم الإثنين؛ وتقبل الكنيسة الأرمنيّة برسامة المتزوّجين كهنة[٢]. ولكنّ درجة الأسقفيّة لا تُعطى إلاّ للراهب المتبتّل. ولا يجوز للكاهن المتزوّج أن يتزوّج ثانية في حال وفاة زوجته الأولى.

من جهة ثانية، يولي نظام الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة العلمانيّين دورًا هامًّا في إدارة المجالس المليّة والأوقاف واللجان الكنسيّة، وتمنح عددًا كبيرًا من الممثّلين العلمانيّين حقّ المشاركة في مجمع انتخاب الأساقفة والبطاركة[٣].

---

١ ـ تمنح الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة للتفسيح من القرابة الدمويّة والأزمنة المحرّمة لظروف خاصّة.

٢ ـ عادت الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة إلى هذا التقليد في السنوات الأخيرة وقبلت برسامة المتزوّجين شمامسة أو كهنة، بعد مدّة من الاختبار والدراسة اللاهوتيّة.

٣ ـ للكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة شرعها الخاصّ في هذا المجال، ضمن مجموعة من القوانين الخاصّة بالكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة.

الليتورجيا الأرمنيّة

أوّل من وضع الليتورجيا الأرمنيّة كان البطريرك أوهانّس مانتاكوني في أواخر القرن الخامس. وتُنسب هذه الليتورجيا إلى القدّيس أثناسيوس[1]، ولكنّها قريبة جدًّا من ليتورجيا القدّيس باسيليوس[2]، وفيها أيضًا طقوس مأخوذة عن كنيسة قبدوقية وكنيسة السريان، بالإضافة إلى الطقوس الكنسيّة الأورشليميّة.

وفي مطلع القرن العاشر، أُدخلت إليها صلوات من ليتورجيا القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ[3]، وفي القرن الثالث عشر، أي في عهد الصليبيّين، أُدخلت إليها أيضًا صلوات من الطقس اللاتينيّ، وآخر ما أُضيف إلى الطقوس الأرمنيّة كان صلوات للقدّيس كريكور ناريكاتسي. وهكذا نجد في الكنيسة الأرمنيّة انفتاحًا مسكونيًّا رائعًا في استقطاب معطيات من مختلف المصادر، ومرونة كبيرة في إخضاع هذه الأشكال لنموذج واحد من رتبة القدّاس الاحتفاليّ الذي يجمع بين الأرثذوكس والكاثوليك. والكنيسة الأرمنيّة تستخدم في القدّاس الخبز الفطير والخمر الصافي دون مزجه بالماء. كما أنّها تستخدم البرادي لفصل الهيكل عن الشعب تعبيرًا عن السرّ الذي لا يقترب منه إلاّ الكاهن وحده. وتحتفل الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة بالذبيحة الإلهيّة فقط في أيّام الآحاد والأعياد، ولا يقيم الكهنة أكثر من قدّاس في الكنيسة الواحدة، وليسوا ملزمين بإقامة

---

١ ـ **أثناسيوس الإسكندري** ATAHNASIOS (٢٩٥ ـ ٣٧٣): بطريرك الإسكندريّة، من آباء الكنيسة، حارب الأريوسيّة بعد المجمع النيقاوي، نُفي خمس مرّات بسبب صلابة رأيه، كتب حياة القدّيس أنطونيوس الكبير، له مؤلّفات لاهوتيّة.

٢ ـ **القدّيس باسيليوس** BASILE (٣٢٩ ـ ٣٧٩): أسقف قيصريّة قبدوقية وأحد "الأقمار الثلاثة"، من آباء الكنيسة ومعلّميها، أسّس الحياة الرهبانيّة المشتركة في الشرق واضعًا قوانين يجري عليها الرهبان الباسيليّون، حارب الأريوسيّة، له تآليف عديدة ومواعظ.

٣ ـ راجع الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

القدّاس اليوميّ[1]. ويكون القدّاس احتفاليًّا دومًا[2] وتسبقه صلاة الفرض. وتتمسّك الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة في طقوسها باللغة الأرمنيّة الكلاسيكيّة[3].

السَّـــنة الطقسيّة

تدور السنة الطقسيّة الأرمنيّة في فلك عيد الفصح. فتتحرّك الأوقات والأعياد وفق تاريخ عيد القيامة الذي يُحسب عند الأرثذوكس والكاثوليك وفق التقويم الغريغوريّ المعدّل. أمّا عيد الميلاد، فتحتفل به الكنيسة الأرمنيّة الأرثذوكسيّة وفق التقويم اليوليانيّ القديم في السادس من كانون الثاني (يناير)، أي بفارق ١٢ يومًا عن سائر الكنائس التي تحتفل بعيد الميلاد في ٢٥ كانون الأوّل (ديسمبر). وتحتفل في اليوم نفسه بعيد الظهور الإلهيّ المثلّث، أي: الكشف عن ألوهيّة المسيح في يوم الميلاد وعند قدوم المجوس وفي أثناء العماد على يد يوحنّا في نهر الأردنّ. كما تحتفل الكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة بسائر الأعياد المرتبطة بعيد الميلاد أو التجسّد الإلهيّ بفارق ١٢ أو ١٣ يومًا عن روزنامة الكنيسة الكاثوليكيّة.

---

١ - الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة تبنّت عادة الكنيسة اللاتينيّة في اختصار القدّاس الاحتفاليّ، وفي جعله قدّاسًا بسيطًا قصيرًا Messe Basse، يُقام في جميع أيّام الأسبوع، وأكثر من مرّة، لأنّ الكهنة ملزمون بإقامة القدّاس يوميًّا.

٢ - يرتدي رجال الإكليروس وخدّام الهيكل الأرمن أبهى الحلل الطقسيّة، ولا يُخفى تأثير الكنائس السريانيّة والبيزنطيّة واللاتينيّة على الثياب والشارات الطقسيّة التي يستخدمها المحتفلون.

٣ - يُشار إلى أنّ الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة قد بادرت إلى استخدام اللغة الأرمنيّة العاميّة، بالإضافة إلى بعض اللغات المحليّة، لتكون أقرب إلى المؤمنين، محافظة على اللغة الكلاسيكيّة الأرمنيّة في التراتيل والأناشيد الأصليّة.

الطقُوسُ والتقاليد
والفَـنّ الكَنسـيّ

لعلّ الكنيسة الأرمنيّة قد احتفظت ببعض الطقوس الوثنيّة التـي كـانت منتشـرة فـي أرمينية قبل دخول المسيحيّة إليها، أكثر من سائر الكنائس. علـى أنّ منظّريـن اعتـبروا أنّ هذه الكنيسة قد عمدت إلى "تنصـير" وتعميـد" العـادات الوثنيّـة القديمـة عوضًـا عـن منعها ومحاربة الناس المتعلّقين بها، فأدخلتها في صلب الرتب الدينيّة وأعطتها المعـاني الجديدة. على أنّنا نجد الكثير من تلك العوائد في مختلف الكنائس من دون استثناء. غير أنّ بقايا فارسيّة وزرادشتيّة تتفرّد بها الكنيســة الأرمنيّـة، مثـل طقـس إشـعال النـار فـي وسط الكنيسة والدوران حولها في عيد تقدمة المسيح إلى الهيكل. وممّا احتفظـوا بـه أو أدخلوه من عوائد وتقاليد قوميّة في الاحتفالات الدينيّة طقس بركة العنب فـي يـوم عيـد السيّدة العذراء، وتوزيعه على المؤمنين. وفيما يرى البعض أنّ هذا العيـد مرتبـط بعيـد آلهة الخمرة والكروم عند الأرمن الوثنيّين ويصـادف في شهر آب (أغسطس)، ويُدعـى "تفاسارت"، نجد الموارنة يحيون في الصيف عيد "سيّدة الزروع"[1]. على أيّ حال، فـإنّ الكنيسة الأرمنيّة قد حافظت على هذه العادة الشعبيّة وأدخلـت بركـة العنـب فـي صميـم الطقس الكنسيّ، بعد أن أعطته معنى خلاصيًّا ابتداء من نوح الـذي زرع الكرمـة، إلـى المسيح: الكرمة الحقيقيّة، ومن عرس قانا الجليل الذي حوّل فيه يسوع الماء خمرًا إلـى العشاء الأخير حيث جعل من الخمرة رمزًا لدمه الأقـدس. وهكـذا أيضًـا يصـادف عيـد التجلّي عند الأرمن عيد "أناهيد" إلهة الماء والينابيع، لذلك تسمّيه العامّة "عيد الرشاشـة" لأنّهم يرشّون الماء بعضهم على بعض. وعيد الصعود يصادف عيـد الربيـع والزهـور

---

١ ـ نجد عند الموارنة الكثير من البقايا الوثنيّة في عادات الشعب بمناسبات الأعياد، وأوضح مثال على ذلك عيـد مـار سـاسين فـي بيت مري على سبيل المثال.

فيذهب الأرمن في ذلك اليوم إلى البساتين ويحتفلون بالألعاب والمسابقات، مثل "شمّ النسيم". وفي عيد الصليب، يكون عيد الريحان، فيأتي المؤمنون إلى كنائسهم بالرياحين تقدمةً للربّ، كما كانوا يقدّمونها في ما مضى لآلهتهم الوثنيّة. أضف إلى ذلك أنّ رتب المعموديّة وبركة الإكليل ودفن الموتى هي مزيج من العادات المسيحيّة والوثنيّة التي يوليها الأرمن أهميّة كبرى[١]، ويقوم الإشبين بدور هام في حياة العائلة.

من جهة أخرى، يتميّز الفنّ الهندسيّ المعماريّ في بناء الكنائس الأرمنيّة بطابع خاصّ، فيكون اتّجاه الكنيسة دومًا نحو الشرق. فللقبّة شكل مخروطيّ عال، توضع بداخلها أجرار فارغة للحدّ من صدى الصوت. وغالبًا ما يكون البناء صغير الحجم خاليًا من الأعمدة في الوسط. ويقوم الهيكل الحجريّ على منصّة مرتفعة يرتقيها خدمة الهيكل دون سواهم بعد خلع أحذيتهم. أمّا الآنيّة التي تُستخدم في كنائس الأرمن مثل المباخر والشمعدانات وغلافات الإنجيل والصلبان، فتُعتبر بديعة بجمالها، وهي تنمّ عمّا اشتهر به الأرمن لجهة هذه الصناعة الحرفيّة اليدويّة[٢]، وغالبًا ما تكون الآنية مجمّلة بنقوش مأخوذة مواضيعها من العهدَين القديم والجديد. وتأتي المنمنمات MINIATURES الأرمنيّة في طليعة الفنون التي اختصّ بها رهبانهم في الأديرة، وقد زيّنوا بها الأناجيل المخطوطة وسائر الكتب الدينيّة[٣]. وتزدان الكنائس الأرمنيّة بمطرّزات يدويّة من

---

١ ـ بالإضافة إلى هذه الطقوس، تبنّت الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة بعض العادات المأخوذة عن اللاتين مثل "الصلاة الملائكيّة"، وصلاة "السبحة"، والشهر المريميّ، ورتبة درب الصليب، والاحتفال بالمناولة الأولى، والتطواف بالأيقونات، والسجود للقربان المقدّس، وإكرام التماثيل الدينيّة، وإنشاء الأخويّات التقويّة، وصنع المذود في عيد الميلاد...

٢ ـ أجاد الأرمن، منذ القدم، بصناعة الأدوات المعدنيّة المزخرفة، وبالحفر على الخشب وتطعيمه "حفرًا وتنزيلاً"، ولختصّ أرمن كوتاهيا بصنع الخزف الملوّن.

٣ ـ يشكّل القديم من هذه المنمنمات مادّة بحث علماء معاصرين للكشف عن سرّ ألوانها والموادّ المستخدمة فيها وطريقة حفظها.

صنع النساء الأرمنيّات، وتختلف النماذج الفنيّة منها باختلاف المناطق التي كان يعيش فيها الأرمن. ومن الفنون الأرمنيّة الكنسيّة، الصلبان المنقوشة في الحجر والمعروفة باسم "الخاجكار"، ولا يزال منها نماذج كثيرة بقرب الكنائس القديمة وفي المقابر حيث تُستخدم كشاهدة مسيحيّة فوق الدافن. أمّا الموسيقى الطقسيّة الأرمنيّة فتُعتبر من أجمل الألحان الشرقيّة، وقد هذّبها موسيقيّون أرمن كبار في القرن التاسع عشر، بعد أن درسوا فنّ الموسيقى في الغرب، ولمّا عادوا إلى بلاهم وضعوها في أشكال النوطة العالميّة، ووزّعوا فيها الأصوات وأدخلوا عليها المرافقة على الأرغن. وبالإضافة إلى هذه الألحان التي تستخدمها جميع الكنائس، هناك أيضًا ألحان خاصّة تختلف من منطقة إلى منطقة ومن دير إلى دير بحسب التقاليد الموروثة عن الأقدمين. وقد استخدم الأرمن، في ما مضى، حركات خاصّة تُسمّى "خاز" عوضًا عن النوطة، لم يُكشف سرّها حتّى اليوم[1].

---

١ ـ موسوعة الأديان في العالم، الكنائس الشرقيّة ٢، نشر EDITO CREPS, (بيروت،٢٠٠٠) ص ٧٢ ـ ٧٣.

الفَصْلُ الثَّالث

الكَنِيسَة الأرمَنيّة والعُهود الإسلاميَّة

فِي ظلِّ الإسلام: حقبة استقلال؛

في ظلّ السّلاجقة وتأسيس قيليقية؛

سقُوط قيليقية والبطريركيّة بطريَركيّات.

فِي ظلِّ الإسلام

مثلما فعل السريان المسيحيّون، وسائر أهل بلاد شرقي البحر الأبيض المتوسّط، في بداية الفتوحات العربيّة، معتبرين العرب المسلمين أبناء أعمام منقذين من حكم البيزنط، رحّب الأرمن بقدوم المسلمين معتبرينهم المنقذين من النير الفارسيّ. كان ذلك سنة ٦٥٠. وبالرغم من اختلاف الدين، فإنّ الفاتحين العرب قد وفّروا الأمان للأرمن وسمحوا له بممارسة شعائرهم الدينيّة شريطة أن يدفعوا الجزية ويحاربوا إلى جانبهم ويحفظوا الأمن. وأقام العرب على مناطق أرمنيّة واليًا يدير شؤون البلاد باسم الخليفة. وحافظ الولاة على النظام الإقطاعيّ، ولكن أولوا الرئاسة في الشمال لعائلة "بقرادوني" عوضًا عن عائلة "ماميكونيان". وفي الجنوب أعطوها لعائلة "أردزوروني" عوضًا عن عائلة "رشدوني". وقد تميّزت العلاقة بين العرب والأرمن بالعنف والشدّة أحيانًا، وباللين والتسامح أحيانًا أخرى. ولعلّ أفضل الأيّام كانت في عهد العبّاسيّين، إذ منحوا الحاكم "آشود البقرادوني" لقب "أمير الأمراء"، دون الاعتراف باستقلاليّة الأرمن تمامًا.

حقبَة استِقلال

يبدو أنّ الأرمن قد استطاعوا، في بعض المناطق الغربيّة، أن يستقلّوا بالحكم، فأعلنوا "آشود" ملكًا عليهم. على أنّ ظروف المعيشة في بلاد الأرمن بقيت صعبة في بداية العهود العربيّة، فلم تنشط الحياة الثقافيّة إلاّ بعد العام ٩٨٩، مع اعتلاء الملك

"كاكيك الأوّل" العرش الأرمنيّ، وميله إلى البيزنطيّين. والمقول أنّ هذا الملك قد حوّل قصره إلى مدينة "آني" وجعلها عاصمة المملكة. فازدهرت فيها حركة البناء وكثرت الكنائس حتّى دُعيت "مدينة الألف كنيسة وكنيسة". وما لبث أن نقل إليها أيضًا الكاثوليكوس سركيس الأوّل مقرّه البطريركيّ قادمًا من "أختامار" في العام ٩٩٢. ولعلّ كنيسة "أختامار"، على بحيرة "فان"، هي أهمّ ما شُيّد بين الأعوام ٩١٥ و٩٢١، وقد جاءت آية في الفنّ المعماريّ الهندسيّ. وبقي فيها الكرسيّ البطريركيّ من العام ٩٢٨ إلى العام ٩٩٢[1].

عندما لم يعد البيزنطيّون يكتفون بحماية العاصمة "آني"، بل طمعوا في الاستيلاء عليها لم يقاومهم الأرمن حقنًا للدماء. فتخلّى الملك "كاكي الثاني" عن العرش في العام ١٠٤٥، وسلّم البطريرك "بيدروس الأوّل" مفاتيح المدينة إلى الأمبراطور البيزنطيّ "قسطنطين مونوماك[2]". لكنّ المملكة البيزنطيّة لم تصمد أمام زحف السلاجقة الأتراك.

في ظلّ السلاجقة وتأسيس قيليقية

سنة ١٠٧١، كانت موقعة "منازكيرد" بين الجيش البيزنطيّ المدافع وبين الجنود السلاجقة المهاجمين، وقد أدّت رحاها إلى انتصار السلاجقة على الروم، واستيلاء

---

١ ـ برز في هذه الحقبة **كريكور ماجيمدروس** الذي أنشأ في آني جامعة لتعليم الآداب واللغات الشرقيّة والأوروبيّة؛ و**البطريرك أوهانيس** الذي وضع تاريخ الكنيسة الأرمنيّة وكنيسة الكرج؛ و**البطريرك مشدودز** الذي جمع الصلوات الطقسيّة والرتب الدينيّة في كتاب يحمل اسمه حتّى اليوم؛ و**الفقيه مخيتار كوش** الذي جمع القوانين المدنيّة والشرع الكنسيّ في كتاب سمّاه "كتاب المحاكمات"؛ موسوعة الأديان في العالم، الكنائس الشرقيّة٢، مرجع سابق، ص٥٢.

٢ ـ قسطنطين التاسع مونوماك أو مونوماكس، أمبراطور بيزنطي ١٠٤٢ ـ ١٠٥٥، على أيّامه حدث انفصال ميخائيل كرولاريوس عن الكنيسة الكاثوليكيّة.

الأوّلين على مدينة "آني" وجميع المناطق الأرمنيّة. وقد أدّى سقوط مدينة "آني" بيد السلاجقة إلى تشتّت المملكة الأرمنيّة الكبرى، فنزح الأرمن نحو الجنوب. وكان نزوح الجماعات الأرمنيّة من موطنها الأوّل زرافات في القرن الحادي عشر إبتداء من سنة ١٠٨٠ إلى قيليقية[1] هربًا من السلجوقيّين والمغول. وفي تلك في الحقبة الصليبيّة، أسّس الأرمن في قيليقية الإمارات التي انضمّت في ما عُرف بمملكة أرمينية الصغرى، بين جبال طوروس والبحر المتوسّط، سنة ١١٩٨ بمساعدة الإفرنج. ذلك أنّ قيليقية كانت منطقة فاصلة بين البيزنطيّين والعبّاسيّين، تجمّع فيها الأرمن منذ بدايات الفتح العربيّ، فلمّا وصل النازحون الأرمن الجدد رحّبوا بهم وساعدوهم في الاستيطان وأعلنوا قيام دولة جديدة في مواجهة الأتراك السلاجقة بزعامة الأمير "روبين الأوّل". ومع هذا النزوح، انتقل الكرسيّ البطريركيّ إلى قيليقية، فكان مقرّه الأوّل في "سياف لير" ثمّ في "دزوفك" ثمّ في "هرومكلا" (قلعة الروم) إلى أن استقرّ نهائيًّا في مدينة "سيس". ويتزامن إنشاء هذه الدولة الجديدة مع قدوم الحملة الصليبيّة الأولى سنة ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩، فاستفاد الفرنجة من القواعد الأرمنيّة للانطلاق نحو إنشاء محميّات صليبيّة مثل الرها وأنطاكية والقدس. واستمرّ التعاون بين الأرمن والفرنجة فازدهرت البلاد اقتصاديًّا وثقافيًّا، ووصلت إلى أوجها عندما نُصّب "ليفون دي لوسينيان" ملكًا على قيليقية بحضور ممثّل بابا روما وممثّل الأمبرطور، وذلك في العام ١١٩٨ في مدينة طرسوس. وقد دامت هذه المملكة ثلاثة قرون. ومع ضعف الصليبيّين بدأت هذه المملكة بالتقهقر تحت ضغوط المغول والتركمان والأتراك، إلى أن وقعت نهائيًّا تحت حكم المماليك الذين دمّروها سنة ١٣٧٥. فسيق الملك "ليفون السادس" وحاشيته إلى

---

١ ـ قيليقية أو كيليكيا CILCIE: منطقة في جنوب غربيّ تركيا الأسيويّة شمال سوريا، لها منفذ على البحر الأبيض المتوسّط، من مدنها: أدنه أو أضنه وطرسوس وسيس، وهي نفسها أرمينية الصغرى التي كانت مملكة مستقلّة في العهد الصليبيّ ١١٩٨ ـ ١٣٧٥.

مصر، ومن هناك انتقل إلى فرنسا حيث توفّي. وبقيت جاليات كبرى في المدن بعد سقوط هذه المملكة القيليقيّة[1]. وهكذا أصبح الأرمن يسبحون في الفضاء الطورانيّ[2]، وصار معظمهم جزءًا من رعايا الأمبراطوريّة العثمانيّة. وراحوا يخضعون لاختبار أليم لكلّ أنواع الجنس الطورانيّ من أتراك سلاجقة وقبائل مغوليّة وتركمان وأتراك عثمانيّين[3].

سقُـوط قيليقيَـة

والبطريركيّة بطريَركيّات

بعد سقوط مملكة قيليقية تعرّضت البلاد الأرمنيّة لغزو السلاجقة، ثمّ المغول، ثمّ جاء تيمورلنك وشنّ ثلاث حملات عاثت فسادًا وخرابًا في البلاد. وعمّت الفوضى حتّى القرن السادس عشر عندما تغلّب السلطان "سليم الأوّل" العثمانيّ على المماليك واستولى على البلاد الأرمنيّة في العام ١٥١٤. ولمّا قويت شوكة الدولة الفارسيّة واستردّت "تبريز" و"يريفان" و"كارس" و"وان"، لجأت الدولة العثمانيّة إلى إبرام معاهدة صُلح في العام ١٦٠٤، دخلت بموجبها المنطقة الغربيّة من أرمينية تحت الحكم العثمانيّ، والمنطقة الشرقيّة تحت الحكم الفارسيّ. وهكذا عرفت أرمينية في شرقها وغربها أحلك أيّام تاريخها الثقافيّ والدينيّ، فلم تُنشأ أيّ كنيسة. ولحسن الحظّ أنّ كثيرين من الأرمن نزحوا إلى بولونيا هربًا من الحرب وأخذوا معهم عددًا كبيرًا من المخطوطات، فأنشأوا جالية هامّة في مدينة "لفوف" حافظت على التراث من الضياع.

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص١٣.

٢ ـ الطورانيّ: نسبة إلى طوران، إسم أطلقه جغرافيّو العرب قديمًا على مقاطعة في بلوجستان؛ أمّا اللغة الطورانيّة فتصنيف مهجور للغات من غير فصيلة اللغات الهندو ـ أوروبيّة، كانت تُطلق أساسًا على لغات أواسط آسيا.

٣ ـ ALEM JEAN - PIERRE, *L'ARMÉNIE*, ED. P.V.F. COLL., QUE SAIS - JE, NO. 851 (PARIS,1962) P. 36.

هذه التطوّرات المتعاقبة التي أدّت إلى توزّع الأرمن في مناطق مختلفة، رافقها تشعّب في البطريركيّات. ففي العام ١١١٣، انفصلت كنيسة "أختمار" عن الكرسيّ البطريركيّ وأُعلنت كاثوليكوسيّة تمتدّ سلطتها على الأرمن المقيمين حول بحيرة "فان"؛ وفي العام ١٢٤٠ نال أسقف "الأغوان" في "كاراباخ" رتبة كاثوليكوس تمتدّ ولايته على الأرمن المقيمين في منطقة بحر قزوين، وجعل من دير "كانتساسار" مقرّه البطريركيّ؛ وفي القدس، أُنشئت بطريركيّة مستقلّة في العام ١٣١١، بعد أن كانت أبرشيّة منذ القرن الخامس ترعى شؤون الحجّاج الأرمن، دون أن تحصل على لقب كاثوليكوسيّة، إنّما كانت تخضع لكرسيّ "سيس"؛ ولمّا كان الكاثوليكوس "كريكور موسابيغيان" قد تخلّى عن كرسيّه البطريركيّ في "سيس" في العام ١٤٤١، طالب أساقفة أرمينية الكبرى بإعادة الكرسيّ البطريركيّ إلى مقرّه السابق في اتشميادزين، بعد أن انهارت مملكة قيليقية ولم يعد هناك أيّ مبرّر لبقاء الكرسيّ البطريركيّ خارج أرمينية الكبرى. لكنّ أساقفة قيليقية رفضوا نقل الكرسيّ البطريركيّ، وأصرّوا على بقائه في قيليقية التاريخيّة. فكان الانشقاق وتمّ انتخاب بطريركَين، فأصبح للأرمن آنذاك كاثوليكوس يقيم في "سيس" وله الولاية على أرمن قيليقية، وكاثوليكوس يقيم في "اتشميادزين" وله الولاية على الأرمن في أرمينية الشرقيّة. كما أنّ أبرشيّة القسطنطينيّة ما لبثت أن تحوّلت إلى بطريركيّة في العام ١٤٦١، بالنظر لوجودها في العاصمة العثمانيّة. خاصّة وأنّه مع ازدهار الأوضاع في العاصمة اسطنبول، بدأ الأرمن ينزحون من مدنهم وقراهم إلى اسطنبول، ويتولّون الوظائف الهامّة في البلاط الملكيّ، وأنشأوا المدارس والكنائس، وساهموا مساهمة فعّالة في نهضة العاصمة العثمانيّة عمرانيًا ومهنيًا وتجاريًا. وبالرغم من خضوع بطريركيّة اسطنبول دينيًا لكاثوليكوس "سيس"، كان نفوذ البطريرك المقيم في اسطنبول، أقوى من نفوذ الكاثوليكوس مدنيًا وإداريًا،

وقد أوكلت إليه السلطة العثمانيّة رعاية شؤون المسيحيّين من أرمن وسريان وكلدان؛ أمّا في أرمينية الشرقيّة الرازحة تحت الحكم الفارسيّ، فإنّ الكاثوليكوس لم يحظَ بهذه الامتيازات، وبقي الشعب بعيدًا عن كلّ تطوّر وازدهار، لا بل استغلّ شاه عبّاس هذه الفرصة ليقود إلى إيران عددًا كبيرًا من الحرفيّين الأرمن مع عائلاتهم، وأنشأ لهم مدينة قرب "أصبهان" معروفة حتّى اليوم باسم "تورجوغا". وكان لهؤلاء الأرمن الفضل الكبير في ازدهار الدولة الإيرانيّة.

وسط هذا التشتّت الأرمنيّ الواسع وفقدان الاستقرار، ضعفت أرمينية الكبرى وشُلّ اقتصادها وانحسرت الحياة الثقافيّة في الأديرة. ولعلّ أبرز ما يسجّل على الصعيد العلميّ والثقافيّ الأرمنيّ في تلك الحقبة، دخول الطباعة إلى "أتشميادزين" في القرن السادس عشر. ويعود الفضل في ذلك إلى الكاثوليكوس "ميكائيل السيباسدي" (١٥٤٢ - ١٥٧١) الذي أرسل الراهب "أبكار" إلى إيطاليا لتعلّم فنّ الطباعة، وحمّله رسالة توصية إلى البابا بيوس الرابع ليسهّل مهمّته، واستطاع هذا الراهب بمؤازرة الرهبان الإفرنج أن ينشئ مطابع أرمنيّة في البندقيّة وروما والقسطنطينيّة وأتشميادزين وأصفهان وأمستردام، حيث طُبع الكتاب المقدّس كاملاً في العام ١٦٦٦، بهمّة الأسقف "أوسكان".

الفَصْلُ الرَّابع

فِي ظلِّ الحُكم العُثمَانيِّ ومَذابِحِه

في ظلِّ الحُكم العُثمَانيّ؛ العلاقات بَين الأرمن والأكراد؛ الفتنة بين الأرمَن والأكراد؛
إستقدام الجَراكسَة وتوطينهم في أراضي الأرمَن؛ المجزرة الأرمنيّة؛ فرسان الحَميديّة؛
تفاصِيل حول المَجازر؛ مَجازر صاصُون سَنة ١٨٩٤؛ سيُروب وأنترانيك؛
نكَبات مَناطق ديار بَكْر والرُّها ونصّيبين ومَاردين؛
مَذابح في ظلّ التقارير الدبلوماسيّة؛ مِن الخُلاصات السّياسيّة؛
نهضةٌ أرمَنيّة في خضَمّ المَجازر.

في ظلّ الحُكم العُثمَانيّ

منذ بداية سيطرتهم واحتلالهم للمساحات الشاسعة من الأراضي التي عُرفت باسم "الأمبراطوريّة العثمانيّة"، انتهج سلاطين بني عثمان مع شعوب هذه المناطق، سياسة ثابتة، تقوم على مبدأ اتّخذ "طابعًا مقدّسًا"، وهو "فرّق تسد". إنّ هذا المبدأ لم يكن حكرًا على قوّة معيّنة في ذلك الوقت، بل كان، على ما يبدو، بمثابة "دستور" لأيّ قوّة احتلاليّة تُخضع شعوبًا أخرى لنفوذها وسيطرتها. وهكذا فعل سلاطين بني عثمان بالأرمن عندما جنّدوا الأكراد وعبّأوهم ضدّهم بقصد الإبادة أو التهجير، عبر إحداث شرخ هائل بين الشعبَين وفق ذلك المبدأ. إنطلاقًا من هنا، لا بدّ من استعراض العلاقات التي كانت قائمة بين الشعبَين الأرمنيّ والكرديّ[1].

العلاقَاتُ بَيـنَ
الأرمن والأكرَاد

إنّ أحوال الأكراد في تركيا الحاليّة عصبيّة، ويتعرّض الأكراد للاضطهاد والتعسّف والمظالم من السلطات بطريقة دائبة ومنتظمة. وتطبّق إزاء الشعب الكرديّ

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ٣٦ ـ ٣٧.

عمليًا سياسة إبادة عنصريّة. وقد كتبت إحدى الصحف الأوروبيّة عن ذلك: "إنّ كابوس التعاون بين الأرمن والأكراد عاد ليخيّم على تفكير الأكراد[1]".

في الواقع، كان التعاون بين الأرمن والأكراد من أعقد المشاكل التي أقلقت المستبدّين، لا في هذا العهد أو في القرن العشرين وحسب، بل وكذلك منذ العهود الأولى لقيام الأمبراطوريّة العثمانيّة. فقد كان الأتراك غزاة قادمين من الخارج، بينما كان الأرمن والأكراد من أهل البلاد الأصليّين، عاشوا على مدى عشرات القرون جنبًا إلى جنب، يستنشقون نفس الهواء، ويشربون نفس المياه، ويتقاسمون الأفراح والأتراح. وقد نشأت بين الأسر الكرديّة والأرمنيّة على مرّ الزمان، علاقات صداقة أصبحت تقليديّة؛ فكان لكلّ أرمنيّ تقريبًا صديق كرديّ يناديه "كيرفا" ويعتبرونه صديقًا عزيزًا للأسرة الأرمنيّة. وهناك وقائع ثابتة عديدة مدّ فيها كلّ من الأرمن والأكراد يد الإنقاذ بعضهم لبعض في مواجهة "يطقان" الترك[2]. وهكذا فقد عاش الأرمن والأكراد في سلام ووئام على مرّ العصور، ولم يكن ذلك ليجد هوًى في نفوس المستبدّين الأتراك قطعًا، حيث أنّ التحالف بين هذَين الشعبَين كان القوّة التي تهدّد السيطرة العثمانيّة في ولاياتها الشرقيّة حيث الأغلبيّة الساحقة من السكّان كانت من الأرمن والأكراد. وطغت لدى الباب العالي[3]، في قصر السلطان، تدريجًا، فكرة جهنّميّة، وهي أنّه لا بدّ من قطع

---

١ - زهر الدين د. صالح، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٣٨، حيث أورد الحاشية التالية: جاء ذلك في نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان" ضمن برنامج بعنوان "الحقيقة عن مجزرة أرمينية العظمى"، أُذيع في أواخر ١٩٨٤، وقد زوّدنا بهذه النشرة الأستاذ بارور برتميان.

٢ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٣٨.

٣ - **الباب العالي**: لقب كان يُراد به أوّلاً البلاط السلطانيّ في اسطنبول، ثمّ مقرّ الصدر الأعظم ١٧١٨ وسائر الوزارات والدوائر الرسميّة.

سبيل ذلك التحالف عبر طرد الشعبَين إلـى خـارج حدود الأمبراطوريّـة، أو تصفيتهمـا والقضاء عليهما. ويغلب في مراجع التاريخ الرأي القائل بأنّه نظرًا لأنّ الأكراد كـانوا مسلمين، كان الأتراك قد قرّروا منذ البداية تصفية الأرمن. لكنّ ذلك غير صحيح، فقد كانت السلطنة العثمانيّة أكثر تحيّزًا ضدّ الأكراد خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر، ولم تُطرح خطّة القضاء على الأرمن إلاّ في الخمسينات من ذلك القرن، وبالتدريج. وقد كتب الملحق العسكريّ الروسيّ في اسطنبول "زليونين" بشأن ذلك قائلاً:

> إنّ معظم الحركات في الشرق تبدأ من حالة الشعب الماديّة التي لا تُطاق. ويتعرّض للقهر، المسيحيّ والمسلم على السواء. وتبدأ حركات يشترك فيها هذا وذاك، إلاّ أنّ الحكومة تلجأ، لإنقاذ نفسها، إلى إثارة العداوات الدينيّة، وتحريض المسلمين والمسيحيّين بعضهم على بعض، بحيث تُغيّر المشكلة الاقتصاديّة طبيعتها وتتحوّل إلى صراع بين الهلال والصليب[١].

من خلال ذلك نصل إلى تاريخ العلاقات بين الأرمن والأكراد. فحتّى أواسط القرن التاسع عشر، كانت نواحي أرمينية الغربيّة تخضع لسلطة الباشوات الأتراك. لكنّ المسيطرين على الموقف كانوا، في الواقع، رؤساء القبائل الكرديّة الذين كان عليهم واجبان أساسيّان نحو الحكومة، وهما: دفع الضرائب، والانضمام بقوّاتهم المسلّحة الخاصّة إلى الجيش التركيّ في حالة الحرب. ولم تكن هذه العلاقات الإقطاعيّة مقتصرة على العلاقات مع الدولة، بل كانت أيضًا تشمل العلاقات بين رؤساء القبائل الكرديّة والبكوات، وبينهم وبين الأرمن الذين كانوا "رعايا تابعين" تبعيّة إقطاعيّة تماما

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٣٩، وأورد هنا هذه الحاشية: جاء ذلك في نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان" ضمن برنامج بعنوان "الحقيقة عن مجزرة أرمينية العظمى"، أذيع في أواخر ١٩٨٤، وقد زوّدنا بهذه النشرة الأستاذ بارور يرتسيان.

للإقطاعيّين الأكراد. فقد كان سيّد "طارون" المطلق، "بيت علاء الدين" الكرديّ الإقطاعيّ، الذي وسّع نطاق سلطته تدريجًا وأصبح ينهج في الواقع سياسة شبه مستقلّة، وقد خاض في حالات غير قليلة معارك ناجحة ضدّ باشويّة "أرضروم[1]" التركيّة. وكان كلّ الأرمن، بغضّ النظر عن مراتبهم أو ثرواتهم، محرومي الحقوق بالنسبة إلى الأكراد والأتراك. ولم يكن لهم حقّ حمل السلاح. وكذلك كان فقراء الأكراد يُعتبرون "رعايا"، ولكن نظرًا لكونهم مسلمين، كانت حياتهم مصونة وكان يحقّ لهم حمل السلاح[2].

وفي سنة ١٨٣٨ صدر في الأمبراطوريّة العثمانيّة قانون "التنظيمات" الذي تضمّن سلسلة كاملة من الإصلاحات في كلّ المجالات. وفي ذلك الوقت اتّخذت السلطات التركيّة إجراءات حاسمة للحدّ من حقوق رؤساء العشائر الكرديّة وامتيازاتهم، وقضت بإقامة هيئات حقيقيّة لسلطة الدولة في كلّ أنحاء البلاد تتولّى الحكم. وهكذا انتهت مرحلة سيطرة زعماء العشائر الكرديّة المطلقة، ولكنّها، رغم فقدانها السلطة على الولايات، لم تفقد سلطتها عمومًا. فقد بقي لكلّ رئيسِ عشيرةٍ قريةً أو حتّى قضاء بكامله، كان السيّد المطلق السلطة عليها. وكان الكثير من رؤساء العشائر يتولّون الزعامة الدينيّة والمدنيّة معًا. واعتبرت حكومة السلطان هذا أمرًا غير مقبول. وحفلت الخمسينات والستّينات من القرن التاسع عشر بعمليّات متعاقبة قام بها الجيش التركيّ ضدّ القبائل الكرديّة، فكانت القوّات المسلّحة التركيّة تكتسح المناطق المأهولة في أرمينية الغربيّة، وتعتقل رؤساء القبائل الكرديّة وتنفيهم وتدمّر بيوتهم وممتلكاتهم.

---

١ - أرضروم ERZURUM : مدينة في شرقي تركيا، كانت تُسمّى ثيودوسيوبوليس في العهد البيزنطيّ، فتحها حبيب بن مسلمة ٦٥٥، احتلّها السلجوقيّون في القرن الحادي عشر وأطلقوا عليها اسم أرضروم أي أرض الروم، عقد فيها مصطفى كمال أول مؤتمر قوميّ ١٩١٩.

٢ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٤٠.

وبدأت عمليّة تتريك الأكراد جماعات بواسطة إكراههم على الإسلام. وصُفّي نظام الإقطاعات، وأصبح أهل القرى تابعين لسلطات الدولة مباشرة. وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب للدولة العثمانيّة وليس للإقطاعيّين الأكراد. كما فرضوا على الأرمن دفع الضرائب للدولة، وكذلك الأتاوات للأغوات الترك. ونتيجة لذلك كانت القرى الأرمنيّة تنهار اقتصاديًّا. واضطرّ الأرمنيّ، وهو من درجة "الرعيّة"، إمّا إلى أن يحمل عصا الترحال ويهاجر، وإمّا أن يتحوّل إلى أجير فقير بالمياومة. وكان لا بدّ لتلك الإصلاحات السلطانيّة من أن تثير مقاومة زعماء القبائل الكرديّة. واجتمع بعض بيوت الأكراد كآل "بدرخان"، و"أفضل بك"، و"سيّد بك"، في "وان[1]" وغيرها، محاولة الاتّحاد وإعلان التمرّد[2]. ولكن، قبل أن يتسنّى لها ذلك، تحرّك عام ١٨٤٧ جيش تركيّ قوامه مائة ألف مقاتل بقيادة "عثمان الأعرج" قادمًا من وان وأرضروم وديكرانا كيرت، متوجّهًا نحو طارون. وعمل الجيش التركيّ تقتيلاً في الأكراد بلا رحمة. وأعدم الكثير من زعماء الحركة على الخوازيق والمشانق وبحدّ السيف. وفي شهر تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٧٨ بدأت حركة "حسين" و"عثمان بك" ابنَي "بدرخان"، وتلتها انتفاضة "عبيد اللّه النهري" عام ١٨٨٠ الذي كان يطالب بحريّة كردستان[3] واستقلالها، فبذل الباب العالي كلّ الجهد لتحويل هذه الحركة ضدّ الأرمن أو بلاد الفرس، لكنّ عبيد اللّه عارض طلب الحكومة بالقضاء على الأرمن.

---

١ ـ وان: هي نفسها فان VAN، المدينة التركيّة على الشاطئ الشرقيّ لبحيرة فان.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٤١.

٤ ـ كردستان: منطقة جبليّة بين الأناضول وأرمينية وأذربيجان والعراق، يتقاسمها تركيا والعراق وإيران والاتّحاد السوفياتي السابق، سكّانها أكراد.

الفِتنَــة بيـــنَ

الأرمَن والأكراَد

أمام معارضة عبيد اللّه الكرديّ طلب الحكومة إليه بالقضاء على الأرمن، لجأت الأمبراطوريّة العثمانيّة إلى كلّ وسيلة لاستدراج الزعيم الكرديّ إلى اسطنبول ونجحت في ذلك في تمّوز (يوليو) ١٨٨١، وقضى عبيد اللّه سنة كاملة في العاصمة العثمانيّة، محاطًا بكلّ تكريم، كما أُعطي تعليمات مفصّلة لتدبير مجازر ضدّ الأرمن، ولكنّه، عندما وصل إلى "فاسبيراغان" أوصى الأكراد بحسن معاملة الأرمن، وأوضح لهم أنّ عداءهم للأرمن حتّى ذلك الحين كان خطأ. ولم تغفر الأمبراطوريّة العثمانيّة ذلك لعبيد اللّه، فاعتُقل ثمّ قُتل وهو في طريقه إلى أنقره سنة ١٨٨٣. وهكذا تكلّل بالنجاح، سعيُ قصر السلطان إلى السيادة الفعليّة على كلّ المناطق الداخلة في الأمبراطوريّة. وكانت تلك المهمّة قد نُفّذت في معظمها في السبعينات من القرن التاسع عشر. ونقول، في معظمها، لأنّ "صاصون" مثلاً كانت ترفض الخضوع للسلطات التركيّة ودفع الضرائب لها، فغزاها الجيش التركيّ عام ١٨٦٤ لإخضاعها، لكنّ الأرمن والأكراد اتّحدوا في تلك المنطقة الجبليّة وهزموا الترك عند جسر "ضالفوريك" وردّوهم عن "صاصون". فظهر للباب العالي، مرّة أخرى، أنّ التضامن بين الأرمن والأكراد هو بمثابة أعظم خطر في شرق الأمبراطوريّة. فلجأ الباب العالي إلى مختلف الوسائل لإحباط التقارب بين الشعبَين عبر تصعيد الخلافات والعداء بينهما. ولهذا الغرض كانوا يستميلون الطبقة العليا من الأكراد، ويزايدون على التعصّب الدينيّ عند الأخيرين، على أساس أنّ الترك والأكراد أشقّاء لكونهم مسلمين، ويرهبون الأكراد من ناحية أخرى بزعم أنّ الرعايا الأرمن يريدون إقامة "أرمينية" على أراضي كردستان. وعلاوة على ذلك، قيل للأكراد، بصراحة: إنّ أيّ عمل يقومون به ضدّ الأرمن، حتّى ولو كان مجازر أو

نهبًا، لن تعتبره الدولة العثمانيّة جريمة. وعليه فإنّ باستطاعة الأكراد أن ينهبوا ويأسروا ويقتلوا الأرمن دون أن يصيبهم عقاب. وكان الباب العالي ينادي في الأكراد "بأنّ على كلّ مَن هم من أتباع محمّد أن يؤدّوا واجبهم ويقتلوا كلّ الأرمن، وينهبوا بيوتهم، ويحرقوها، ويسوّوها بالأرض، وألاّ يرحموا أيّ أرمنيّ، وهذا هو رأي السلطان". كما أوعزت السلطات التركيّة إلى الأكراد بمعاملة الأرمن كالعبيد. فاتّخذ زعماء العشائر الكرديّة خطوات نشطة، فوقعت صدامات عديدة بين الأكراد والأرمن على هذا الأساس. وإذ رأى الأرمن خطورة الحالة التي نشأت، قرّروا التسلّح بكلّ وسيلة، والردّ على ما يتعرّضون له من اعتداءات، وأفهم ذلك رؤساء العشائر الكرديّة أنّ منازلة الأرمن لن تعود نهبًا ولهوًا، بل إنّ إراقة الدماء سيُردّ عليها بإراقة الدماء. إلاّ أنّ تحذيرات زعماء العشائر الكرديّة العاقلين بأنّ الاصطدام بالأرمن ليس في صالح الأكراد، بل في صالح الترك، قد بقيت صرخة في واد، دون أن تجد لها آذانًا صاغية[1].

في هذا الوقت، كان أحد بكوات الأكراد المدعوّ موسى بك، قد أصبح طامة كبرى على أرمن طارون في الثمانينات من القرن التاسع عشر. وكان تحت تصرّفه كتيبة مؤلّفة من ٤,٥٠٠ رجل مسلّح، لا همّ لهم سوى القتل والنهب، وكان يعتبر نفسه مالك طارون، وينتقم بوحشيّة من كلّ مَن يتصرّفون كمستقلّين. ذلك البك قد أحرق ٣٥ قرية أرمنيّة، وارتكب جرائم أخرى عديدة، لم يعاقَب عليها، بل كافأه السلطان بتعيينه في منصب رفيع ومنحه مرتّبًا كبيرًا. وكان الآغا حسين وحشًا ضاريًا أدّى بأهل "الأشكيرت" الأرمن إلى حدّ اليأس بسبب جرائمه، وكان هو أيضًا يتمتّع برعاية

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٤٢ ـ ٤٤، عن نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان".

السلطات العثمانيّة وحمايتها. وكان عمدتا قريتَي "أركافانك وقارص أوهـان"، و"ميرو"، من قرى طارون، عدويَّن لدودَين لموسى بك، وكانا يبعثان، باستمرار، بشكاوى ضدّ تصرّفاته، فاعتقلت السلطات العثمانيّة موسى بك لتخويفه، ثمّ أطلقت سراحه بعد ثلاثة أيّام عقب الحصول منه على ثلاثماية جنيه رشوة. وقد عمد الترك بذلك إلى إثارة ضغينة موسى على الأرمن، حتّى يرتكب ضدّهم أعمالاً أعنف وأكثر دمويّة. وما إن خرج موسى من السجن حتّى قرّر الانتقام من القريتَين مهما كلّفه الأمر. وأمسك بأوهان وأحرقه، ثمّ هاجم موسى بك قرية قارص على رأس ١٥٠ مقاتلاً واحتلّها وقتل عددًا من أهل بيت عمدة ميرو، وأخذ ابنته القاصر "كيوليزار" ومضى. وهزّت الحادثتان الأرمن في طارون، فبعثوا بشكاوى جماعيّة إلى اسطنبول التي حكمت على موسى بك بالبراءة، وفقًا لتعليمات السلطان عبد الحميد. وفوق ذلك لقي تكريمًا عظيمًا من القصر السلطانيّ. وممّا يعبّر عن أحوال الأرمن في أرمينية الغربيّة عبارة الاستغاثة التي وردت في صحيفة "مشاك" الأرمنيّة وتقول: لا بدّ فقط من التفكير في ما نفعل حتّى يبقى على أرض أرمينية حتّى العام القادم ولو أرمنيًّا واحدًا، عريانًا، ولكن على قيد الحياة[1].

وممّا كان يُسهم في انهيار الفلاّحين الأرمن، اقتصاديًّا، أعمال السلب والنهب التي كان رؤساء العشائر الكرديّة يقترفونها بموافقة السلطات وتأييدها. وكان من الأمور المعتادة شنّ الهجمات على القرى الأرمنيّة ونهب ممتلكات القرويّين وماشيتهم. وكانت الضرائب التي تُجبى من الأرمن خمسة أضعاف ما كان يُجبى من الأكراد[2].

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٤٦، عن نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان".

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٤٦.

إستقـــــــــدام الجَراكسَـــــة
وتَوطينُهم في أرَاضي الأرمَن

كان العاملون الأكراد والأتـراك يتعرّضـون، هـم أيضـًا، للاستغلال، لكنّهـم خلافًـا للأرمن، كانت ذواتهم وممتلكاتهم وحياتهم مصونـة مـن كلّ اعتـداء. بينمـا كـان يحـقّ التعسّف بـالأرمنيّ ونهبـه وقتلـه دون أيّ عقـاب. ومـا زاد الحالـة سـوءًا هـو جلـب الجراكسة[1] من القوقاز[2] وتوطينهم في أراضـي الأرمـن والسماح لهم بحمل السلاح، علـى خـلاف الأرمنـيّ الـذي لا يحـقّ لـه التسلّح. وقـد مُنـح الجراكسـة حقوقًا إداريّـة وبوليسيّة بينما كان الأرمن من أهل الريف معتبَرين خارجين على القانون ومحرومـي الحقوق. فبلغت أعمال النهب والسلب والتعسّف أشدّها، وسُبيت النساء والبنات الأرمن، وكـان الأكـراد، فـي بعـض المنـاطق، يحتفظـون لأنفسـهم بحـقّ الاعتـداء علـى بكـورة الأرمنيّات المسبيّات لدى زواجهنّ. ومـن خـلال إرغـام الجراكسـة علـى الاختيـار بيـن العيش والنهب أو الموت من الفقر، كان السـلطان يرمـي إلـى هدف مركـزيّ يتمحـور حول تخريب القرى الأرمنيّة بأيدي الجراكسة، وإرغام الأرمن على هجرة بلادهم[3].

لكـنّ الوضـع لـم يقـف عنـد هـذا الحـدّ. فالعلاقـة بيـن الـتركيّ والأرمنـيّ فـي الأمبراطوريّة العثمانيّـة كـانت أقـرب مـا تكـون إلـى العلاقـة بيـن السيّد وعبـده، فكـان الأرمنيّ ملزمًا بإيواء أيّ تركيّ يحـلّ فـي قريتـه وإطعامـه هـو ودابّتـه. وكـان الأرمـن كالرقيق يُباعون ويُشترون، شأنهم في ذلك شأن السـلع والمقتنيـات. واسـتمرّت السـلطة

---

١ ـ **الجراكسة أو الجركس أو الشركس**: شعوب قطنت سابقًا غربي القفقاس والشاطئ الشرقيّ للبحر الأسود، هاجر أغلبها إلى تركيا وسورية والأردن ولبنان.

٢ ـ **القوقاز أو القفقاس** CAUCASE : جبال في جنوب غرب الاتّحاد السوفياتيّ السابق، بين بحر قزوين والبحر الأسود، تمتدّ على طول ١,٢٠٠ كلم، أعلى قممها بركان البرز ٥,٦٣٣م.

٣ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٤٧ ـ ٤٨.

العثمانيّة في تشجيع الأكراد على النيل من الأرمن سرًّا، وعلى التوعّد بمحاكمتهم علنًا، وكان الأرمن يصدّقون. وبات سبيُ النساء والبنات والاستيلاء على الأراضي الأرمنيّة ونهب المواشي من الأمور اليوميّة المعتادة، فكان لا بدّ للأرمنيّ من أن يهجر بلده. وفي أواخر القرن التاسع عشر صودر ٤١ ألف هكتار من أراضي المزارعين الأرمن، وفي نفس الحقبة كان قد هاجر من أرمينية الغربيّة أكثر من ٢٥٠ ألف أرمنيّ. وفي عام ١٨٧٧ نشبت الحرب بين روسيا وتركيا، فجعلت الأمبراطوريّة العثمانيّة تواجه موقفًا عصيبًا. وكانت انتصارات الجيش الروسيّ تبعث الأمل في نفوس الشعوب الرازحة تحت النير التركيّ القاسي، وخالجت تلك الآمال أوساط الأرمن الغربيّين أيضًا. إلاّ أنّ العام ١٨٧٨ شهد حدثًا دوليًّا بالغ الأهميّة تمثّل بانعقاد مؤتمر برلين، الذي بذل فيه الوفد العثمانيّ كلّ جهد لإلقاء تبعة المسؤوليّة عن قهر الأرمن على عاتق الأكراد، ونجح في ذلك بمساعدة الدول الغربيّة. وكان لا بدّ بالطبع من أن يكون لذلك أثره على العلاقات بين الأرمن والأكراد. وفي الوقت نفسه، كفّ السلطان تمامًا عن اضطهاده للأكراد، بل سمح لهم بإنشاء مشيخة كرديّة بغرض استغلالها كوسيلة لبثّ سياسة اضطهاد الأرمن بين الشعب الكرديّ. وعندما وقعت الحرب الروسيّة العثمانيّة، احتلّت روسيا مساحة من الأراضي الأرمنيّة. وعند توقيع معاهدة الصلح ببين العثمانيّين والروس، طُرحت القضيّة الأرمنيّة لأوّل مرّة على مسرح المحادثات السياسيّة. وبالفعل وُقّعت المعاهدة المذكورة في "سان ستيفانو" قرب اسطنبول، وكان البند السادس عشر منها ينصّ على الاعتراف بنوع من الحكم الذاتيّ للأرمن تحت إشراف ومراقبة روسيا القيصريّة، مع ضمان حقّ روسيا في السيطرة على الجزء الذي كانت قد ضمّته إليها إبّان الحرب[1].

---

١ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٤٩ - ٥١.

المجزَرة

الأرمنيَّة

أدخل الغزو الروسيّ للأراضي الأرمنيّة الشماليّة في إيران وتركيا تغييرًا أساسيًّا، إذ نصّب القيصر نفسه حاميًا لكلّ مسيحيّ الشرق، ومنهم الأرمن، فاتحًا بذلك أبواب القوقاز أمام الهاربين من التعسّف والقمع في تركيا. وفي غضون السنوات الخمسين الممتدّة ما بين ١٨٣٠ و ١٨٨٠ شكّلت المسألة الأرمنيّة جزءًا من المسألة الشرقيّة. وقد تميّزت هذه الأخيرة باستبداديّة الإدارة وتخلّفها في الأمبراطوريّة العثمانيّة المتداعية، وبيقظة الشعوب المستعمَرة وتحرّرها التدريجيّ. وراحت بعض محاولات الإصلاح، غير المجدية، تبرز نتيجة "المداخلات الإنسانيّة" التي قامت بها الدول الكبرى[1]. كذلك اتّسمت المرحلة بالمنافسات بين الدول المتدخّلة، وتعارض مصالحها الماديّة. هذا فضلاً عنِ الطمع الروسيّ الذي جوبه بالقوّة العسكريّة النمساويّة ـ الهنغاريّة والألمانيّة من جهة، وبالسياسة البريطانيّة المؤيّدة تقليديًّا لتركيا من جهة ثانية[2].

فاتّفاقيّة "سان ستيفانو" لم تحظَ بموافقة القوى الأوروبيّة التي اعتبرت بنود المعاهدة الجديدة وكأنّها تكريس لسيطرة النفوذ الروسيّ، وكانت بريطانيا وألمانيا في طليعة الدول الأوروبيّة المعترضة. لذلك لم تنفَّذ بنود الاتّفاقيّة، فطُلب تعديلها في مؤتمر ثانٍ عُقد خلال السنة نفسها في برلين حيث عُدّل البند السادس عشر المتعلّق بالقضيّة

---

١ - MANDELSTAN ANDRÉ, *LA SOCIÉTÉ DES NATIONS ET LES PUISSANCES DEVANT LE PROBLÈME ARMÉNIEN*, 2ÈME ÉD. (BEYROUTH, 1970)

٢ - العزّي د. غسّان، المجزرة الأرمنيّة (١٩١٥) وثائق من الأرشيف الدوليّ، مركز الدراسات الأرمنيّة (بيروت،١٩٩٧) ص١٤.

الأرمنيّة، وحلّ محلّه بند جديد يحمل رقم ٦٢ من معاهدة برلين[١]، وينصّ على أن تسارع الدول العثمانيّة إلى تنفيذ مجموعة من الإصلاحات في الأراضي التي يسكنها الشعب الأرمنيّ، وقد حُذفت من البند كلّ كلمة تأتي على ذكر أرمينية. وهذه الإصلاحات المطلوبة تنفّذها الدولة العثمانيّة تحت إشراف الدول الأوروبيّة مجتمعة. فكان هذا البند بمثابة تراجع بالنسبة للأرمن لأنّ واضعي بنود المعاهدة الجديدة عمدوا إلى استبعاد أيّة إشارة إلى وطن الأرمن[٢]. أمّا بطريرك الأرمن آنذاك في اسطنبول، الذي شارك في مؤتمر برلين بصفة مراقب، فعاد بخيبة أمل كبيرة، وأدلى بتصريح شهير شبّه فيه بنود المعاهدة الجديدة بـ "طنجرة هريسة"، وعلى المدعوّين أن يأكلوا كلّ بملعقته الخاصّة، وقال: كانت ملاعقهم من معدن، أمّا ملعقتي فكانت من ورق. وتوجّه إلى مواطنيه الأرمن قائلاً لهم: إذا شئتم أن تأكلوا فما عليكم إلاّ أن تتسلّحوا بملاعق معدنيّة. وهو يعني بكلامه هذا حمل السلاح[٣].

إزاء هذا الوضع، ضعفت قوّة الأرمن، وازدادت بالمقابل حملات التنكيل ضدّهم، وارتفعت خطب مشايخ الأكراد وأئمّتهم في الأوساط الكرديّة تتضمّن العبارات التحريضيّة والتعبئة الحاقدة ضدّ الأرمن. وكان من بين هذه الخطب مثلاً:

---

١ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، ص ٥٢، نقلاً عن: MANDELSTAM ANDRÉ, *LA SOCIÉTÉ DES NATIONS ET LES PUISSANCES DEVANT LE PROBLÈME ARMÉNIEN*, PRÉFACE DE NAÏM EDMOND WADIH (BEYROUTH,1970), PP.36- 47.

٢ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، ص ٥٢، نقلاً عن: مجلّة النهار العربيّ والدوليّ، اللبنانيّة، تاريخ ٢٢ ـ ٢٨ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٧٩، ص٤٠ ـ ٤١، ومجلّة "الوطن العربيّ"، باريس، تاريخ ٢ أيّار (مايو) ١٩٨٠، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٣ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٥٢، نقلاً عن: مجلّة "صباح الخير ـ البناء" اللبنانيّة، تاريخ ١١ آب (أغسطس) ١٩٧٩، ص ١٧.

إنّ المسيحيّين كفّار، قد خلقهم اللّه لمتعتنا، وكلّ ما لهم لنا: من ثروة وجميل بين الذكور والإناث، وكلّ ما يؤكَل عندهم حلال لنا، والاستيلاء على غنمهم ومواشيهم ليس حرامًا[1].

فَهِم المتنوّرون الأكراد أبعاد هذه التعبئة التي تسعى إلى استخدام الأكراد كأداة للقضاء على الأرمن. لكنّ نفوذهم كان ضعيفًا، فلم يستطيعوا منع المواطنين الأكراد من مقاومة المخطّط الرامي إلى تصفية الأرمن، كما عجزوا عن وضع حدّ لجشع رؤساء العشائر الكرديّة. وقد استُشهد العديد من القرويّين الأرمن دفاعًا عن عرض زوجاتهم وبناتهم؛ فوفقًا للمعايير التركيّة الأخلاقيّة يُعتبر مَن يدافع عن عرضه من الأرمن أو من غيرهم من المسيحيّين، أنّه يهين الإسلام، ولا بدّ من عقابه. ولم تكن الحكومة التركيّة تقف عند حدّ تأييد جرائم العشائر الكرديّة، بل كانت تحرّض على تلك الأعمال. وكان كثيرون من الأكراد يعلنون صراحة أنّ لديهم تعليمات باضطهاد الأرمن، وأنّه مهما ارتكبوا من مظالم ضدّ المسيحيّين فإنّ تبرئة ساحتهم في المحاكم مضمونة[2].

في هذا الوقت استغلّ السلطان العثمانيّ تنازُع الدول الأوروبيّة وتصارعها، وأيقن عدم اهتمامها بالإصلاحات المقرَّرة في مؤتمر برلين. وفهم أنّه أصبح حرّ التصرّف، لأنّ الخلافات بين تلك الدول قوّضت نهائيًّا جبهتها ضدّ الترك. وقد فسّرت سلسلة البرامج التركيّة الفشل في تنفيذ الإصلاحات في أراضي أرمينية الغربيّة على الشكل التالي: لقد ذُكر في حلقة الثامن عشر من تمّوز (يوليو) ١٨٨٤ أنّ "ويلان" الموظّف في السفارة البريطانيّة شرح الأطباع الأرمنيّة السيّئة في مذكّراته، وجاء فيها "أنّ أهل

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٥٢ ـ ٥٣، عن نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان".

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٥٢ ـ ٥٤.

الأناضول لم يبلغوا من النضج الفكريّ ما يسمح بإجراء الإصلاحات، وأغلبيّة فئات السكّان أميّون وغير راقين". إنّها ملاحظة للاستعمار البريطانيّ يتذرّع بها المستعمرون والمستعمرون الجدد لإطالة أمد سيطرتهم. وتبع الترك نفس المنطق. فالأتراك أهل لحكم أمبراطوريّة شاسعة، ولحياة سياسيّة مستقلّة، أمّا الأرمن فليسوا أهلاً لا للاستقلال، ولا للعيش في ظروف لائقة داخل إطار الأمبراطوريّة العثمانيّة. أمّا في حلقة الثامن عشر من تمّوز (يوليو) ١٨٨٤، فقد ذرف المتحدّث الدموع الحارّة نيابة عن السلطان زاعمًا أنّ السلطان كان شديد الرغبة في إجراء الإصلاحات، لكنّ الخزينة كانت خاوية، وامتنعت بريطانيا عن تقديم أيّ قرض. ولكن لم يسأل أحد من أين أتى السلطان نفسه بالمال لشراء عشرين ألف بندقيّة وزّعها مجّانًا على الأكراد؟؟؟ وعندما كان الترك يعدّون العدّة للهجوم على صاصون في عام ١٨٩٠، أوفد حاكم "موش" إلى قرية "آفزات" "رشيد أفندي" ليفتّش عن الأسلحة فلم يجد شيئًا، وعاود التفتيش مرّة ثانية دون جدوى، فهدّد أهل القرية وطالبهم بالذهاب إلى قرى أخرى وإحضار أسلحة. فذهبوا ووجدوا في قرية مجاورة بعض السيوف القديمة. وعندما رأى الحاكم تلك السيوف صاح: "أرأيتم أنّي كنت على حقّ؟". لقد كان السلطان بحاجة إلى مثل تلك الأدلّة ليُظهر الأرمن في مظهر المتمرّدين ومثيري القلاقل. وكان عملاء السلطان ينشرون أخبارًا كاذبة بواسطة الصحف الخارجيّة عن أنّ الأرمن يتسلّحون ويعدّون العدّة للتمرّد ويحصلون على مقادير كبيرة من الأسلحة والذخائر من الخارج[1].

---

١ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٥٤ - ٥٥، عن نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان".

فرسَـــان الحَميديَّة

إتّخذ السلطان خطوة كبيرة أخـرى علـى طريـق الإعداد لمجازر الأرمن. فشكّل بمشورة دبلوماسيّين بريطانيّين ألويـة فرسـان سُمّيت بـ "الحميديّـة" وكـانت مؤلّفـة من أكراد دون سواهم[1]. وكُلّف قائد جيش الأناضول الرابـع "زكـي باشـا" بتشكيل وحدات الحميديّة، التي كان الغرض منها إخلاء المناطق الواقعة على طول الحدود التركيّة مـع روسيا من أهلها الأرمن، وتدبير تصفيتهم بطريقة منتظمة حتّى يتقلّص عددهم في كلّ ولايات أرمينية الغربيّة الخمس إلى الحدّ الذي تزول الحاجة فيه إلى إجراء إصلاحـات خاصّة لأهل البلاد الأرمن. وشكّل زكي باشا لواء من ألوية الحميديّة فـي "آلاشكيرت" وسلّحه، وأمره بقتل الأرمـن، والقضـاء عليهم من دون سبب أو مناسبة، كما حدّد السلطان مهمّة ألوية الحميديّة بما يلي:

مراقبة الأرمن وسائر المسيحيّين وخنق حركاتهم وتدميرهم اقتصاديًا، واضطهادهم وتقتيلهم، ودفعهم إلى الهرب من منـاطق إقـامتهم". أيّ مـا معنـاه تنفيـذ تصفيـة الأرمـن سواء بالمجازر أم بالقهر الاقتصاديّ والسلب والنهب والتهجير. ومجمل القول "أنّ عبد الحميد أخذ ينظر إلى الأرمن كبلغاريا ثانية تجب إزالتهم من الوجـود[2]". وفُرض علـى كلّ أسرة كرديّة أن تُسهم في قوّات الحميديّة بشـاب واحد علـى الأقلّ يكـون قد نـاهز السـابعة عشـرة مـن العمـر، وأن تـزوّده بالسـلاح والعـدّة والكسـاء، بينمـا توفّـر

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٥٥ ـ ٥٦؛ ويذكر المدوّر مروان في كتابه الأرمن عبر التاريخ ص ٣٩٨، أنّ فرَق فرسان الحميديّة جاءت بكاملها مؤلّفة من القوميّات غير التركيّة كالألبان والشركس وغيرهم، عكس ما ذكرتـه نشرة إذاعـة أرمينية من يريفان، ص ٢١؛ يراجع في ذلك أيضًا كتاب جليلي جليل، نهضة الأكراد الثقافيّة والقوميّة في نهاية القرن التاسع عشـر وبداية القرن العشرين، رابطة كاوا للثقافة الكرديّة، رقم ٩، دار الكاتب (بيروت،١٩٨٦) ص ٥٣ ـ ٥٤.

٢ ـ زهر الدين د. صالح، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٥٦، نقلاً عن: إميل بول، تاريخ أرمينية، ترجمة شكري علاوي.

لهم الدولة التركيّة البنادق والذخيرة والطعام. وكان رئيس العشيرة يتصرّف في الغنائم ويتولّى قيادة اللواء، بينما يتولّى أقاربه باقي مناصب القيادة. وكان القادة رؤساء العشائر على الأعمّ رؤساء عصابات إجراميّة من أمثال موسى بك، وكانت لهم سلطات مطلقة في ألويتهم. وهكذا تحوّلت ألوية الحميديّة إلى عصابات إجراميّة شكّلتها الدولة. وكان السلطان لا ينفكّ يبعث النقمة في الأكراد على الأرمن بإشاعته أنّ الأرمن يرغبون في إقامة دولة مستقلّة وتحويل "كردستان" إلى "أرمنستان"، وأنّ الأرمن، رعايا الأمس، يريدون أن يصبحوا سادة البلاد ويحوّلوا الأكراد إلى رعايا. وقد أدّى هذا، بالإضافة إلى ألوية الحميديّة، والامتيازات التي منحتها السلطات التركيّة للعشائر الكرديّة، واختلاف الدين، أدّى إلى خلق صراع بين الأرمن والأكراد استغلّه السلطان في تقتيل الأرمن بأيدي حلفائهم بالأمس. فقد كان أفراد الألوية الحميديّة ينهبون الأرمن الأثرياء ويهدمون البيوت، ويُحرقون القمح ويخرّبون القرى، ويذبحون الماشية، ويسبون الفتيات، ويعتدون على أعراض المتزوّجات، ويقتلون أهالي قرى بكاملها، ويتمتّعون بالحصانة الدبلوماسيّة وتُدفع لهم المرتّبات[1].

لم يكن الفرد في الأمبراطوريّة العثمانيّة، أيًّا كان انتماؤه القوميّ أو الدينيّ، مواطنًا بالمعنى الصحيح. بل كان من رعايا السلطان. وكان الإنسان مجبرًا على أن يكون من رعاياه أو من الذين يلجأون لحماية قنصل من قناصل الدول الأجنبيّة. وعلى هذا الأساس قُسّم الرعايا إلى فئتَين: المسلمين، وغير المسلمين أي النصارى واليهود. وهذه الفئة الثانية كانت تُعرف بأهل الذمّة، ويُطلق عليها لفظ "رعيّة" التي تعني عمليًّا "طائفة من الدرجة الثانية أو الثالثة"، ولم تكن من المرتبة الأولى التي ينتمي إليها بنو عثمان ورعيّتهم الخاصّة. وكان الأتراك العثمانيّون ينعتون الأرمن بلفظ "قيافور" الذي يكمن

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٥٧ ـ ٥٨.

فيه نمط الإهانة والتمييز العنصريّ. وبالرغم من أنّ هذه التفرقة أُلغيت رسميًّا بموجب "الخطّ الهمايونيّ" الذي صدر في عام ١٨٥٦، فقد ظلّ نظام "الرعيّة" والنعت المهين "قيافور" معمولاً بهما طوال القرن التاسع عشر، بل واشتدّ التمييز القوميّ تجاه غير الأتراك والتفرقة العنصريّة تجاه الأرمن في أواخر القرن التاسع عشر، وبلغ حجم المجازر الجماعيّة الحميديّة في عامَي ١٨٩٤ و١٨٩٦. وعليه كان الحكم العثمانيّ الاستبداديّ يجبر المواطن على ألاّ يكون مرتبطًا بوطن، بل بشخص السلطان، ما كان يشكّل إهانة تشمل كلّ الرعايا من دون تمييز. لكنّ هذه الإهانة كانت على أشدّها بالنسبة إلى الأرمن الذين كانوا يعيشون في وطنهم العريق، إنّما شبه منفيّين في الوقت نفسه[1].

تفَاصيلٌ حولَ المَجَـــازِر

جاء في بعض المراجع أنّ الهدف الأوّل لسياسة السلطان العثمانيّ كان تصفية الأرمن، وكانت المهمّة التي كلّف بها السلطان عبد الحميد السلطات التركيّة هي: "صاصون بدون صاصونيّين" أي بدون أرمن[2]. وتحت هذه "الآية السلطانيّة" وقعت الأحداث المأساويّة في صاصون من عام ١٨٩١ حتّى ١٨٩٤، وكانت بمثابة الشرارة الحارقة. ثمّ خرجت عن نطاق صاصون سنة ١٨٩٥ لتشمل سائر مناطق سكن الأرمن ولتلتهم أرواح ٣٠٠ ألف أرمنيّ. وبما أنّه من الصعب إبادة شعب من دون مبرّر، فقد أعلن السلطان عام ١٨٩١ أنّ صاصون منطقة متمرّدة يجب إخضاعها وتطويعها.

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٥٩ ـ ٦٠.

٢ ـ راجع: الشنّاوي د. عبد العزيز محمّد، الدولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها، مطبعة جامعة القاهرة (القاهرة، ١٩٨٣) فصل بعنوان: مذابح منطقة صاصون، الجزء الثالث، ص ١٥٦٧.

وكان على السلطان أن ينفّذ مأربه، لكن على يد الأكراد وبدمائهم، على أن يتدخّل الجيش، إذا اقتضت الحاجة. وفي عام ١٨٩١ أمر والي "بتليس" واسمه "تحسين باشا" نيابة عن السلطان مشايخ الأكراد "جيلان" و"تطريق" شنّ "حرب جهاد إسلاميّ" ضدّ الأرمن، فوافقوا. لكنّ "حرب الجهاد" لم تقع عام ١٨٩١ ولا في ١٨٩٢ ولا في ١٨٩٣، لأنّ فريقًا من الأكراد كان يعارض تلك الحرب، وامتنع عن الاشتراك فيها. وبالرغم من أنّ بعض الأكراد شنّ هجمات ذات طابع محليّ على الأرمن للحصول على غنائم، إلاّ أنّ الهجوم بصفة عامّة لم يتحقّق. بل اتّحد الأرمن والأكراد، في أحوال عديدة في بعض القرى والمناطق في صاصون لصدّ هجمات الترك في عامَي ١٨٩١ و١٨٩٢. ذلك لأنّ كثيرين من رؤساء العشائر الكرديّة كانوا يعرفون الأهداف التي يرمي إليها السلطان بتحميلهم مسؤوليّة المجازر ضدّ الأرمن. غير أنّه في نهاية الأمر، نجحت الحكومة التركيّة في دفع جانب من الأكراد إلى محاربة الأرمن، فوقعت هجمات كرديّة على الأرمن الذي كانوا في المقابل يردّون تلك الهجمات ويحقّقون نجاحات كبيرة، كما حصل في "معركة ضالفوريك" حيث تكبّدت القوّات الكرديّة، المتفوّقة عددًا وعدّة، خسائر كبيرة في الأرواح ما أدّى إلى تقهقرها[١].

عندما حلّ ربيع ١٨٩٢ تحرّكت وحدات الجيش التركيّ نحو "شينيك" و"مركيموزان"، وتحرّكت بضع عشائر كرديّة باتّجاه صاصون، واتّخذ أكراد "باكران" و"ياطكان" مواقع لهم على قمم جبل "كورنيك"، واستُنفرت عشيرتا "خولب" و"خياتك"، وزحفت قوّات قائمقام "حزّو" على صاصون من الشرق، وسارت القوّات التركيّة في أيّار (مايو) إلى قريتَي "أسباغان" و"خودزودزفانك"، فتمكّن أهالي هاتَين القريتَين من

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٧٠ ـ ٧١.

ردّ الهجمات التركيّة والكرديّة وأجبروا العدوّ على التقهقر. في تلك الأثناء كانت قوّات تركيّة كبيرة العدد لا تزال تحاصر صاصون، وفي داخل طوق الحصار كان لا يزال الأكراد. فأعلنت القيادة التركيّة على الأكراد صراحة أنّهم أمام أمرَين لا ثالث لهما، إمّا أن يكونوا إلى جانب الترك في الهجوم على صاصون، وإمّا أن يُقتلوا، لأنّ لديهم أوامر واضحة بالقضاء على الأكراد الذين لا ينضمّون إلى جانب الهجوم التركيّ. وكانت الخطّة التركيّة تقضي بأن يبدأ الأكراد الهجوم أوّلاً على أن يتدخّل الجيش التركيّ إذا تبيّن أنّ القوّات الكرديّة عاجزة، وحدها، عن تنفيذ مهمّة القضاء على صاصون. لكنّ الأكراد العارفين بمؤامرة الترك حيالهم والهادفة إلى تحميلهم مسؤوليّة القضاء على الأرمن، امتنعوا عن البدء بالهجوم إذا لم يتدخّل الجيش التركيّ. فبدأت وحدات الجيش بالهجوم مستهدفة قرية شينيك، التي هبّ أهلها وسكّان القرى المجاورة للدفاع عنها وتمكّنوا من دحر العدوّ. وفي الوقت نفسه تقدّمت قوّات كبيرة نحو ضالفوريك من الجنوب محاولة محاصرتها من ثلاث جهات لعزلها من جبل أضنوك، فقام أهلها بمَن فيهم النساء والصبية يدافعون ببسالة عن القرية، وقاوموا حتّى السابع عشر من حزيران (يونيو) عندما تمكّن العدوّ من احتلال بعض البيوت في طرف القرية، فأقبلت الوحدات الأهليّة المسلّحة من القرى المجاورة لنجدة الأهالي، وتمكّنوا من ردّ الهجوم عن ضالفوريك وإرغام العدوّ على الفرار. فكان ما حصل ضربة قاسية للقيادة التركيّة الفائقة التسلّح من قِبَل القرويّين الأرمن[١].

---

١ - زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٧١ - ٧٢.

مَجَازر صَاصُون
سَنَـــة ١٨٩٤

في ربيع ١٨٩٤ جلب قائد الجيش التركيّ زكي باشا قوّات كبيرة من أرضروم ووان وبتليس للقضاء على أهل صاصون. وجمع زعماء القبائل الكرديّة وتلا عليهم فرمان السلطان الذي طالب فيه الأكراد بالقضاء على صاصون، وقتل الأرمن بلا رحمة. وكان زكي باشا قد اصطحب معه إلى صاصون الشيخ محمّد (ماهمد) الذي كان ينادي في الأكراد: "أيّها المسلمون، إنّ سبيَ نساء الكفّار وبناتهم حلال، وهدم كنائسهم وحرقها جهاد في سبيل اللّه، وسيكافئكم اللّه على كلّ قطرة دم تبذلونها بحوريّة في الجنّة". لكنّ برنامج "ملفّ الأرمن" من الإذاعة التركيّة الذي أُذيع في الرابع والعشرين من حزيران (يونيو)، قدّم هذا الواقع على النحو التالي: "كان قائد الجيش التركيّ زكي باشا قد تلقّى تعليمات بضمان أمن الأرمن وحمايتهم[١]".

حاولت القوّات التركيّة هذه المرّة أيضًا بدء الهجوم بأيدي الأكراد. ودفعت إلى المقدّمة، على الأخصّ، بوحدات الحميديّة التي كان يقودها بهاء الدين باشا، فهاجمت قرية شينيك في الثامن والعشرين من تمّوز (يوليو) ١٨٩٤. في نفس الوقت كانت قوّات قائمقام باسور تتقدّم من الجنوب نحو خيائك، وشنّ الأرمن هجومًا مضادًّا فكبّدوا العدوّ خسائر فادحة وردّوه نحو باسور. وسرعان ما تحوّلت صاصون كلّها إلى ساحة قتال، وكانت المعارك تدور في كلّ مكان. وبعد مقاومة عنيدة اضطرّ الأرمن إلى الرحيل في الثاني من آب (أغسطس) عن قريتَي شينيك وسيمال اللتَين نُهبتا وأُحرقتا. وفي الثالث من آب (أغسطس) شنّ العدوّ هجومًا عنيفًا أجبر الأرمن على التقهقر عن خطّ دفاعهم الأوّل، والتخلّي عن القرى، وتمّ نقل السكّان إلى ما وراء خطّ "كليكوزان

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، ص ٧٣، نقلاً عن: نشرة "إذاعة جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة من يريفان".

ضالفوريك" عند سفح جبل "أنضوك". وتجمّع أهل صاصون على مساحة عرضها ٢٠ كلم، وعمقها ٢٥ كلم، ليقاتلوا دفاعًا عن أنفسهم ضدّ العدوّ الراغب في إبادتهم. على الأثر أعاد الترك ترتيب قوّاتهم لاحتلال ضالفوريك، فجرّدوا قوّة قوامها نحو عشرة آلاف جنديّ ضدّ قرية "كليكوزان"، وكان دفاع هذه القرية أروع صفحات البطولة في الأحداث من سنة ١٨٩١ حتّى سنة ١٨٩٤، حيث ظلّت القوّات التركيّة الفائقة التسلّح، تتلقّى التعزيزات باستمرار، وتشنّ الهجمات المتواصلة طيلة أحد عشر يومًا على كليكوزان، فتصطدم بمقاومة رجال القرية ومسنّيها وصبيتها، فتُردّ على أعقابها. وبعد أن نفذت ذخيرة أهالي القرية وخارت قواهم رحل عنها أهلها في الثاني والعشرين من آب (أغسطس)، واعتصموا بصخور جبل "أنضوك"، ليواصلوا مقاومتهم من هناك. ولمّا نفذت ذخيرتهم ومؤنهم تمامًا، اضطرّوا للانسحاب من سفوح جبل أنضوك إلى غابات "خولب" التي حاصرها الترك وأشعلوا فيها حريقًا هائلاً قضى على كلّ أهل القرية، ولم ينج منهم سوى أفراد قلائل. وبسقوط جبل أنضوك أصبح الدفاع عن ضالفوريك ميؤوسًا منه، فسقطت هذه القلعة وبدأت المجزرة. لكنّ السلطان عبد الحميد أعلن أنّ الأكراد هم الذين ارتكبوا مجزرة صاصون رغم إرادة الأمبراطوريّة العثمانيّة، وحاول إضفاء مظهر الصدق على تصريحاته فأمر بصرف مبلغ خمسين ألف جنيه لأهل صاصون لإعادة تعمير بيوتهم. إلاّ أنّه، من جهة أخرى، راح يعطي سلطاته المحليّة تعليمات سرّيّة تقضي بقتل الأرمن في كلّ مكان. وهكذا تجاوزت المجازر حدود صاصون وامتدّت إلى أرمينية الغربيّة كلّها، وإلى الأقاليم المأهولة بالأرمن في تركيا، فذهب ضحيّتها ٣٠٠ ألف أرمنيّ، كما بلغ عدد الأيتام من هذا الشعب الأرمنيّ وحده خمسين ألفًا[1].

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضية، مرجع سابق، ص ٧٣ ـ ٧٥.

إستخدم الترك أبشع الأساليب في قتالهم مع الأرمن، وممّا يُذكر، أنّهم كانوا قد جلبوا معهم ثلاثين صهريجًا من النفط أحرقوا بواسطتها اثنتَين وثلاثين قرية. وبعد احتلالهم قرية كليكوزان، ربط الترك مَن كان قد تبقّى من الأرمن في القرية بعضهم ببعض وأحرقوهم... وفي مكان آخر، كانوا يقذفون الناس فوق حراب مسدّدة إلى أعلى ويعذّبونهم حتّى الموت، وكانوا يجمعون النساء والبنات في الكنائس، فيعتدون على أعراضهنّ ثمّ يحرقونهنّ جميعًا ويذبحنهنّ بالسيوف. إضافة لذلك، كانوا يقترحون على ذوي الجمال من الفتيان والفتيات اعتناق الإسلام، وإذا رفضوا ذبحوهم جميعًا على الفور. حتّى أنّ الترك كانوا يبقرون بطون الحوامل ويُخرجون منها الأجنّة ثمّ يمزّقونهم بسيوفهم. كما أنّهم كانوا يستعملون الأحياء أهدافًا للتدريب على التصويب، ويُطلقون عليهم النار بمتعة وحشيّة. ويوقفون الأطفال صفوفًا ويتسابقون في فتك أكبر عدد منهم برصاصة واحدة. وكان الجنود الترك يتفاخرون بكثرة مَن قتلوا من الأرمن العزّل، حتّى أنّ القيادة التركيّة كانت قد أمرت بعدم أسر أيّ أرمنيّ، بل بالقضاء على الجميع، ونُفّذ ذلك الأمر بكلّ دقّة. وإذا كان مَن استُشهد من الأرمن في المعارك من عام ١٨٩١ حتّى ١٨٩٤ قد تراوح عددهم بين ٧٠٠ ألف أرمنيّ، فقد قُتل بين أواخر آب (أغسطس) ١٨٩٤ وأواخر ١٨٩٥ حوالى عشرة آلاف أرمنيّ، ولم يؤسر سوى ٣٠ أو ٤٠ شخصًا. وقد كافأ السلطان عبد الحميد زكي باشا على مجازر "صاصون وموش" بالإنعام عليه بوسام "تقديرًا لخدماته وشجاعته". كما أنعم على أربعة من رؤساء القبائل الكرديّة برايات حريريّة[1].

عندما كانت أحداث ١٨٩١ ـ ١٨٩٤ توشك على نهايتها، خلت منطقة صاصون من أهلها، ونُهبت وخرّبت ٩٣ قرية من مجموع القرى البالغ عددها مئة وقريتَين. إلاّ

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٧٦.

أنّ نفس صاصون، بقيت بالرغم من سكونها الموحش الرهيب، تبعث الرعب في قلوب الأتراك والأكراد، فسارعوا إلى الابتعاد عن تلك الأماكن المميتة. وبمرور عشرة أيّام عاد الناجون من الأهالي الذين كانوا قد اختبأوا في الصخور والوديان إلى قراهم، وعاودوا انهماكهم في مشاغلهم. فدبّ الذعر في نفوس الأتراك الذين أبلغوا قادتهم بأنّ أهل صاصون لم يُقضَ عليهم بالكامل، وبالتالي فإنّ الباقين أشرس من الذين قُتلوا وأقوى وأخطر، حيث أنّ نار الثأر تتأجّج في صدر كلّ صاصونيّ. وكان لأحداث صاصون ردود فعل تعدّت حدود الأمبراطوريّة العثمانيّة، إذ حاولت الدول الكبرى جني المكاسب من الحالة التي طرأت، فقدم مندوبون من الدول الكبرى إلى صاصون للقيام بتحريّات ناشطة بصحبة اللجنة التي شكّلها السلطان، واستجوبوا ١٩٠ من الأرمن والأكراد، وكذلك موظّفين من الأتراك ذوي المناصب. وأسفرت نتائج التحريّات عن أنّ الأرمن، في صاصون، لجأوا إلى السلاح دفاعًا عن أنفسهم، وأنّ الجيش التركيّ قد ارتكب، بمساعدة رؤساء العشائر الكرديّة، مجزرة فظيعة لم يرحموا فيها أحدًا. لكنّ خطّة السلطان لإخلاء صاصون من أهلها ظلّت قائمة، وبدأت مرحلة جديدة من الاضطهادات والنهب سنة ١٨٩٧، يوم اعتبر الأرمن خارجين على القانون، واعترف لكلّ مسلم بالحقّ بنهب أيّ أرمنيّ وحتّى بقتله، كما صار إكراه الأرمن على اعتناق الإسلام. وبينما كفّت السلطات العثمانيّة عن مجازر الأرمن بوسائل عسكريّة، واصلت تلك المجازر بأساليب ووسائل أخرى. وتدلّ المعلومات على أنّ عدد الأرمن الذين قُتلوا في طارون وصاصون بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٠١، كان أكبر من العدد الذي قُتل منهم في المعارك بين ١٨٩١ و١٨٩٤. في ذلك الوقت انتقل إلى صاصون قائد الفدائيّين الأرمن "أغبيور سيروب" مع جماعته، ووحّد بين كلّ قوى الفدائيّين تحت زعامته.

سيـــرُوب
وَأنترَانِيك

بـذل الأتـراك جهـودًا كبـيرة للقضـاء علـى سـيروب، ولـم تنفـع جميـع محـاولاتهم العسكريّة ضدّه، فلجأوا إلى أسلوب المؤامرات. فدبّروا مؤامرة ضدّه تزعّمها والي "بتليس" الذي انتقل إلى "موش" لهذا الغرض، وبقي فيها حتّى تنفيذ المؤامرة. فقد رشا الترك شابًا أرمنيًا نجح في الفوز بثقة سيروب، ثمّ سمّمه مع عدد من الفدائيّين رفاقه بسجائر مسمومة. في ذلك الوقت وصل إلى "كليكوزان" المدعو "بشارة خليل" مع قوّة كبيرة، فقتل سيروب الذي كان بين الحياة والموت، ثمّ قطع رأسه وحمله على طرف عصاه إلى السلطات التركيّة، فحصل مقابل ذلك على هبات وامتيازات كبيرة من السلطان. لكنّه لم ينعم بها، حيث قُتل بعد وقت قصير على أيدي جماعة الفدائيّين التي كان يتزعّمها "أنترانيك". وإمعانًا في تنفيذ المخطّط الإباديّ ضدّ الأرمن، شكّل السلطان العثمانيّ سنة ١٩٠٣ وحدات "جان بيزار"، بمعنى "قابض الأرواح". وكانت تلك الوحدات تتألّف أساسًا من عناصر انتهازيّة ومجرمة، وتتقاضى مرتّبات عالية من الحكومة، وغذاء وكسوة مجّانيّين، وغير ذلك من الامتيازات والتقدمات. وكانت هذه الوحدات تُستغلّ، بحجّة جباية الضرائب، في نهب القرى الأرمنيّة، وتدبير المجازر، وقمع حركات الأرمن والأكراد.

نَكَبَاتُ مَنَاطِق دِيَار بَكْر
والرُّها ونصِّيبين ومَاردين

في غرّة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥، ومع هبوب نيران الاضطهاد على المسيحيّين عمومًا، وعلى الأرمن خصوصًا في بلاد أرمينية، شمّر وجهاء المسلمين

بـ"ديار بكر[١]" عن سواعدهم وكتبوا إلى الأكراد والعشائر يستعدّونهم على النهب والقتل. ووعدوهم بتزويدهم بالأسلحة، حين حضورهم إلى ديار بكر، "لقتل النصارى والاستحواذ على أموالهم وممتلكاتهم". ثمّ صرّحوا لهم أن يوافوا عند الظهيرة إلى جامع "ولي جامي" ويُطلقوا البنادق وينادوا "محمّد صلوات" فيخرج مَن بالمجامع للانضمام إليهم ليقصدوا كنائس النصارى ودُورهم وأسواقهم ليقتلوا ويسبوا. وهكذا حصل. لكنّ المقاتلين اتّهموا الأرمن المسيحيّين بأنّهم هم الذين هجموا عليهم غفلة ليفتكوا بهم في الجامع. ثمّ ساروا إلى الدكاكين والمخازن فقتلوا ونهبوا وأحرقوا. وهرب عدد من المسيحيّين إلى كنيسة الكبّوشيّين ودار القنصل الفرنسيّ، وقيل إنّه احتمى عند الأب يوحنّا الكبّوشيّ زهاء أربعة آلاف نسمة مدّة ثلاثة أيّام، كان يمدّهم في خلالها بالقوت "الخواجا جبّور قزازيان" وجيه الأرمن الكاثوليك. وأوفد الوالي بطلب البطريرك "عبد المسيح" من ماردين[٢]، الذي ما أن وصل إلى الولاية حتّى سمع صوت الرصاص، فاستدعى شابًّا سريانيًّا سلّمه رسالة إلى الوالي يعلمه فيها بقدومه. وعلى الطريق قُتل الشاب السريانيّ ومضى القتلة بالرسالة إلى الوالي الذي أرسل شرذمة من العسكر إلى كنيسة السريان لحمايتها، الأمر الذي دفع بالمسيحيّين إلى الاحتماء في تلك الكنيسة التي احتشد فيها ثمانية آلاف منهم، ارتفع عددهم أكثر مع انضمام مسيحيّي القرى المجاورة المهزومة إليهم. ثمّ أوفد الوالي بطلب البطريرك، فسار إليه مع حاشيته وهم يطأون جثث القتلى. وعند وصولهم إلى دار الحكومة حيث كان كبار المسلمين يتشاورون، انفضّ المجلس عند معرفة المسلمين بوصول البطريرك، وانصرف كلّ منهم

---

١ ـ ديار بكر: إسمها القديم آمد، مدينة تركيّة على شاطئ دجلة الأيسر.

٢ ـ ماردين: مدينة تركيّة، عدد سكّانها اليوم حوالى ربع مليون نسمة، تقع على مسافة ٤١١ كيلومترًا من حلب، جلا عنها أكثر المسيحيّين بين ١٨٩٥ و١٩١٧، شهيرة بقلعتها القديمة، بالقرب منها دير زعفران للسريان.

إلى محلّه. فأمر الوالي البطريرك بإصدار أوامره إلى أبناء رعيّته بضرورة تسليم أسلحتهم، وهي في الأصل غير موجودة في أيدي المسيحيّين، لكنّ عسكر الوالي الذي كان يفتّش عن السلاح، تحوّل إلى النهب والقتل وسلب البضائع وتحطيم صناديق الجواهر وسرقتها. أمّا أهالي ماردين الأرمن المستوطنون بديار بكر فقد أحضرهم بطريرك السريان إلى الكنيسة وقدّم لهم الغذاء. وفي شباط (فبراير) أطلقت الحكومة للمسيحيّين حريّة السفر، فكان من الطبيعيّ أن يغادر في شهر ونصف زهاء ثلاثمائة أسرة[1].

أمّا في "السعديّة[2]"، فكان الأهالي أرمنًا وسريانًا، وكان مجموعهم نحو ثلاثمائة نسمة. وقد تعرّضت هذه القرية في خريف ١٨٩٥ لهجوم من الأكراد الذين قتلوا الرجال والأطفال وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الدور والدكاكين، ولجأ بقيّة المسيحيّين إلى الكنيسة التي لم تسلم من الحرق، وقُتل كلّ مَن كان فيها طعنًا وذبحًا وحرقًا باستثناء ثلاثة رجال نجوا من الموت وهربوا إلى ديار بكر. ولم يختلف الأمر في "ميافرقين[3]" التي لجأ زهاء سبعمائة شخص من أهلها إلى الكنيسة للاحتماء فأحرقهم المهاجمون بزيت البترول. وفي "قره باش[4]" ظلّ الأكراد يُعملون القتل والسبي يومَين كاملَين. وقصد عدد منهم منزل القسّ عبد الأحد السريانيّ عارضين عليه الإسلام فأبى، فذبحوا أولاده أمامه الواحد تلو الآخر، واعتدوا على بناته أمام عينيَه، وبقروا بطن

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٤٣ ـ ٤٩.

٢ ـ **السعديّة**: قرية إلى شرقيّ ديار بكر تبعد عنها ساعتَين مسير.

٣ ـ **ميافرقين**: بلدة قديمة ذكرها المؤرّخون البيعيّون في القرن الرابع الميلاديّ، اشتهر فيها مطرانها القدّيس ماروثا (ت حوالي ٤٢١)، كان أهلها من الأرمن والسريان والبروتستانت، وعددهم زهاء ألف نسمة.

٤ ـ **قره باش**: قرية في شرقي ديار بكر تبعد عنها ساعتَين، أكثر أهلها سريان.

زوجته بالسكّين فأدموها، وتركوه حيًّا يتعذّب ممّا رأى[1]. أمّا "قطربل[2]" فكان يسكنها ثلاثمائة عائلة مسيحيّة من سريان وأرمن وبروتستانت. هاجمها الأكراد فهرب أهلها إلى كنيسة مار توما يتقدّمهم القسّ عبد الأحد السريانيّ، فأحرق الأكراد الكنيسة بمَن فيها، وقتلوا مَن حاول النجاة، وأفلت من القتل شمعون الشاب السريانيّ الذي عبر دجلة وقصد بطريرك السريان، فأرسل معه شرذمة من الجند استحضروا مَن بقي من المنكوبين و"هم عرج وشلّ وعراة"، وعُني البطريرك بأمرهم. وقِس على ذلك ما جرى في سائر قرى ديار بكر كالـ"كعيبة" و"الجاروخيّة" و"خان آقبوار" و"أرز أوغلي" و"قوزان" و"هولان" و"قاضيه" وغيرها. أمّا نصارى "علي بكار" الكلدان والأرمن فإنّ وجهاء القرية احتالوا عليهم وأقنعوهم بالمضيّ إلى الولاية لحمايتهم من العشائر، ولمّا خرجوا أوثقوهم جميعًا وقتلوهم. وفي "سويرك" فاق عدد القتلى الأربعة آلاف[3].

أمّا في "الرها[4]"، فلمّا بدأ هجوم المسلمين على دار "ساغاتيل" أحد وجهاء الأرمن الغريغوريّين وقتلوا أهلها وتفرّقوا في الأزقّة للإطباق على المسيحيّين، احتشد الأرمن في كنيستهم الكبرى وقلّاية مطرانهم ومدرستهم، فأغار عليهم المسلمون وفتكوا بهم في الكنيسة وخارجها، ولم ينجُ منهم سوى القليل؛ ولم يكن مصير مسيحيّي "تلّ أرمن[5]" أفضل، فقد سار إليها "رشيد آغا الكيكيّة" قائمقام الحميديّة في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ على رأس جماهير من الأكراد، وأجبر الأهالي على دفع جزية راح يرفع

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ٤٩ ـ ٥١.

٢ ـ **قطربل**: قرية واقعة على شاطئ دجلة، يفصلها النهر عن ديار بكر.

٣ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٤٣ ـ ٥٣.

٤ ـ **الرُها**: مدينة قديمة من مدن ما بين النهرين، اشتهرت بمدرستها المسيحيّة؛ راجع: الجزء الثالث عر من هذه الموسوعة.

٥ ـ **تلّ أرمن**: قرية بماردين في جنوبها الغربيّ، كان أهلها من الأرمن الكاثوليك بينهم جماعة معدودة من السريان.

قيمتها والأهالي يدفعون، ثمّ شنّ غارة على الأسواق والبيوت ونهبها. فلجأ المسيحيّون، كالعادة، إلى الكنيسة. ولحق رشيد آغا ومَن معه بقبائل "عفص" و"الغرس" و"الدقوريّة" و"الدنبليّة" واستدعوا المسيحيّين، مؤكّدين لهم على حمايتهم إذا خرجوا من الكنيسة، ولمّا فعلوا انقضّ عليهم الأكراد وقتلوهم. ثمّ توجّه الأكراد إلى كنيسة أخرى وهدّوا جانبًا منها، ولمّا لم يجدوا فيها خزائن قديمة طعن أحدهم صورة مارجس برمح ومزّقها فأُصيب بضربة أليمة أودت بحياته[1]. وفي "القصور[2]"، طلب الأهالي من المتصرّف حمايتهم، فأوفد إليهم مائة جنديّ هاجموا المسيحيّين ليلاً عوض حمايتهم، وقتلوا منهم زهاء خمسين، وسبوا النساء والبنات، وأحرقوا القرية، ومَن هرب إلى سطح الكنيسة أُلقي به من علٍ؛ أمّا "بنابيل[3]"، فقد فعل الأكراد بأهاليها ما فعلوا بمسيحيّي القصور من الجور والاغتصاب والقتل، وذلك في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥؛ ولمّا سمع أهل قرية "قلعة المرأة" المجاورة بما حلّ بغيرهم من المسيحيّين في القرى القريبة، شخصوا إلى "دير الزعفران[4]"، وأحضروا حروف المطبعة وصبّوها رصاصًا ليقاوموا الأعداء. وقد قُتل منهم زهاء سبعين شخصًا؛ وكان دور قرية "المنصوريّة" المجاورة في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) حين أطبق نحو أربعة آلاف كرديّ على المسيحيّين الذين كانوا قد احتموا بجيرانهم "الداشيّة"، وأوقدوا النار في القرية، على أنّ جنود الداشيّة المقيمين في القلعة قد أطلقوا نيران مدافعهم على الأكراد المهاجمين فعادوا أدراجهم، وقبض الداشيّة من المسيحيّين نحو عشرين ألف

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٥٣ ـ ٥٥.

٢ ـ **الكوليه أو القصور**: قرية في جنوبيّ ماردين، كان أهلها سريان وبروتستانت، وعدد بيوتها ٣٠٠.

٣ ـ **بنابيل**: قرية في شرقي ماردين، كان أهلها سريان وبروتستانت، عدد بيوتها زهاء ١٥٠.

٤ ـ **دير الزعفران**: دير أثريّ شهير بالقرب من ماردين.

غرش بصفة ديّة وغضّوا الطرف عنهم[1].

في "نصيّبين[2]" بـ "طورعابدين[3]"، انقضّ الأكراد يوم الأحد ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ على حيّ المسيحيّين، ونهبوا وقتلوا خمسة رجال. كما قتلوا مائة مسيحيّ في القرى المجاورة ونهبوا ودمّروا وأحرقوا ١٤ قرية؛ ولمّا انصرفوا إلى "قلّث" القريبة في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر)، خالفهم بكوات "الصور" ومنعوهم من النهب، فساروا إلى "مذيات" المجاورة في ٣٠ من الشهر نفسه، لكنّ مقاومة الجند والأهالي أدّت إلى دحرهم. ثمّ تحوّلوا إلى "ويران شهر[4]"، ووصلوها في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر)، فطافوا أسواقها وسلبوا أموال المسيحيّين؛ أمّا في "ديركه" المجاورة، فلم يتيسّر للأكراد الفوز بمآربهم[5].

في "ماردين*"، مذ وصلت أخبار نكبات المسيحيّين من ديار بكر، لجأ الأهالي إلى الأديار والكنائس، فاجتمع في دير الكبّوشيّين زهاء مائة وخمسين عائلة، وفي كنيسة السريان زهاء ثمانين. وهرب باقي المسيحيّين إلى الدور الكبيرة. وشخص الوجهاء إلى المتصرّفين طالبين الأسلحة واعدين بالدفاع عن المسلمين أيضًا، فوصلتهم أربعون بندقيّة بكفالة "الخواجا اسكندر آدم" الذي وقّع سندًا بمبلغ ثلاثمائة ليرة تُعاد إليه بعد أن

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص ٥٨.

٢ ـ **نصيبين**: مدينة في بلاد ما بين النهرين، في تركية حاليًا، كانت منذ القرن الثالث مهد الآداب السريانيّة حتّى سقوطها في أيدي الساسانيّين ٣٦٥، ازدهرت فيها مدرسة نسطوريّة لأواخر القرن الخامس وحتّى منتصف القرن السادس.

٣ ـ **طور عابدين**: هي الجبال الممتدّة بين ماردين وجزيرة ابن عمر شمالي ما بين النهرين، فتحها العرب ٦٤٠، كانت فيها عشرات الأديرة والكنائس التي دمّرتها الحروب، أهمّ أديرتها الباقية: دير الزعفران الشهير بالقرب من ماردين.

٤ ـ **ويران شهر**: بلدة عُرفت قديمًا باسم تلّ موزل، تقع في ما بين النهرَين، جدّد بناءها قسطنس الملك سنة ٣٥٧، كان يسكنها زهاء ثلاثة آلاف من المسيحيّين.

٥ ـ أرملة، النصارى، مرجع سابق، ص ٥٩ ـ ٦٠.

تستوفي الحكومة الأسلحة. وأمرت الحكومة أن ينادي المنادي في الأسواق أنّ مَن أحبَّ الدولة ومحمّد فليتسلّح ويصارع الأكراد. ومنذ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت الهجومات المتكرّرة على البلدة من مختلف أطرافها، وكان الأهالي يردّون الأكراد منهزمين. واتّفق في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) أنّ الصدر الأعظم عُزل في العاصمة ونُصّب غيره بدله، فأوفد الأوامر إلى جميع الولايات بالمحافظة على الكنائس والأديار وصيانة المسيحيّين. إلاّ أنّه حتّى ١٠ كانون الأول (ديسمبر) استمرّ ورود أوامر الحكومة بالسرقة والتعدّي على المسيحيّين، وكان ممّا سرقوه بعض الأواني البيعيّة والصلبان ... وفي ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) وصل إلى ماردين الشيخ "محمّد سعيد" ابن الشيخ "عبد الرحمن" الذي كان قد أطلق، منذ خمسة أعوام، الحريّة للشراكسة بأن يستحلّوا أموال المسيحيّين، وسار المسلمون إليه يطلبون الإذن بالقضاء على المسيحيّين، لكنّ المجتمعين في المجلس اختلفوا في الرأي، وفُضّ المجلس بعد قصّ جناح الفتنة. وفي غرّة شباط (فبراير) ١٨٩٦ وصل إلى ماردين متصرّف جديد اسمه "شاكر باشا"، فحاول نائبه الفتك بالمسيحيّين دون جدوى هذه المرّة. وأطلق شاكر باشا من السجن أسقف البروتستانت وأخاه ومعلّم مدرسته وغيرهم، وكانوا قد سُجنوا لسبب رسائل كتبوها إلى ذويهم وأصحابهم وضمّنوها أمورًا سياسيّة[1].

مَذابحٌ فِي ظلِّ

التقَارير الدبلوماسيَّة

بعد مضيّ سنوات سوداء، توقّفت المجازر الجماعيّة الفاضحة، إلاّ أنّ ضروب الإبادة العنصريّة بقيت مستمرّة. وتوالت التقارير من السفراء والقناصل الأجانب في

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٦٠ ـ ٦٦.

تركيا، تحمل في طيّاتها تصويرًا حيًّا لواقع الشعب الأرمنيّ في صاصون وغيرها. فكتب سفير روسيا في اسطنبول سنة ١٩٠١ ما مفاده:

إنّ الحكومة التركيّة بفرضها ضرائب على الأرمن لا طاقة لهم بها، تواصل في واقع الأمر، المجازر بطريقة خفيّة. ويرمي الباب العالي، من وراء ذلك، إمّا إلى التخلّص من الأرمن، وإمّا إلى وضعهم في حالة يصبحون فيها عبيدًا خانعين. ولهذا الغرض تُتّخذ إجراءات لإرغام الأرمن على الرحيل عن جبال صاصون حيث بإمكانهم الاحتماء من الهجمات. والمرسوم الذي أصدره السلطان عبد الحميد في العشرين من تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٩٥ تحت ضغط روسيا وفرنسا وبريطانيا بشأن إجراء إصلاحات في الولايات الأرمنيّة، ما زال حبرًا على ورق. وتزداد مشكلة الأراضي الزراعيّة حدّة على مرّ الأيّام. فقد استولى الأكراد والأتراك على معظم أراضي الأرمن، ويواصلون الاستيلاء عليها، بينما السلطات لا تتدخّل للحيلولة دون اغتصاب أراضي الأرمن بل ترعاه وتشجّع عليه. ويشهد قناصلنا بالإجماع على أنّ الأكراد لا يكفّون عن السلب والنهب وقتل الأرمن، بل وكذلك يرغمون الأرمنيّات على الإسلام عنوة وقسرًا، ولا يحاسَب مرتكبو هذه الجرائم قطّ.

كذلك كتب القنصل الروسيّ في "فان" عن أحوال الأرمن في موش وصاصون قائلاً:

إنّ أحوال الأهالي المسيحيّين بالغة السوء. فالقتل والنهب والمظالم التي يتعرّض لها الأرمن، منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٠١، تتكرّر كلّ شهر... وكان الأتراك والأكراد يستولون على القرى الأرمنيّة بمختلف الوسائل، ثمّ يفرضون على الأرمن فلاحة الأراضي المغتصَبة منهم، ودفع نصف المحصول كأتاوة. وكان الأرمن يُسخَّرون لتعبيد الطرق وتشييد المباني الرسميّة والمنشآت العسكريّة، والبيوت والحظائر للأغوات الأتراك والأكراد، وغير ذلك من الأعمال دون أجر ولا مكافأة...

وقد سجّل مؤتمر السلام العالميّ الأول ما يلي:

إنّ الأتراك والأكراد يغتصبون ثمار عمل الـزرّاع الأرمـن وماشـيتهم وممتلكـاتهم، ومـا لا يسـتطيعون أخـذه علنًـا يسـرقونه، ولا حيلـة للأرمـن ضــدّ هــذه المظــالم ومــا يتعرّضون له من قتل، لأنّهم محرومون من حقّ حيازة السلاح.

وزيدت الضرائب، وأصبح الجباة يطالبون الأرمـن بدفـع ضرائـب وصلـت لعشـر سنوات دفعة واحدة، وكذلك الضرائب عمَّن رحلوا وهاجروا. وكان القرويّـون الأرمـن يضطرّون لاقتراض مبالغ من الأكراد بشروط مجحفة جدًّا. وانتشر فـي صـاصون مـا عُرف بالتركيّة "الخفير"، وهو في الواقـع استغلال مـن نـوع النظـام الإقطـاعيّ، حيـث يُعتبر كلّ أرمنيّ تابعًا لأحد الأكراد أو خفيرًا له، وملزَمًا بأن يقدّم لسيّده كلّ سـنة بقـرة أو ثورًا، وعددًا من الغنم والماعز، وصوفًا وسـروالاً وزوجًـا مـن الأحذيـة، وعشـرين قرشًا نقدًا. وفوق كلّ ذلك، كان باستطاعة الكرديّ أن يبيع خفيره إذا احتاج إلى المــال. وجاء في أحد التقارير:

> إنّ جِلد الأهـالي الأرمـن قد سُلخ، وقد أخـذوا يمتصّـون دمـاءهم عـن آخرهـا، ويستخرجون أمعاءهم. وتصحب جباية الضرائب والأتاوات أعمـال وحشـيّة تقشعرّ لها أبـدان كـلّ مَـن تتوفّـر لديهـم الخصـائص النفسيّة والأخلاقيّـة التـي يتّصـف بهـا الرسميّون الأتراك.

وكتب القنصل الروسيّ في فان:

> إنّ الغرض من تصعيد المظالم هو إرغام الأرمن على اللجوء إلى روسيا، وتوطيـن مهاجرين مسلمين في أراضيهم، وبذلك يجري إسكان المنطقة تدريجيًا بالمسلمين.

إضافة إلى ذلك كتـب رئـيس الكنيسـة الأرمنيّـة البطريـرك الأعلـى خريميـان إلـى قيصر روسيا:

إنّ عدد القتلى والمعتقلين والمنفيّين، ومَن ماتوا جوعًا، ومَن أسلموا عنوة من الأرمن في السنوات الأخيرة، يربو على عدد ضحايا عامَي ١٨٩٥ و ١٨٩٦[1].

بينما كانت تلك التقارير تحرَّر وترسَل في الحقائب الدبلوماسيّة، وضمير العالم غافٍ، كانت قوّات السلطان العثمانيّ ما بين ١٩٠٠ و١٩٠٢ تتّخذ استعدادات مستمرّة في طارون وبتليس تمهيدًا لعمليّات عسكريّة واسعة النطاق في صاصون عام ١٩٠٣ لتصفية أبناء تلك المنطقة الجبليّة. في ذلك الوقت كان الأرمن يبذلون كلّ ما في وسعهم لتجنّب أيّ تصرّف يُحتمل أن تتعلّل به السلطات التركيّة لتقتيل الأرمن؛ وكانوا ينقلون أسلحة إلى صاصون لصدّ هجمات الترك، لأنّ الأهل كانوا موقنين أنّ الترك لن يتركوهم بسبيلهم. وفي سنة ١٩٠٣ استغلّ "زكي باشا"، قائد الجيش التركيّ الرابع، أمر السلطان، فهدّد زعماء القبائل الكرديّة باتّخاذ إجراءات صارمة ضدّهم ما لم يشاركوا في الهجوم. فتمّ استنفار حوالي عشرين ألف كرديّ مسلّح، بالرغم من معارضة بعض الأكراد مهاجمة الأرمن لاقتناعهم بأنّ عدوّ الأرمن والأكراد هو السلطنة العثمانيّة، ويجب توحيد الصفوف ضدّ العدوّ المشترك. إلاّ أنّ ذلك لم يلغِ خطّة الترك بالقضاء على الأرمن، حيث أنّ عددًا غير قليل من الأكراد كان يشترك في الهجوم للحصول على الثروات. وكان أهمّ حدث بطوليّ وقع عام ١٩٠٤ هو الدفاع عن "دير الرسل" حيث ظلّ ستّون فدائيًّا يقاومون جيشًا تركيًّا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لمدّة واحد عشرين يومًا. ثمّ انسحب الفدائيّون من الدير بأمان. وكان لهذا الدفاع البطوليّ أصداؤه في تركيا وبلاد أوروبّا كلّها. وفي ربيع العام نفسه بدأ الهجوم على المنطقة الجنوبيّة الغربيّة من صاصون . إلاّ أنّ العمليّات الجريئة التي قام بها أحد زعماء الفدائيّين: "كيفورك"، أقنعت الترك بأنّهم لن يتمكّنوا من النجاح على الجبهة الغربيّة والجنوبيّة

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٨١ ـ ٨٢.

الشرقيّة من دون مهاجمة صاصون من الشمال، كما قرّر الترك، بعد فشل الأكراد، بدء الهجوم. وفي مطلع نيسان (إبريل) ١٩٠٤، تقدّمت القوّات التركيّة باتّجاه سفح جبل "دزوف"، وزحفت قوّة أخرى عبر "هاضافوريك" نحو قريتَي "غيرمان" و"قوب"، في حين تقدّمت قوّة أخرى إلى هاتَين القريتَين من جهة قرية "فيرناشين". وإذ رأى قائد الفدائيّين "أنترانيك" أنّه لن يستطيع صدّ القوّات الزاحفة، أحرق القريتَين المذكورتَين بعد إخلائهما من السكّان الذين رحلوا إلى "طابق" و"كيغاشين". في الوقت نفسه كانت قوّات تركيّة أخرى تتقدّم نحو "شينيك"، فأخلى الفدائيّون القرية ونقلوا أهلها إلى "سيمال"، ووقعت معارك تكبّد بنتيجتها الترك خسائر فادحة أجبرتهم على التقهقر. ثمّ تحوّل الجيش التركيّ للهجوم على سيمال واحتلّوا مواقع متقدّمة منها، وأوعزوا إلى المقاتلين الأرمن بمغادرتها، لكنّ عددًا من الفدائيّين اتّخذ له مواقع فوق التلال القائمة عند مؤخّرة القرية. وكانت القوّة الأرمنيّة المرابطة عند مداخل القرية مكلّفة بالمقاومة العنيدة حتّى يُتاح لأهل القرية الرحيل عنها من ناحية، ولكي يتوهّم الأتراك أنّ تلك فقط هي قوّات الفدائيّين الرئيسيّة. وعندما تتقهقر القوّة بعد خلوّ القرية من سكّانها يعتقد الترك أنّهم قد حقّقوا الانتصار، فيختلّ نظامهم العسكريّ، ويتفرّقون منهمكين في الفوز بالغنائم، فتنقضّ عليهم، عندئذ، قوّات الفدائيّين الرئيسيّة... وهكذا حصل. وفي صباح الثالث عشر من نيسان (إبريل)، كانت جماعة كبيرة العدد من الرسل تتّجه نحو قرية سيمال رافعة راية بيضاء. وكان هؤلاء شيوخ الأرمن من مدينة موش، وكان والي البلدة قد بعث بهم تحت التهديد إلى المقاتلين من أهل صاصون ليعرضوا عليهم إلقاء سلاحهم والاستسلام. لكنّهم لم يكونوا في الواقع رسلاً، بل ستارًا لإخفاء هجوم تركيّ. فقد كانت القوّات التركيّة تتقدّم خلسة من خلف الرسل نحو مواقع الأرمن، وتتبعها المدافع. هكذا، بدأ الهجوم التركيّ في اتّجاهَين: أحدهما نحو قرية "آليانك"، والآخر نحو

"سيمال"، وأصبح الرسل بين نارَين فانسحبوا. في هذا الوقت لم يكن إخلاء سيمال قد انتهى، فعمّ الرعب والاضطراب بين الأهالي. وبالرغم من كلّ هذا قاوم الأرمن ببسالة ثماني سرايا مشاة من القوّات التركيّة، يعاونها ثلاثة أو أربعة آلاف كرديّ. وما أن بلغت القوّات المهاجمة طرف القرية حتّى انقطعت النيران من مواقع الأرمن، فاندفع الترك وملأوا القرية، فوجدوها خاوية. عندها أدرك قائد الهجوم "البمباشي كيوسا" أنّ مَن بقي من الفدائيّين كان مشغولاً بترحيل أهل القرية، فأصدر أوامره باللحاق بهم والقضاء عليهم. ودارت معارك عنيفة تكبّد فيها الطرفان خسائر فادحة. وإذ لم يتمكّن الأرمن من وقف الهجوم تقهقروا إلى مرتفعات "دزاي"، ولم يتمكّن الجيش التركيّ المرهق من مواصلة الصعود إلى الجبل فتقهقر، واستغلّ الأرمن هذا الوضع وشنّوا هجومًا مضادًّا أجبروا فيه الترك على التراجع حتّى ضفاف نهر دزاي. وكانت المعارك أكثر عنفًا في قرية آليانك فاحتلّها الترك، كما دخلوا "وادي بربارة" وسيطروا عليه، وتابعوا تقدّمهم نحو كليكوزان. لكنّ زعيم الفدائيّين أنترانيك وصل مع كتيبة إلى أرض المعركة وهاجم جناح الجيش التركيّ الأيسر، وأطبق على العدوّ، فاستسلمت كتيبة تركيّة يتجاوز عدد أفرادها المائتَين، فأُسروا. عندها أدرك البمباشي كيوسا أنّه وقع في الحصار ففرّ إلى "أخدود"، ثمّ تسلّل إلى معكسر جيشه، فوجد الترك أنفسهم بلا قائد ففرّوا مذعورين والتجأوا إلى قرية "كيلي". لكنّ البمباشي كيوسا أعاد جمع شتات قوّاته بعدما تلقّى تعزيزات كبيرة، وبدأ الهجوم على رأس ثلاثة عشر ألف مقاتل وعشرات المدافع، على جبهة تمتدّ من جبل دزوف حتّى آندوك، وكانت الضربة موجّهة أساسًا إلى قرية "كيلي" التي كان قد احتمى فيها أهالي قريتَي خولب وخيانك. وأصبحت قرى صاصون الخمسة والأربعين وقوّتهم المقاتلة في نطاق قريتَي ضالفوريك وكيلي واتّخذوا مواقع الدفاع. وكان عرض الجبهة عشرين كلم، وعمقها

خمسة وعشرين. وكان قوام سلاح الأهالي، البالغ عددهم عشرون ألف أرمنيّ، ألف بندقيّة مقابل أربعين ألف مقاتل كرديّ وتركيّ. وفي ٢٠ نيسان (إبريل) بدأت القوّات التركيّة الكرديّة هجومها على كليكوزان، يساندها اثنا عشر مدفعًا من الجبال. وانتظر أهل صاصون أن يقترب عدوّهم مسافة بضع مئات من الأمتار ليصلوه وابل نيراهم، فسقط للعدوّ الضحايا بالعشرات، وتقهقر. وفي صباح اليوم التالي عاود العدوّ هجومًا عنيفًا بمساندة المدافع حتّى وصل أوائل بيوت صاصون. وعندما حلّ الظلام، عبر الفدائيّون وأهل القرية الجسر الجديد الذي كانوا قد أقاموه في غاية من النظام وتجمّعوا في قرية "ألوجاك"، ولم يكن بإمكانهم اللجوء إلى الجبال المكسوّة بالثلوج، ولم يعد لديهم ما يكفي من المؤن والذخيرة، فقام مائة وعشرون فدائيًّا بإنزال الأهالي إلى سهل طارون والاعتماد على أهل السهل الأرمن. وبقي آخرون للجهاد في مرتفعات صاصون وأخاديدها. ولمّا لم تقابَل نيران المدفعيّة التركيّة بأيّة مقاومة أرمنيّة، أدرك الترك أنّ مواقع الصاصونيّين خالية فدخلوا قرية كيلي ووجدوها خالية إلاّ من بعض المرضى المسنّين، وتقدّموا إلى ضالفوريك وحاصروا القرية التي كان قد تجمّع فيها أهالي اثنتَي عشرة قرية، واحتلّوها بعد مقاومة أرمنيّة عنيدة انتهت مع نفاذ الذخيرة الأرمنيّة تمامًا. فأعملت القوّات المهاجِمة في الأهالي القتل والانتقام بوحشيّة، فكانوا يسبون النساء ويقطعون أثدائهنّ، ويبقرون بطونهنّ، ويُجلسون الأطفال على السيوف، ويقطعون أوصال المسنّين ويمزّقونها إربًا إربًا. وخربت منطقة صاصون كلّها وأقفرت من أهلها، وتحوّل سهل موش أيضًا إلى مسلخ للأرمن. فبلغ عدد الضحايا ثمانية آلاف. ولإخفاء معالم المجازر كان الترك يحرقون الجثث أو يقطّعونها إربًا ويلقون بها في النهر بأوامر السلطات التركيّة. وأُحرقت خمس وأربعون قرية عن آخرها[1].

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٨٥ ـ ٩٢.

أمام هذه الفظائع، ارتفعت أصـوات الاحتجـاج علـى الحكومـة التركيّـة مـن القـوى التقدّميّة في كثير من الدول. وبعد مرور شهر واحد على أحداث صـاصون، عُقد فـي لنـدن فـي حزيـران (يونيـو) ١٩٠٤ مؤتمـر دولـيّ خصّص للشـرق الأوسـط وللقضيّـة الأرمنيّة، وندّد المؤتمر بسياسة السلطان عبد الحميد الدمويّة، ودعا الدول العظمى إلـى كبح جماح مؤامرات الباب العالي غير الإنسانيّة.

إنّ تفاقم الأمور بين العثمانيّين والأرمن وصولاً إلى مذابح ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ علـى يد عبد الحميد الثاني، ساهم في تفـاقم الوعـي القومـيّ عنـد الأرمـن، وتسـبيس قضيّتهم وتدويلها، إلى درجـة أنّ القـوى العظمـى فرضـت علـى حكومـة اسـطنبول، فـي تمّـوز (يوليو) ١٩١٤، القبول بحكم ذاتيّ للمنـاطق الأرمنيّـة فـي الأمبراطوريّـة. لكـنّ انـدلاع الحرب العالميّة الأولى التي كـانت الأمبراطوريّـة العثمانيّـة طرفًـا فيهـا، بالتحـالف مـع ألمانيا، وضع حـدًّا لاتّفـاق تمّـوز (يوليـو) ١٩١٤ ورسم إطـارًا تاريخيًّـا لقيـام مجـازر الإبادة الأولى في القرن العشرين[١].

مِنَ الخُلاصَات السّيَاسيَّــــة

يرى بعض البـاحثين أنّـه مـع التوسّـع الـتركيّ فـي إطـار الأمبرطوريّـة العثمانيّـة، أصبح الأرمن كالعديد من الشعوب الآسيويّة والأوروبيّة في عـداد رعايـا بنـي عثمـان. لكن طالما كان العثمانيّون أقوياء قادرين لم يتسلّطوا كثيرًا، أو في الواقع، هم لم يعمدوا مباشرة إلى قهر الشعوب الواقعة تحت نفوذهم، إلاّ فـي حـالات قليلـة حيـث يلـوح لهـم خطر التمرّد والعصيان. لكن ما أن ضعفت قواهم عسكريًّا وماديًّـا وسياسيًّا حتّـى أخذ

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٥.

بنو عثمان يتطلّعون إلى لملمة الشمل في محاولة لاستعادة القوّة وإعادة الهيبة إلى الأمبراطوريّة المتدهورة. في هذا الإطار بالذات وقع ما عُرف بالقضيّة الأرمنيّة مع ما تعنيه من مذابح وتشرّد. ففي أواخر القرن التاسع عشر، بعد تطوّر حركة القوميّات الواسعة في أجزاء الأمبراطوريّة الأوروبيّة خاصّة، بدا للسلطان العثمانيّ أنّه لا بدّ من وقف النزف في جسد الأمبراطوريّة على يد الشعوب، وبالأخصّ شعوب الولايات الأوروبيّة، وهي بمعظمها شعوب مسيحيّة، تحميها الدول الأوروبيّة العظمى على رأسها روسيا وفرنسا وإنكلترا، في ظلّ سياسة التوسّع الأوروبيّة. هكذا، وفي ظلّ سياسة التتريك الشاملة في الأمبراطوريّة، وخوفًا من أن يثير الأرمن المزيد من التدخّل الأوروبّيّ، وبالأخصّ الروسيّ بعد سيطرة الروس، في أوائل القرن العشرين، على قسم من أراضي أرمينية، كان لا بدّ من إضعاف الأرمن وقهرهم. وممّا أثار مخاوف السلطان عبد الحميد في هذا المجال، هو تدخّل الدول الأوروبيّة لمعالجة الصراعات القائمة بين الروس والعثمانيّين حول مناطق احتلّها الروس خلال حروبهم الأخيرة في القرن التاسع عشر، ومنها أجزاء من أرمينية. فإنّ الأوروبيّين، بمَن فيهم الروس، طالبوا، ولأهداف مختلفة، بإصلاحات إداريّة في أرمينية وبحماية الشعب من تسلّط المجموعات الغريبة العابثة بالأمن والأرزاق ومنهم الأكراد. فوجد السلطان العثمانيّ، بعد التدخّل الأوروبيّ في لبنان خاصّة، أنّ المزيد من التدخّل الأوروبيّ في أرمينية يشكّل خطرًا كبيرًا على حدوده الشماليّة والشرقيّة. إذن كان لا بدّ من إخماد المشكلة من أساسها. وكان لا بدّ من مبرّر... فجاء المبرّر بسرعة: وهو تحرّك بعض القرى الأرمنيّة في وجه الأكراد وغيرهم من المجموعات الغريبة ممّن كانوا يزعجونهم بتصرّفاتهم ومطالبهم. وكان الأرمن قد اعتمدوا في تحرّكهم على الوعود التي قطعتها السلطنة على نفسها في اتّفاقيّتَين دوليّتَين وعلى الضمانات الأوروبيّة المؤكّدة والمثبّتة

في الاتّفاقيّات[1]. عندما لم تُحترم الضمانات الأوروبيّة، ولم يعمد الأوروبيّون إلى تطبيق محتواها، كان على الأرمن أن يواجهوا واقعهم ومصيرهم بأنفسهم، فكانت بداية انضوائهم في ظلّ تنظيمات سياسيّة عسكريّة، أهمّها الطاشناق، بهدف الحصول على قوّة ذاتيّة تسمح لهم بمواجهة المخاطر أو بعضها. وبالفعل، استطاعوا الوقوف بوجه تعدّيات المجموعات الغريبة المذكورة خلال سنوات طويلة. ولمّا حاول الأرمن القيام بتحرّك خارج أرمينية، أي في مناطق عثمانيّة أخرى، وبالأخصّ في اسطنبول، عاصمة السلطنة، لقوا أيضًا ردّة عنيفة. لكن يجب التنويه بأمر وهو أنّ الأرمن، الحاذقين بأمور الحرفة والتجارة، كانوا قد استطاعوا أن يحتلّوا مراكز اقتصاديّة جدّ مهمّة في اسطنبول، وهكذا نجد أنّ مصلحة بعض هؤلاء الخاصّة تقدّمت أحيانًا على مصلحة القوم بحيث لم يستعملوا كامل قدراتهم التي كان ربّما بإمكانها أن تساعد في إقناع العثمانيّين بالتروّي في التعامل مع شعبهم وقضيّتهم[2].

نهضَــةٌ أرمَنيَّــة
في خضَمّ المَجازِر

إنّ ما يدعو للإعجاب الشديد وللتعجّب، كيف أنّ الشعب الأرمنيّ تمكّن من تحقيق نهضة ملحوظة في خلال القرن التاسع عشر، رغم كلّ ما تعرّض له حينذاك من اضطهاد ومجازر. فقد مثّلت السنوات الخمسون، الممتدّة ما بين ١٨٣٠ و١٨٨٠، عهدًا جديدًا من النهضة الفكريّة والأدبيّة والفنيّة والاجتماعيّة، جعلت من الأرمن أمّة حديثة منفتحة على التيّارات الثقافيّة الكبرى والنشاطات الفكريّة العالميّة. وفي عام

---

١ ـ بو ملهب عطاللّه د. دعد، المسألة الأرمنيّة في النظام الدوليّ المعاصر، مركز الدراسات الأرمنيّة (بيروت،١٩٩٦) ص ١٠.

٢ ـ بو ملهب عطاللّه، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٩ ـ ١١.

١٨٦٣، أقرّ السلطان العثمانيّ "الدستور الوطنيّ الأرمنيّ" الذي يخوّل الأرمن العثمانيّين حقّ انتخاب مجلس وطنيّ علمانيّ وكنائسيّ بالاقتراع العام، ويجيز لهم اختيار البطريرك للقسطنطينيّة[1].

---

١ ـ شرف د. جان، القضيّة الأرمنيّة في السلطنة العثمانيّة، مركز الدراسات الأرمنيّة (بيروت، ١٩٩٧) ص١٧١ ـ ١٧٢.

الفَصْلُ الخَامِس

الحَرَكَة الوَطَنيَّة الأرمنيَّة وتجَدُّد الاضطّهَادَات

تَبَلوُرُ الوَعْي القَومِيّ؛ أَمَلٌ خَائِب بالثَّورَة الدُستُورِيَّة؛

مُحَاولاتُ إبَادَةِ الأرمَن فِي القَرن العِشرِين؛ إستغلالُ تركيَا للحرب العالميَة الأولَى

إنتفَاضَة "فـان"؛ مآثرُ اسطنبُول في اسطَنبُول؛ تقَارِيرُ دِبلومَاسيَّة تفضَح المؤامَرة التُركيَّة؛

مُحَاولاتٌ تُركيَّة للتنصُّل من المسؤُولِيَة؛ أرضـرُوم وسواهَـا بعدَ جَرائم اسطنبُول؛

حَصيلَة المَجازِر التركيَّة بحقِّ الشّعب الأرمَنِيّ؛ خَيبَةُ مَا بَعدَ المَجَازِر.

تَبَلوُرُ الوَعْيِ القَوميّ

للبقظـة الوطنيّـة الأرمنيّـة وتبلـور الوعـي القومـيّ جذور ممتـدّة تاريخيًّـا، وأبعــاد متنوّعة سوسيولوجيّة وسياسيّة وغيرها[1]. ولا تختلف الحركـة الوطنيّـة الأرمنيّـة كثيـرًا عن الحركات الوطنيّة المسـيحيّة الأخـرى، الرازحـة تحـت النـير العثمـانيّ فـي أواسـط القرن التاسع عشر. وقد راح الوعي القوميّ يتشـكّل تدريجًـا فـي صفـوف الأرمـن مـع بسط الكنيسة لوصايتهـا، وهـي المؤسّسـة الوحيدة المقبولـة مـن الحكـم العثمـانيّ، ومـع توثيق العلاقات مع القوى العظمى الغربيّة بفضل طبقة من التجّـار والمثقّفيـن الأرمـن. ولا ننسى أنّ هذه القـوى الكبرى الغربيّـة كـانت تسـتغلّ العلاقـات مـع الأقليّـات داخـل السلطنة العثمانيّة فتستعملهم كحجارة على رقعـة المسـألة الشـرقيّة. رغـم ذلـك تميّـزت الحركة الوطنيّة الأرمنيّة بخاصتَين سوف تحدّدان تطوّرها اللاحق[2]:

كان الأرمن مبعثرين في تركيا، من القوقـاز والأنـاضول إلـى اسـطنبول وضفـاف البحر المتوسّط شرقًا. وبذلك افتقدت حركتهم الوطنيّـة إلـى نـواة سكّانيّة تشـكّل مركـز تجمّع لانطلاقة الكفاح الوطنـيّ؛ مـن جهـة أخـرى، فـإنّ فتـور همّـة الطبقـات الأرمنيّـة الميسورة الناشطة في اسطنبول والأمبراطوريّة عمومًا، حدا بالطبقة المثقّفة الآتيـة مـن

١ ـ راجع: شرف، القضيّة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٦١ ـ ١١١.

٢ ـ LACOSTE YVES, *DICTIONNAIRE DE GÈOPOLITIQUE*, ED. FLAMMARION (PARIS,1994) P. 197

الطبقات المتوسّطة والفقيرة، إلى مواجهة الأحداث، الأمر الذي دفع الحركة الوطنيّة نحو التشدّد و"الردكلة" .RADICALISATION؛ وقد ساهم تشابك مناطق السكن الكرديّة والأرمنيّة، بعضها مع البعض، في تعقيد الأمور. فانتقال الأكراد من حالة الترحّل إلى حالة الإقامة، وذلك بالقوّة والإكراه على يد الحكومة العثمانيّة منذ الأعوام ١٨٤٠، دفعهم نحو الشمال، أي نحو أودية الفرات العليا حيث راحت القبائل الكرديّة المسلّحة تضايق القرويّين الأرمن، ما ساهم في خلق ردود فعل قوميّة عند هؤلاء الذين اضطرّوا للدفاع عن أنفسهم بالعنف أحيانًا. هذا الوضع بلور المطالب الأرمنيّة الأولى وقام بتركيزها. وفي الوقت نفسه راحت تتشكّل حول مركز الكفاح الأول حركة الأرمن الوطنيّة[1]؛ ثمّ إنّ الحرب التركيّة ـ الروسيّة ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨، وتقدّم الروس حتّى أرضروم فتحا آفاقًا جديدة أمام الحركة الوطنيّة الأرمنيّة التي رأت في مساعدة الروس للفتنة البلغاريّة في البلقان سابقة ومثلاً يمكن احتذاؤه في المستقبل. وهكذا، فمنذ سنة ١٨٨٠ راحت المنظّمات الثوريّة الأرمنيّة الأولى في أوروبا والقوقاز تقوم بفتن مسلّحة وثورات على الطريقة البلغاريّة، أي انتقاضات عابرة كانت تنتهي أمام القمع التركيّ بسبب اختلال ميزان القوى العسكريّ والديمغرافيّ[2]. ورغم هذا الفشل، نجح الأرمن في اكتساب عطف الأوروبيّين والتسبّب في تدخّل عسكريّ روسيّ، وتدخّلات سياسيّة أدّت إلى حصولهم على حكم ذاتيّ محلّيّ. لكنّ مصالح الدول الكبرى تدخّلت لتزيح الواحدة منها الأخرى، بسبب التناقض القائم في ما بينها، ما سمح للإدارة العثمانيّة بتنظيم القمع على هواها، خصوصًا عبر القبائل الكرديّة التي كانت تقدّم

---

١ - LACOSTE, *DICTIONNAIRE*, OP. CIT P. 197.

٢ - راجع: شرف، القضيّة الأرمنيّة، مرجع سابق؛ ملهب عطالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق؛ داسنابيديان هراج، القضيّة الأرمنيّة، مطبعة هاماساكايين (بيروت، ١٩٨٤)

الخيّالة والجنود الإضافيّين. وهكذا انتهت انتفاضات ١٨٩٣ و ١٨٩٤ و١٨٩٥ بمجازر حقيقيّة بحقّ الأرمن على يد السلطان عبد الحميد الثاني[١]، كما سبق وذكرنا.

أمَـــــلٌ خائِـــــب
بالثَّورَة الدُستُوريَّة

مع الثورة الدستوريّة في تركيا عام ١٩٠٨، ظنّ الأرمن، الذين أيّدوا جماعة "الإتّحاد والترقّي"، أنّ عهدًا جديدًا بصدد البزوغ أمامهم، خاصّة وأنّهم استطاعوا إدخال ممثّلين لهم إلى البرلمان. لكنّ هزيمة تركيا في الحرب البلقانيّة سنة ١٩١٢ أعادت مسألة تقاسم الأمبراطوريّة العثمانيّة بين القوى العظمى إلى الواجهة. ثمّ في سنة ١٩١٤، عشيّة الحرب العالميّة الأولى، قبلت الحكومة العثمانيّة، تحت الضغط الروسيّ، منح حكم ذاتيٍّ للأرمن في المقاطعات الشرقيّة الستّ. وقد ترافق ذلك مع هجرة جماعيّة لأتراك البلقان عقب هزيمتهم ١٩١١ ـ ١٩١٢. وهذه الهجرة هي التي جعلت من الأناضول ملاذ الشعب التركيّ، في نظر الحركة الوطنيّة التركيّة الناشئة. في هذه الظروف كانت تتأهّب الحرب العالميّة لدفع كلّ من الأتراك والأرمن إلى حلّ مسألتهم القوميّة كما يرتأون[٢].

فالأتراك، بعد قرون من التوسّع والمجد، بدأوا ينظرون إلى أمبراطوريّتهم وهي تنازع، وإلى أراضيهم وهي تضمحلّ أمام تقدّم الأمبرياليّة الأوروبيّة. وهم لم يعودوا قادرين على البقاء كأمّة، من دون إيجاد حلّ سريع لمسألة الأقليّات، وهي مسألة معقّدة إلى درجة أنّ مجموع هذه الأقليّات يمثّل شعب الأمبراطوريّة العثمانيّة. وقد وجدت

---

١ - LACOSTE LACOSTE, *DICTIONNAIRE DE GÉOPOLITIQUE*, OP. CIT. P. 197.

٢ - LACOSTE, *DICTIONNAIRE DE GÉOPOLITIQUE*, OP. CIT. P. 197

مسألة الأغلبيّة التركيّة حلاً آليًا عبر الاقتطاعات المتتالية التي جرت على حساب الأمبراطوريّة العثمانيّة. وعندما وصل زعماء "تركيا الفتاة" إلى السلطة، كان الأتراك يشكّلون الأغلبيّة في الأمبراطوريّة. لكن حتّى تكون تركيا فعلاً تركيّة يجب إلغاء الأقليّات التي لم تندمج، ولا يمكن دمجها، والبدء أوّلاً بتلك المعزولة سياسيًّا، والمختلفة دينيًّا وثقافيًا، والتي تشكّل، في الوقت نفسه، التهديد الأكبر بسبب الوضع الجغرافيّ للأراضي التي تعيش عليها[1]. ويقول باحث غربيّ بأنّ "هذه النزعة العليا للجريمة كانت ستبقى مجرّد رهان مجنون لو لم يعرف القتلة بأنّ أيديهم كانت حرّة[2]".

من جهتها، تبنّت الحركات الثوريّة الأرمنيّة موقفًا حذرًا بشكل عام، في بداية الحرب العالميّة الأولى، وذلك لخشيتها من النوايا التركيّة المبيّتة. وفي الوقت نفسه راحت تراقب عن كثب تقدّم القوّات الروسيّة السريع في وجه القوّات العثمانيّة المندحرة. لكنّ تسارع الأحداث وتلاحقها قد أدّى إلى حبك خيوط عديدة متشابكة في حياكة نسيج المأساة الأرمنيّة. من تلك الأحداث: إعلان الأتراك التعبئة العامّة ورفض بعض القوى الجبليّة الأرمنيّة، بقوّة السلاح أحيانًا، الانخراط في هذا الاستنفار العام؛ هروب بعض المجنّدين من المناطق الحدوديّة نحو القوقاز الروسيّ؛ تشكيل الروس لكتائب متطوّعين من الأرمن وانخراط أرمن عثمانيّين فيها خصوصًا من المجنّدين الهاربين من الخدمة في الجيش التركيّ؛ قيام بعض المسلّحين الأرمن بعمليّات ضدّ الجيش العثمانيّ "خلف خطوط العدوّ"؛ محاولات الحلفاء استخدام الأرمن في قيليقية لتسهيل إنزال محتمل في "الإسكندرون"؛ وأخيرًا العصيان الأرمنيّ المسلّح في "فان" قرب حدود تركيا الشرقيّة في نيسان ١٩١٥، وهي الشعرة التي قصمت ظهر البعير،

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٢١ ـ ٢٢.

٢ ـ TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, ED. DU SEUIL (PARIS, 1996) P. 13.

بحسب الأتراك، لأنّها جاءت مع الهجوم الروسيّ الواسع في الربيع. وبعد حلقة مفرغة من الانتفاضات والقمع، الأمر الذي أقنع الأتراك بوجود مؤامرة أرمنيّة واسعة النطاق، وبأنّ اللحظة باتت مناسبة للانتهاء، ولمرّة واحدة نهائيّة، من المسألة الأرمنيّة التي أصبحت مسألة خطيرة[1].

وهكذا ففي ٢٤ نيسان (إبريل) ١٩١٥، بعد أربعة أيّام على بداية العصيان المسلّح في "ڤان" وعشيّة إنزال الحلفاء في الدردنيل، قرّرت الحكومة التركيّة "نقل" أو "إبعاد" سكّان الأمبراطوريّة العثمانيّة الأرمن نحو سوريا. إنّ هذا القرار كان بمثابة شرارة حرب إبادة حقيقيّة ضدّ الشعب الأرمنيّ في تركيا[2].

مُحَاوَلاتُ إبَادَةِ الأرمَن فِي القَرنِ العِشرِين

مع بداية القرن العشرين، أخذ الأرمن يأملون بمستقبل أفضل. فبالإضافة إلى أملهم في أن يساعدهم الروس للوصول إلى الاستقلال الذاتيّ، كما حصل في معظم الولايات الأوروبيّة في أواخر القرن التاسع عشر، ظهر لهم أمل جديد تجسّد في حركة "تركيا الفتاة" وفي لجنة "الاتّحاد والترقّي". فسياسة "عبد الحميد" جمعت، لمدّة قصيرة، بين الأرمن وبعض الأتراك الناقمين على سياسة السلطان، والذين كانوا ينظرون إلى مستقبل أفضل يعيد العزّة للترك. لكنّ حركة تركيا الفتاة، عندما وصلت إلى الحكم، بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨، اتّخذت مواقف عنصريّة متشدّدة من

---

١ ـ العزّي د. غسّان، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٢٢؛ LACOSTE, *DICTIONNAIRE DE GÉOPOLITIQUE*, OP. CIT. P. 197

٢ ـ العزّي د. غسّان، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٢٣.

جميع الشعوب غير التركيّة، وظهرت أنّها ليست أفضل من عبد الحميد. فإذا كان هذا الأخير قد حاول التسلّط باسم الإسلام خاصّة، فإنّ هذه الحركة أخذت تعمل، وبدفع أكبر، على أساس التتريك وجمع شمل الشعوب والمجموعات التي يجمع بينها الأصل المشترك[1].

كان الإتّحاديّون، رجال جمعيّة الاتّحاد والترقّي، قد قطعوا الكثير من الوعود حول تحقيق الإصلاحات الوطنيّة والاجتماعيّة. لكنّهم، مع وصولهم إلى الحكم، بعد انقلاب ١٩٠٨، تناسوا وعودهم، وبقيت الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة دون تغيير، وبقي الأرمن، والعرب والشعوب الأخرى المقهورة، تحت نير الاضطهاد ودون أيّ حقوق. لذلك، فإنّ الأفول الذي بدأ في عهد السلطان عبد الحميد، قد استمرّ، وتواصل تقلّص الأمبراطوريّة العثمانيّة وضياع الأراضي التي كانت تحكمها[2].

ومرّة أخرى، وقعت أرمينية في عمق المنطقة التي تلتقي عبرها هذه الشعوب. وإنّ موقعها الجغرافيّ هذا، وواقعها، أظهرا أرمينية عقبة ومثار قلق لزعماء الحركة. ولم يتوانَ هؤلاء الزعماء عن العمل على تلقين الأرمن درسًا أخاف أولئك الذين كانوا يأملون بالحلّ الوحيد المتبقّي، أي الاستقلال الذاتيّ، لإبعاد الأخطار المحدقة بهم[3].

تلك كانت خلفيّة الأحداث التي آلت إلى مجازر القرن العشرين، المؤسفة حقًّا. ففي عام ١٩٠٩، جرت مجازر قيليقية وأضنه، دُمّرت خلالها مائتا قرية أرمنيّة قرب أضنه وذُبح سكّانها الذين يزيد عددهم على عشرين ألفًا. وهوجمت أضنه نفسها، وصُبّ

---

١ ـ راجع: بو ملهب عطاالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١١؛ الحاج د. كميل، الديمقراطيّة في النظام الدوليّ الجديد ـ الحالة التركيّة، مركز الدراسات الأرمنيّة (بيروت،١٩٩٧) ص ٨٧.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٩٣ ـ ٩٤.

٣ ـ بو ملهب عطاالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١١.

البترول على منازل الأحياء الأرمنيّة واشتعلت فيها النيران، كما نُبح الهاربون. وفي الأحياء التي تمّ احتلالها قُطّع الأطفال إربًا وبُترت أيادي وأصابع وآذان النساء من أجل انتزاع الحليّ[1].

وفي سنة ١٩١٢، بعد ضياع طرابلس الغرب في أفريقيا الشماليّة، خسرت تركيا مقدونيا وتراقيا في أوروبّا، وهرب ألوف المهاجرين الأتراك مع الجيش التركيّ المتقهقر، ووصلوا إلى تركيا. وكانت السلطات الاتّحاديّة تعتقد أنّ بوسعها تحسين الوضع السياسيّ، ووضع حدّ للانقسامات التي ظهرت في صفوف الفئات التركيّة الحاكمة، وذلك بتسعير النزعة القوميّة التركيّة المتعصّبة والمتطرّفة. واجتاحت البلاد عاصفة من الشوفينيّة العنصريّة التي استفحل بنتيجتها وضع الشعب الأرمنيّ، واشتدّت أعمال النهب والجرائم التي ظلّت بلا عقاب. وكان يجري إسكان المهاجرين الأتراك في القرى الأرمنيّة التي كانت تفرغ تباعًا من سكّانها. وظلّت احتجاجات الوجهاء الأرمن لدى السلطات التركيّة دون نتيجة. وهذا ما كان ينبئ بكارثة أفظع من الكوارث السابقة، في الوقت الذي كان فيه الأرمن يتذكّرون مجازر قيليقية وأضنه التي كانت لا تزال ماثلة في أذهانهم. في مثل هذا الجوّ اقتربت الحرب العالميّة الأولى من الاندلاع، ما جعل مختلف الدول الأوروبيّة تسعى لكسب تركيا إلى جانبها. وكانت السلطات التركيّة تواجه الخيار الصعب التالي: مع أيّ معكسر يجب أن تسير؟ إذ إنّ اشتداد المشاعر التركيّة المتعصّبة والطورانيّة، كان يدفعها لتوجيه أطماعها نحو الشرق، نحو القفقاس وآسيا الصغرى، وكان النظريّون الطورانيّون يقولون: "يجب طرد روسيا من القفقاس، ويجب ضمّ هذه الأراضي إلى تركيا، ويجب أن يصبح البحر الأسود بحرًا

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، هامش ص ١٠٣؛ راجع أيضًا: مادويان أرتين، حياة على المتراس ذكريات ومشاهدات، تقديم جورج الحاوي، دار الفارابي (بيروت،١٩٨٦) ص٢٠ ـ ٢٢.

تركيًا داخليًا". في هذا الوقت، فإنّ هيئة الأركان التركيّة التي كانت تؤيّد هذَين الإيديولوجيّة والاتّجاه، أخذت تعدّ برنامجًا لاحتلال بلاد القفقاس وورائها وضمّها إلى تركيا. لكنّ الحكّام الأتراك رأوا في وجود الأرمن عقبة أمام مشروعهم هذا[1]. وقد كان الأرمن، كالعرب، يعارضون بحزم عمليّة التتريك، ويحافظون على لغتهم القوميّة وأعرافهم وتقاليدهم، وكانوا يطالبون، عبر النضال والبيانات، بالحكم الذاتيّ، وبحريّتهم، وبحياة لائقة من دون اضطهاد. من هنا شعر حكّام بني عثمان الاتّحاديّون بضرورة إبعاد الأرمن من أرضهم ووطنهم الأمّ ونفيهم وإبادتهم كليًّا داخل أراضي الأمبراطوريّة العثمانيّة[2].

إستغلالُ تركيا للحرب العالميَّة الأولَى

ليس بوسع الباحث إلاّ أن يلاحظ، بوضوح، ما أقدمت عليه تركيا من استغلال لصروف الحرب العالميّة الأولى، في برنامجها القاضي بتصفية الشعب الأرمنيّ. فعندما دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤، اتّخذت تدبيرَين. فبحجّة التعبئة العامّة، جُنّد كلّ الذكور الأرمن الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٥٠ سنة، وأُبعد الجنود الأرمن عن مناطقهم ووُضعوا في أفواج العمل من أجل بناء الطرق وغير ذلك من الأشغال، ومن ثمّ أُبيدوا مجموعة بعد أخرى؛ وفي التدبير الثاني اتّخذت السلطات التركيّة قرارات تقضي بنزع السلاح، ودُعي الأرمن إلى تسليم سلاحهم. و كان يذهب إلى غير عودة، كلّ مَن تجد لديه السلطات سلاحًا[3].

---

١ ـ في هذا المجال، قال علي إحسان باشا، أحد قادة الاتّحاد والترقّي يومها: لولا الأرمن لاحتللنا القفقاس منذ مدّة طويلة.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٩٤ ـ ٩٥.

٣ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٩٦.

توصّل الأرمن، في سنة ١٩١٤، إلى إعادة الإعتبار لوعود اسطنبول وضمانات الدول الأوروبيّة العائدة لأواخر القرن السابق، لكنّهم لم يستطيعوا النجاة من مصير بدا شبه حتميّ. ذلك أنّ اندلاع الحرب العالميّة الأولى ودخول الأمبراطوريّة العثمانيّة ضدّ ضامني الإصلاحات، أزالا الأمل الباقي بتحقيق مستقبل آمن. ولا بدّ من التنويه هنا باضطرار الأرمن آنذاك، لأن يتواجدوا في كلّ من طرفَي النزاع. فإنّ أرمن القسم الذي سيطرت عليه روسيا، منذ القرن التاسع عشر، وجدوا أنفسهم في صفوف الحلفاء، بينما وجد أرمن السلطنة أنفسهم في صفوف فريق "المحور" المعادي. ويبدو هنا أنّه منذ بداية الحرب ومحاولة زعماء تركيا الفتاة جمع شمل "الشعوب الشقيقة"، تأكّد لهؤلاء وجوب التخلّص من الأرمن الذين بإمكانهم إعاقة المسيرة، خاصّة إنْ هم تعاونوا مع الروس[١]. وكان عدد من الأرمن القاطنين في المناطق الحدوديّة، المجاورة لروسيا، قد انخرطوا في الجيش الروسيّ إلى جانب إخوانهم الأرمن الذين شكّلوا كتائب متطوّعين في هذا الجيش. في الوقت نفسه، انخرط عدد آخر من الأرمن العثمانيّين، بدعم أو إيعاز من القوى المعادية لتركيا، في حرب عصابات في مؤخّرة الجيش التركيّ راحت تعيق تحرّكه[٢].

في آذار (مارس) ١٩١٥، بدأ الجوّ بالاكفهرار. إذ بدأت القوّات التركيّة تزرع الرعب في ولاية أرضروم وتبليس. وفي نيسان (إبريل)، هبّت العاصفة في نقاط ثلاث مختلفة: أرضروم وفان والقسطنطينيّة. وكان أرمن زيتون قد أرسلوا في شباط (فبراير) ١٩١٥ مبعوثًا إلى نائب الملك الروسيّ في القوقاز ليعرض عليه أن ينتفض الأرمن ضدّ الحكومة العثمانيّة، إذا قدّم لهم السلاح والذخيرة. لكنّ "دول التفاهم" التي

---

١ ـ بو ملهب عطاللّه، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١١ ـ ١٢.

٢ - LACOSTE, *DICTIONNAIRE DE GÉOPOLITIQUE*, OP. CIT., P. 196.

لم تخطّط للنزول على ساحل قيليقية رفضت العرض[1]. ورجّح باحثون أن يكون هذا هو سبب قرار الاتّحاد والترقّي البدء بضرب زيتون[2]. وهكذا ففي نهاية شباط (فبراير) قام اثنان وثلاثون شابًّا من زيتون بالهجوم على عساكر أتراك كانوا قد اغتصبوا فتيات أرمن، وانتهى الهجوم بمقتل تسعة من العساكر. وقد رفض سكّان زيتون الخائفون من ردود الفعل التركيّة، حماية هؤلاء الشبّان الذين اضطرّوا للاختباء في دير. علمًا بأنّ هذا النوع من الحوادث كان شائعًا في زيتون[3]. رغم ذلك، استغلّت الحكومة الحادث للقضاء على الأرمن في هذه المدينة. وفي ٢٤ آذار (مارس) وصل ٥٠٠ جنديّ تركيّ إلى مرعش في زيتون، وقد رافقهم وفد أرمنيّ حاول إقناع السكّان بمساعدة الجنود على العثور على العصاة، وإلاّ فإنّ سكّان قيليقية سوف يتحمّلون المسؤوليّة. وفي ٢٥ آذار (مارس) هوجم دير سانت ـ ماري حيث كان العصاة يختبئون. وهنا حدث شيء يدعو للاشتباه بأنّ الحكومة العثمانيّة كانت تخطّط لأبعد من ذلك. فقد تمكّن الرجال المحاصَرون وعددهم ٣٢ من الهرب والإفلات من قبضة الجنود المحاصِرين وعددهم ٤٠٠ بعد أن قتلوا منهم بين ٢٠٠ و ٣٠٠ جنديّ[4].

بعد ذلك استدعى القائد العسكريّ خمسين من وجهاء المدينة ليأمر باعتقالهم. وفي ٨ نيسان (إبريل) أُجبرت ستّون عائلة على الرحيل فورًا قبل أن تتعرّض أحياء زيتون، الواحد بعد الآخر، لعمليّات إخلاء قسريّ تمّ خلالها فصل الرجال عن نسائهم

---

١ - Beylerian Arthur, *Les Grandes Puissances, L'Empire Ottoman et Les Arméniens dans Les Archives Françaises 1914 - 1918*, Publications de La Sorbonne (Paris,1983) P,7

٢ - Ternon, *Les Arméniens, Histoire d'un Génocide*, Op. Cit., P. 236.

٣ - Ternon, *Les Arméniens, Histoire d'un Génocide*, Op. Cit., PP.57 - 58, 130- 131.

٤ - Kerr Stanley E., *The Lions Of Marach, Albany*, State University Of New York Press (1973)

وأولادهم. ولم يمضِ شهر واحد حتّى فرغت زيتون والقرى المحيطة بها من سكّانها الأرمن، وتحوّلت مدارسها إلى ثكنات، وأُطلق عليها اسم جديد هو "السليمانيّة" التي راح يقطنها مهاجرون وصلوا قبل حوالى الشهر من مقدونيا إلى قيليقية. ولم يكن إبعاد أرمن زيتون سوى بداية لعمليّات إبعاد أخرى. فمن أصل ٨ آلاف أرمنيّ في زيتون، و١٧ ألف في القرى المحيطة، أُرسل بين ٦ و٨ آلاف إلى منطقة "قونيا[١]"، والآخرون إلى "دير الزور[٢]" وقد اجتازت القوافل مرعش وأضنه وقارس وحلب وعينتاب في نيسان (إبريل) وأيّار (مايو). وأحسّ أرمن قيليقية وسوريا بأنّ الخطر بدأ يقترب منهم[٣]. ولم تكد تنتهي عمليّة إبعاد سكّان زيتون حتّى وصل أمر الإبعاد إلى القرى المحيطة. وانتهت عمليّة "التنظيف"[٤] في وسط حزيران (يونيو). وقد أُرسل سبعة آلاف منهم إلى منطقة السلطانيّة، قرب قونيا، وهي منطقة مستنقعيّة وحليّة، حيث اجتاحهم الجوع ومرض الملاريا. وفي تمّوز (يوليو) تُرك الناجون منهم لتمرّ قوافلهم في مدينة قارس وصولاً إلى مرعش، وذلك أمام أعين إخوانهم الأرمن في تارس[٥].

كانت زيتون مختبرًا أوليًّا للمذبحة الأرمنيّة. فالمناهج المستعملة في الإبعاد، وتقنيّات التدمير التدريجيّ للقوافل المحمّلة بالمبعدين كانت قد تقرّرت: طرد، تحويل،

---

١ ـ قونيا: مدينة في وسط تركيا الأسيويّة، هي إيقونيوم القديمة عاصمة سلطنة الروم السلجوقيّة ١٠٨١ ــ ١٣٠٢، عندها هزم ابراهيم باشا الجيش العثماني ١٨٢٢، فيها آثار وأنقاض قديمة.

٢ ـ دير الزور: مدينة سوريّة على الفرات الأوسط، قاعدة المحافظة، هي أوزارا القديمة، تُقسم إلى قسمَين أحدهما على الجزيرة والآخر على الضفّة الغربيّة، فيها الجسر الكبير على الفرات.

٣ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٢٦.

٤ - TERNON, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 237.

٥ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٢٧.

تقتيل جماعيّ عبر الجوع والإنهاك والمرض[1]. ومن ٩ إلى ١١ نيسان (إبريل) طُلب من كلّ سكّان المدينة الإعلان عن الأسلحة التي بحوزتهم وتسليمها للسلطات. هذا الأمر لم يكن يعني، في الحقيقة، سوى الأرمن الذين راحت السلطات تصادر منازلهم[2]. وفي بداية نيسان (إبريل) راح المحرّضون يؤلّبون السكّان ضدّ الأرمن، وبدأت لائحة مؤلّفة من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ اسم تتنقل من مركز إلى آخر، فتمّ توقيف وجهاء عديدين بدايةً، ثمّ توقيف كلّ أرمنيّ. وفي ٢٤ أيّار (مايو) طُلب من الأرمن أن يكونوا جاهزين لترك منازلهم فورًا[3].

وفي شتاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥ كان الأسطول الفرنسيّ ـ الإنكليزيّ يقصف المناطق المحيطة ب "ديرتيول[4]"، عندما اتّهمت الحكومة سكّانها بإرسال إشارات إلى السفن الحربيّة العدوّة. وفي نيسان (إبريل) قامت المحكمة العسكريّة بشنق ثلاثة أرمن منها في ساحة أضنه. ويقول باحث غربيّ بأنّ أرمنيًّا واحدًا فقط كان يرسل هذه الإشارات[5]. بعد ذلك بقليل صار كلّ أرمنيّ تتراوح سنّه بين ١٦ و٧١ سنة عرضة للاعتقال ثمّ الأعمال الشاقّة في شقّ الطرق. وفي منتصف إحدى ليالي وسط نيسان (إبريل) قام الجنود بمصادرة بيوت أرمن بشكل اعتباطيّ بحجّة البحث عن السلاح. وفي أيّار

---

١ ـ نستغرب كيف أنّ المرجع المذكور أدناه يناقض نفسه هنا فيقول: يجب القول أنّ أحدًا في تركيا لم يكن موافقًا على إلغاء الأرمن بهذه الطريقة الوحشيّة. فمثلاً في مرعش كان القائمقام متعاطفًا مع الأرمن. وعندما تلقّى أمر القيام بإبعاد الأرمن من زيتون طلب من مساعديه عدم إطاعة أيّ أمر قبل عودته إلى المدينة.

٢ - TERNON, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 237.

٣ - SAFARIAN ARA, *UNITED STATES DOCUMENTS ON THE ARMENIAN GENOCIDE*, WATERTOWN MA, ARMENIAN REVIEW, (1993- 1995) 3 VOLUMES, 1:2 - 10.

٤ - ديرتيول DEURT - YOL: مدينة صغيرة قرب البحر في خليج الإسكندرون، كانت أكثريّة سكّانها الساحقة من الأرمن.

٥ - TERNON, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT. P. 392.

(مايو) شُنق أرمن آخرون في ديرتيول وأضنه. وأخيرًا في الأسبوع الثالث من أيّار (مايو) أُبعد ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ أرمنيّ نحو قونيا. وبعد خمسة عشر يومًا أُفرغت المدينة من الأرمن، وتوجّهت قوافل المبعدين شرقًا نحو الصحراء[1]. وفي ١٤ أيّار (مايو) توجّه قاض من المحكمة العسكريّة في حلب إلى مدينة "هاجين" شمالي ولاية أضنه قبل أن يستدعي، من ١٨ إلى ٢٠ أيّار (مايو)، الوجهاء الأرمن ويفرض عليهم تسليم أسلحتهم والهاربين من الخدمة العسكريّة والمختبئين في شمال هاجين. وبعد تردّد قصير خضع الأرمن في هاجين فسلّموا كلّ الفارّين، في ٢٣ أيّار (مايو)، ما عدا ثلاثة أو أربعة منهم. كذلك سلّموا عشرة بنادق إلى السلطات. رغم ذلك قام ألفا جنديّ باجتياح المدينة بعد ظهر اليوم نفسه. وانطلاقًا من ٢٧ أيّار (مايو)، تمّ توقيف الوجهاء واحدًا تلوَ الآخر. واضطرّ السكّان المذعورون إلى تسليم تسعين بندقيّة مع آخر الفارّين. لكنّ القاضي طالب بالمزيد من الأسلحة التي لم يُعثر على شيء منها بالرغم من عمليّات التفتيش والمصادرة. ثمّ بدأت عمليّات الإبعاد لتستمرّ طيلة الصيف. وقد وصل المبعدون إلى حلب بحماية خفر راحوا يسرقونهم طيلة الطريق. بعد ذلك بقليل تمّ إخلاء المدن المجاورة لـ"شار" و"روملو" و"فكة" و"يريباكان" جنوبي هاجين، رغم تدخّل السكّان الأتراك ومعارضتهم لإبعاد إخوانهم الأرمن. وعندما تمّت هذه العمليّة ولم يبقَ أرمنيّ واحد في هاجين، وصل مهاجرون من "روميليا" ليسكنوا مع عائلاتهم في البيوت الأرمنيّة[2].

---

١ - TERNON, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT. P. 238.

٢ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، ص ٢٨ - ٢٩.

إنتفاضَة

"فــــان"

في مكان آخر، كانت مدينة "فان" تعيش ثورة مسلّحة حقيقيّة. ذلك أنّ دخول القوّات العثمانيّة إلى شمالي إيران، في بداية الحرب العالميّة الأولى، قد تمّ عن طريق "فان". وفي تمّوز (يوليو) ١٩١٤ اتُّهم الوالي تحسين بيه بدعم الأرمن، فتمّ استبداله بصهر أنور باشا "جودت"، الذي صار واليًا وقائدًا للقوّات العثمانيّة على طول الحدود. وبعد أن لمع جودت في تقتيل المسيحيّين النساطرة وغيرهم في إيران، عاد ليتّجه إلى "فان" في ٦ آذار (مارس) ١٩١٥، وهي التي يبلغ عدد سكّانها خمسون ألفًا، ثلاثون ألفًا منهم أرمن يقطن معظمهم "حيّ الحدائق". وقد طلب جودت من وجهاء المدينة تقديم ثلاثة آلاف أرمنيّ لتجنيدهم. فبدأت المفاوضات مع الزعماء الروحيّين والقادة المدنيّين لتمتدّ إلى أواسط نيسان (إبريل).

وحول "فان" كان الوضع متدهورًا. إذ كانت القوّات الروسيّة قد غادرت شمالي بحيرة فان، حيث قامت القوّات العثمانيّة بتدمير ٨٠ قرية وقتل ٢٤ ألف أرمنيّ في خلال ثلاثة أيّام، بين ١٥ و١٨ نيسان (إبريل). وفي جنوب فان قرب "شاتاك" اندلع القتال بين الأرمن والأتراك. وقد طلب جودت من أحد قادة الطاشناق الثلاثة في فان: "إشكان"[1] التوجّه إلى شاتاك لتهدئة الاضطرابات. وتحرّك إشكان فورًا لكنّه اغتيل في الطريق في ١٦ نيسان (إبريل). وفي اليوم التالي استدعى جودت القائدَين الآخرَين "فراميان" و"مانوكيان" إلى منزله. وفيما لبّى الدعوة فراميان، اعتُقل فورًا، أمّا مانوكيان فتقاعس. وعندما علم بمصير رفيقه عاد توًّا على أعقابه. ثمّ وقعت بين أيدي الأرمن مراسلات بين جودت ومأموريه، فاكتشفوا حقيقة النوايا التركيّة. وبعد أيّام كان الأتراك

---

١ ـ القائدان الاخران هما النائب "فراميان" و"آرام مانوكيان".

يحفرون الخنادق حول حيّ الحدائق، وفي المقابل كان الأرمن ينظّمون أنفسهم استعدادًا للدفاع عن أحيائهم. وفي ٢٠ نيسان (إبريل) أدّى مقتل أرمنيَّين اثنَين على يد أتراك خلال حادث أمنيّ إلى انطلاق شرارة القتال وبداية حصار حيّ الحدائق في "فان". والحقيقة أنّ جودت كان يبحث عن دليل على وجود عصيان أرمنيّ مسلّح تريده لجنة "الاتّحاد والترقّي" لتبرير ما تستعدّ للقيام به من إجراءات. وهكذا أمر جودت بتدمير القرى المجاورة لـ "فان" حيث ذُبح السكّان وأُحرقت المنازل. رغم ذلك سُمح للناجين، وعددهم حوالى عشرة آلاف، باللجوء إلى فان والدخول إلى الحيّ الأرمنيّ. وكان هدف الوالي من وراء ذلك أن يؤدّي وجود عشرة آلاف إنسان إضافيّ إلى سرعة نفاذ الأغذية والموادّ الأخرى الضروريّة للصمود. وهكذا ففي خلال شهر كامل راحت الأحياء الأرمنيّة، وخصوصًا حيّ الحدائق في فان، تتعرّض لحصار وقصف متواصلَين. رغم هذا كلّه نجح الأرمن في الصمود، وكذلك في السيطرة على المراكز الحكوميّة. وقد تلقّى الأرمن مساعدة المبعوثيّة الأميركيّة رغم تهديدات جودت[1]. لكن في النهاية فقد المحاصَرون المنهكون الأدوية والأغذية، ولم يعد الخلاص ممكنًا إلاّ على يد الجيش الروسيّ، وهذا ما حصل بالفعل، إذ إنّ المتطوّعين الأرمن في هذا الجيش قد تدخّلوا لدى قادتهم كي يأمروا باحتلال كلّ الهضبة الأرمنيّة. وهكذا ففي ٢٨ نيسان (إبريل) انطلق من "ييريفان" وحدات المتطوّعين الثانية والثالثة والرابعة المنتظمة تحت فيلق أرارات تحت قيادة "فارتان" وانضمّت إلى جيش الجنرال "نيكولاييف" النظاميّ وعبرت الحدود في ٤ أيّار (مايو). وبعد خمسة عشر يومًا وصلت إلى فان. وفي ١٦ أيّار (مايو) علم جودت بتقدّم الجيش الروسيّ فأمر قوّاته

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٣٠، نقلاً عن: Knapp Grace H., *The Mission At Van In Turkey In War Time*, New York., Documents Presented To Viscount Grey Of Fallodon, Prospect Press (1915)

بالانسحاب إلى جنوب البحيرة نحو قوستان[١]. وكان أرمن "فان" قد سيطروا على القلعة وبعض المراكز الحكوميّة قبل يومَين من وصول طلائع وحدات المتطوّعين الأرمن[٢]. وفي حين تابعت القوّات الروسيّة تقدّمها نحو تبليس، عُيّن "آرام" حاكمًا للمنطقة المحتلّة[٣]. غير أنّ الأتراك قد تمكّنوا من وقف زحف الجيش الروسيّ في جنوبيّ مدينة فان. وفي حزيران (يونيو) استغلّ الروس فرصة حلول بعض الهدوء النسبيّ ليتقدّموا نحو تبليس. ولكن في وسط تمّوز (يوليو)، عندما كانت الوحدات الروسيّة في أوج هجومها، اصطدمت بمقاومة الأتراك العنيفة، وبهجوم تركيّ مضادّ استطاع دحرها حتّى شماليّ فان. واضطرّ الروس المهدّدون بالحصار إلى ترك المدينة في ٣١ تمّوز (يوليو). وقد أعطى الجنرال نيكولاييف أوامره إلى كلّ الأرمن وكلّ الأجانب في الولايات بالهروب مع القوّات الروسيّة. وعمّ الذعر أكثر من مئة ألف لاجئ تركوا كلّ ما يملكون للهروب مع الروس إلى منطقة القوقاز حيث مات منهم أكثر من ثلاثين ألفًا، على الطريق، من الجوع أو المرض أو التعب الشديد. وبوصول اللاجئين إلى القوقاز، واجه الأرمن هناك مشكلة مستعصية هي تأمين الغذاء والدواء والسكن لهم، ولأولئك الأرمن الآتين من القسم الشرقيّ من ولاية أرضروم في خلال شتاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥، وكان هؤلاء الجماعة الوحيدة الناجية من أرمن الأمبراطوريّة العثمانيّة[٤].

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٣١.

٢ ـ JAMES AND TOYNBY, ARNOLD J., *THE TREATEMENT OF THE ARMENIANS IN THE OTTOMAN EMPIRE*, DOCUMENTS PRESENTED TO VISCOUNT GREY OF FALLODON, J. CAUSTON AND SONS (LONDON,1916) DOCUMENT NO. 9.

٣ ـ ANONYME, *LA DÉFENSE HÉROÏQUE DE VAN*, ED DE DROCHAK (GENÈVE,1916) ; KORGNOFF GÉNÉRAL G., *LA PARTICIPATION DES ARMÉNIENS À LA GUERRE MONDIALE SUR LE FRONT DE CAUCASE*, 1916- 1918, IMPRIMERIE MASSIS (PARIS,1927) PP. 23- 24.

٤ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٣٢.

إعتبر باحثون أنّ انتفاضة فان، ووجود متطوّعين أرمن في الجيش الروسيّ، شكّلا أساس التبرير التركيّ لما حلّ بالأرمن على أيديهم. فبحسب الأتراك، كان تشكيل وحدات متطوّعين من أرمن القوقاز ومشاركة أرمن عثمانيّين في هذه الوحدات، ونداءات الحقد والتحريض المنبعثة من الصحف الأجنبيّة في الخارج، المؤشّر الأوّل على وجود مؤامرة أرمنيّة. أمّا انتفاضة فان فهي الدليل القاطع. وكان يكفي أن تُضاف إلى ذلك أدلّة مصوّرة، وهي صور السلاح المصادَر من بيوت الأرمن، واعترافات أرمن تمّ الحصول عليها خلال التحقيق، ومراسلات سرّيّة بين الأرمن...، لاتّهام الأرمن بالتحضير لمؤامرة واسعة[1] لكنّ برنامج الإبعاد بدأ في نيسان (إبريل)، وتمّ بالطريقة نفسها التي ستُتّبَع في برامج الإبعاد اللاحقة. وإذا كان صحيحًا أنّ وجهاء أرمن عرضوا على الحلفاء مشاركة أرمن الدياسبورا، فيما لو قرّر الحلفاء النزول في قيليقا، كعرضَي "تشوبانيان" إلى وزارة الحرب الإنكليزيّة، و"فاراندیان" إلى سفراء التفاهم في صوفيا[2] فإنّ اليونانيّين قد تقدّموا بعروض مماثلة للحلفاء إذا نزلوا في سواحل آسيا الصغرى دون أن يتعرّضوا لِما تعرّض له الأرمن من مجازر وتنكيل وتعذيب. ثمّ إنّ الأرمن العثمانيّين ليسوا مسؤولين عن عروض أرمن الدياسبورا. ولم يوجد عصيان مسلّح في فان ولكنّ تنظيم الدفاع عن النفس فرضه اليأس، ونوايا جودت باستغلال الحدث لا شكّ فيها مطلقًا. وإنّ أحد الضبّاط الفنزوليّين الذين خدموا في الجيش العثمانيّ، واسمه "رافاييل دو نوغالس"، وكان آمرًا في كتيبة المدفعيّة التي قصفت المحاصرين في فان، يشهد بالتالي:

---

١ - TERNON, LES ARMÉNIENS. *HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 242.

٢ - BEYLERIAN ARTHUR, *LES GRANDES PUISSANCES*, OP. CIT., P XXXV, ET DOCUMENT NO. 16, PP. 12- 14.

في ٢١ نيسان (إبريل) ١٩١٥ راح عمدة المدينة يقود العربدة في فان. قال لي بأنّه ينفّذ أوامر الحاكم: القضاء على كلّ السكّان الذكور البالغين من العمر أكثر من ١٢ سنة[1]...

وكتب الجنرال "جوزيف بوميانكوفسكي"، الملحق العسكريّ النمساويّ، لاحقًا:

"إنتفاضة فان كانت بلا شكّ تعبيرًا عن اليأس. لقد تحقّق لأرمن فان بأنّ المجازر ضدّ الأرمن عمومًا قد بدأت وبأنّهم سيكونوا الهدف المقبل[2]".

مآثرُ اسطَنبُول

في اسطَنبُـول

في القسطنطينيّة، بدأت العلاقات بالتدهور بين الأتراك والمئة وخمسين ألف أرمنيّ الذين يقطنون المدينة انطلاقًا من آذار (مارس) ١٩١٥. وكان من أوّل مؤشّرات العودة إلى اضطهاد الأرمن هناك، قرار قضى بمنع جريدة "آزادامارد" الناطقة بلسان حزب الطاشناق في ٢١ آذار (مارس)، ثمّ تمّ توقيف أحد الصحافيّين العاملين فيها. وفي بداية نيسان (إبريل) وصلت إلى العاصمة أنباء عمليّات الإبعاد الجارية في زيتون. وكان الجوّ قد بدأ يكفهرّ مع تهديدات الحلفاء لـ"الدردنيل[3]". فكان وصول الأسطول الإنكليزيّ منتظرًا في "البوسفور[4]" بين لحظة وأخرى. ويبدو أنّ الفرح الذي عبّر عنه الأرمن

---

١ - DE NOGALES RAFAËL, *FOUR YEARS BENEATH THE CRESCENT*, SONIBNER'S, (NEW YORK, 1926) P. 60.

٢ - BOMIANKOWSKI JOSEPH, CITÉ PAR: TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 243.

٣ - **الدردنيل** DARDANELLES : مضيق بين شبه جزيرتَي البلقان وآسيا الصغرى، يصل البحر الإيجي ببحر مرمرة، نظّمت المرور فيه معاهدة مونترو ١٩٣٦.

٤ - **البوسفور** BOSPHORE : مضيق طوله ٢٧ كلم بين البحر الأسود وبحر مرمرا، يفصل تركيا الأسيويّة عن تركيا الأوروبيّة، هو من المراكز الاستراتيجيّة الهامّة.

إزاء أخبار انسحاب الحكومة الوشيك من آسيا الصغرى، قد استفزّ السلطات التركيّة التي ردّت بعمليّات اعتقال اعتباطيّة. واتّجه البطريرك الأرمنيّ نحو الدبلوماسيّين الأجانب القادرين، في رأيه، على مساعدته حيال الباب العالي. لكنّ السفير الألمانيّ "فنغنهايم" رفض حماية أبناء الكنيسة الأرمنيّة بصورة رسميّة، رغم قبوله بذلك بصفة شخصيّة، لأنّ ذلك يُعتبر في نظره "تدخّلاً في شؤون تركيا الداخليّة غير مقبول، لأنّه يجرح الشعور الوطنيّ التركيّ الحسّاس جدًّا في هذه الأيّام. وهو تدخّل غير مؤاتٍ لأنّه قد يؤدّي إلى عكس ما يرغب به الأرمن[1]".

يرى باحثون أنّ عمليّات الطرد المنظّمة في ليل ٢٤ ـ ٢٥ نيسان (إبريل)، كانت مقدّمة للمذبحة الأرمنيّة في القسطنطينيّة. وقد تمّت بموجب لائحة أُعدّت سلفًا، وهي تكشف عن إرادة تقطيع أوصال أبناء الكنيسة الأرمنيّة واستباق كلّ مقاومة مستقبليّة ممكنة بإلغاء مقوّماتها سلفًا. وهي تُعتبر تكملة لعمليّات الإبعاد المنجزة في زيتون والاعتقالات القائمة في الولايات الشرقيّة، كما تشهد على ذلك البرقيّة المرسلة في ٢١ نيسان (إبريل) ١٩١٥ من الدكتور "بهاء الدين شاكر" أحد قادة الاتّحاد والترقّي في "خربوط[2]"، وذلك بواسطة "تحسين بيه" والي أرضروم*. وقد قُرئت في قرار الاتّهام خلال محاكمة قادة الاتّحاد والترقّي في ٢٧ نيسان (إبريل) ١٩١٩ ونُشرت في

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٣٤، نقلاً عن: *Documents de la Wilhelmstrasse* 1867- 1920, Vol., 36, *Wangenheim à Bethmann - Holleweg*, le 15-4 - 1915, No. 228, cité par Lepsius J. dans son Rapport Secret sur les Massacres d'Arménie, Payot (Paris,1918) et cité par Trumpener, Ulrich, *Germany and the Ottoman Empire* 1914-1918, Princeton University Press (New Jersey,1968) p. 205.

٢ ـ خربوط أو خريوت: مدينة في شرق تركيا في ولاية العزيز بالقرب من منابع دجلة، سمّاها العرب حصن زياد، اعتقل فيها العرب جوسلين القائد الصليبي ١١٢٢، والملك بغدوين ١١٢٣، فهجم الأرمن على الحصن وأطلقوا سراح المسجونين.

جريدة TAKVIM - I VEKAYI التركيّة في ٥ أيّار (مايو) ١٩١٩ وهي تشكّل دليلاً قاطعًا على نوايا الاتّحاد المسبقة حيال الأرمن[1]:

> هل تمّت تصفية الأرمن الذين تمّ نقلهم من مقاطعتهم؟ هؤلاء الأشخاص الخطرين الذين أخبرتمونا عن نفيهم وطردهم... هل هم في طريقهم للتصفية؟ أم أنّهم ببساطة نُقلوا إلى منطقة أخرى؟ أخبرونا بوضوح يا أخي.

ويرى باحثون أنّ هذه البرقيّة تحتوي على مؤشّرات أخرى، منها أنّ إبعاد الأرمن كان قد بدأ قبل دخول القوّات الروسيّة إلى فان في ١٩ أيّار (مايو) وهذا ما يكذّب ادّعاءات وزير الداخليّة العثمانيّة وقتها طلعت بيه الذي كتب في ما بعد يقول: "إتّخذت الحكومة العثمانيّة القرار بإبعاد الأرمن بعد دخول القوّات الروسيّة ترافقها وحدات أرمنيّة إلى فان حيث ارتكبوا فظائع من كلّ الأنواع بحقّ السكّان"[2]؛ ثمّ إنّ لغته المباشرة والعنيفة تنزع القناع عن الألفاظ التخفيفيّة المستعملة عادة مثل "إبعاد" و"نقل" التي كانت الحكوم العثمانيّة تخفي خلفها نوايا بالقضاء على الشعب الأرمنيّ[3].

ويذكر محقّقون أنّ اسطنبول كانت تضمّ مائة وخمسين ألف أرمنيّ من أصل مجمل السكّان البالغ عددهم ستّمائة ألف. وكان هؤلاء الأرمن، بصورة عامّة، عمّالاً وحرفيّين وطلاّبًا ومستخدمين وأطبّاء ومحامين وموسيقيّين، وكانوا يعيشون في وفاق مع الأتراك واليونانيّين، كما كانوا يشتركون في بناء البلاد، وفي الصناعة والتجارة والثقافة. وفي ليل ٢٤ نيسان (إبريل) ١٩١٥، تحرّك أعضاء "المنظّمة الخاصّة" التابعة لجمعيّة الاتّحاد والترقّي والعصابات المسلّحة، باتّجاه منازل الأرمن المثقّفين حيث كان

---

١ - BEYLERIAN ARTHUR, *LES GRANDES PUISSANCES*, OP. CIT., P. XXXIX

٢ - VÉIRITÉ *SUR LE MOUVEMENT RÉVOLUTIONNAIRE ARMÉNIEN ET LES MESURES GOUVERNEMENTALES, CONSTANTINOPLE, 1916*, P. 10, IN: BEYLERIAN ARTHUR, *LES GRANDES PUISSANCES*, OP. CIT., P. XXXIX

٣ - IBID.

يُطلب منهم ارتداء ملابسهم على عجل من أجل حديث هامّ في مركز الشرطة. وبهذه الحجج اقتيدت نخبة المثقّفين الأرمن كمجرمين إلى السجن المركزيّ في اسطنبول، وكانوا زهاء ألف وخمسمائة شخص، ثمّ أُرسلوا إلى داخل البلاد حيث قُتلوا بوحشيّة[١]. هذه العمليّة الواسعة النطاق التي تمّت تحت إشراف قائد بوليس القسطنطينيّة "بدري بيه" أسفرت في ٢٥ نيسان (إبريل) عن تصفية ٢٧٠ طبيبًا ومحاميًا وصحافيًّا وراهبًا ومثقّفا، بالتوازي مع عمليّات تفتيش البيوت والمدارس والكنائس والبطريركيّة، وذلك بحثًا عن أيّ حجّة عمليّة من شأنها أن تبرّر لاحقًا كلّ هذه الإجراءات[٢]. وبذلك حُرم الشعب الأرمنيّ من مثقّفيه[٣]، خاصّة بعد تجنيد الذكور، ولم يبقَ في القرى والمدن سوى النساء والأطفال والمسنّين. ثمّ جاء الأمر بالنفي معلَنًا بواسطة المنادين الذين كانوا يُمهلون السكّان بين يومَين وعشرة أيّام من أجل الرحيل، شرط ألاّ يحمل المنفيّون سوى القليل من المتاع، وكانوا يغادرون مشيًا على الأقدام، ونادرًا ما كانوا ينزحون على متن عربات تجرّها الثيران[٤]. وكان من الطبيعيّ أن تقضي ظروف الانتقال على نسبة كبيرة منهم جوعًا وتعبًا ومرضًا[٥]... وكان من بين المبعدين ستّمائة معتقل تمّ نقلهم بالقطار إلى أنقره حيث قُسموا إلى فريقَين بموجب لائحة أعدّتها وزارة الداخليّة. ٩١ شخصًا نُقلوا إلى سجن عياش حيث سيلاقون حتفهم، والفريق الآخر أُرسل

---

١ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٩٦ ـ ٩٨.

٢ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٣٦.

٣ ـ تمّ استثناء النائبَين الأرمنيّين فارتكيس، واسمه الحقيقيّ فانيس سيرانقوليان، وزوهراب، بسبب صداقتهما الحميمة مع زعماء الاتّحاد وخصوصًا طلعت. وقد قاما بحركة سريعة مكثّفة لدى تركيا الفتاة إلى أن طمأنهما طلعت بالقول إنّ هناك تحقيق جار ولن تتمّ معاقبة إلاّ المجرمين فقط. وقد برّر الاعتقالات بالخوف من انتفاضة مشابهة لما حدث في فان.

٤ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٩٦ ـ ٩٨.

٥ ـ بوملهب عطاالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٢.

إلى "تشانكيري"، وكان من أعضائه الشاعر دانيال فاروجان والأب كوميتاس. وبعد عمليّات انتقاء عديدة نُقل هؤلاء إلى ديار بكر أو دير الزور حيث سيُلاقون الموت أيضًا. والناجون القلائل نُقلوا إلى أضنه وحلب[1].

ويروي متتبّعون أنّه في البداية لم تعطِ وزارة الداخليّة التركيّة أيّ تبرير لهذه الاعتقالات. وقد ذهب المونسينيور زافين على رأس وفد لمقابلة طلعت بيه الذي طمأنهم إلى أنّه ليس هناك من دليل جدّيّ على وجود مؤامرة أرمنيّة وبأنّ الأبرياء سيُطلق سراحهم قريبًا. وكدليل على صدق نواياه أُطلق طلعت بيه سراح ثمانية معتقلين من تشانكيري خصوصًا بعد تدخّل دبلوماسيّين عديدين محايدين وألمان. لكنّ صحيفة "تانيم" الناطقة بلسان الاتّحاد والترقّي راحت تبرّر هذه الاعتقالات بالكلام عن وجود مؤامرة أرمنيّة واسعة النطاق بالاشتراك مع "الاتّحاد الليبراليّ" المعادي للاتّحاد والترقّي[2].

جاء في الدوّنات أنّ ردود الفعل الواسعة في المدينة على اعتقالات ٢٤ نيسان (إبريل) قد أجبرت طلعت على التخلّي عن مشروع إبعاد أرمن القسطنطينيّة. وبسبب وجود عدد كبير من السفارات المحاذية فلا يمكن إخفاء الأمر، خاصّة وأنّ السفراء الأجانب قد طلبوا إيضاحات من الحكومة العثمانيّة حول ما كان يجري. وفي يوم الاعتقالات الشهير، ٢٤ نيسان (إبريل) ١٩١٥، اتّصل السفير الألمانيّ "البارون فنغنهايم" بطلعت لاستعلامه عن أسباب حملة الاعتقالات الجارية في القسطنطينيّة، فأجابه مسؤول كبير في الوزارة بأنّها "إجراءات ردعيّة تلافيًا لحصول ثورة كما حصل

١ - TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 245.

٢ - TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP, CIT., P. 245.

في فان". على أنّ السفير الألمانيّ، الذي كان على علم بما جرى في فان، وافق في البداية على أطروحة وجود مؤامرة أرمنيّة، خاصّة بعد أن تمّ التأكيد على إحباط مخطّطات هجوم ضدّ مراكز رسميّة عامّة في الباب العالي[١].

وصلت بعد ذلك بقليل تقارير إلى السفارة الألمانيّة من خربوط* عبر مدير المعهد الألمانيّ، ومن أرضروم عبر القنصل الألمانيّ "شوبنر ريختر"، ومن حلب عبر القنصل "روسلر"، وكلّها يدلّ على عدم وجود أيّ مؤشّر على انتفاضة أرمنيّة ما[٢]. بل على العكس، فإنّ تلك التقارير تحدّثت عن خشية أصحابها من مذبحة قد يتعرّض لها الأرمن. لكنّ فنغنهايم، المتعاطف كثيرًا مع الأتراك، اكتفى بالطلب من القنصل الألمانيّ "شوبنر ريختر" أن يعمل على تحاشي حصول مجازر أو تجاوزات في المنطقة، من دون أن يعطي الانطباع بأنّه يقوم بحماية الأرمن[٣]. وانطلاقًا من هذا التاريخ، يبدو أنّ السفير الألمانيّ لم يعد يشكّ مطلقًا بنوايا الحكومة العثمانيّة حيال الأرمن، وقد اكتشف أهميّة هذا الحدث لاحقًا عندما راح يلعب دور الوسيط بين القناصل الساخطين الذين يجب كبح جماحهم من جهة، والباب العالي المعارض لأيّ تدخّل أجنبيّ من جهة أخرى[٤]. بينما نجد السفير الأميركيّ "هنري مورجانتو" بعد ٢٤ نيسان (إبريل) يتوسّل إلى السفير الألمانيّ فنغنهايم، والسفير النمساويّ ـ المجريّ "بالافيشيني" عميد السلك الدبلوماسيّ في القسطنطينيّة، للتدخّل لدى زعماء تركيا الفتاة، لكنّ السفيرين رفضا التجاوب، واكتفى بالافيشيني بإعلام طلعت بالإسقاطات السلبيّة على الوضع العام التي

---

١ - *DOCUMENTS DE LA WILHELMSTRASSE* OP. CIT. (AA) VOL. 36, NO. 260.

٢ - CITÉ PAR BEYLERIAN ARTHUR, *LES GRANDES PUISSANCES*, OP. CIT. P. XLII

٣ - LEPSIUS J., *RAPPORT SECRET SUR LES MASSACRES D'ARMÉNIE*, PAYOT (PARIS,1918) DOC. NO. 31, 33- 34, 63.

٤ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٣٨.

قد تنتج عن "تصرّف غير إنساني" حيال مسيحيّي تركيا. وقد شكره طلعت مؤكّدًا له على أنّ المذنبين فقط نالوا العقاب[1].

تقَاريــرُ دبلومَاسيَّــــة
تَفضَح المؤامَرة التُركيَّة

سرعان ما أقلقت السفراء جميعًا تقارير الدبلوماسيّين في الأناضول، ومنها تقرير القنصل الألمانيّ شوبنر ريختر الذي تحدّث عن مئتَي أرمنيّ معتقل في أرضروم في ٦ أيّار (مايو) وعن إبعاد أرمن قرى هذه الولاية وإحلال مهاجرين محلّهم؛ وتقرير القنصل الأميركيّ "دافيس" الذي نبّه إلى احتمال حدوث مجزرة في خربوط؛ وتقرير القنصل روسلر الذي أبدى قلقًا حول مصير الأرمن؛ وجاءت الإعتقالات والإبعادات في أضنه لتزيد في هذا القلق. ومنذ أواسط أيّار (مايو) أصبح مؤكّدًا أنّ الحكومة العثمانيّة بدأت برنامج إبعاد السكّان الأرمن من المقاطعات الشرقيّة، وأنّ هذا البرنامج يتمّ بالتوازي مع أعمال عنف لا مبرّر لها. وتُظهر الوثائق أنّه في ١٨ أيّار (مايو) طلب شوبنر ريختر[2] الذي كان يشاهد يوميًا المآسي التي يولّدها الإبعاد في منطقة أرضروم، الإذن بالتدخّل لدى الحاكم العسكريّ التركيّ، لكن دون جدوى[3].

ويذكر باحثون أنّه بالرغم من تلقّي سفراء الدول المحايدة تأكيدات من الباب العالي على أنّه لن تُرتكب أيّة مجزرة عامّة بحقّ الأرمن، فإنّهم بعثوا إلى بلدانهم أخبارًا عن

---

١ - Trumpener, Ulrich, *Germany and the Ottoman Empire 1914- 1918*, Princeton University Press, (New Jersey,1968) pp. 208- 209.

٢ - هو نفسه سوف يصبح أحد أقرب مساعدي هتلر في السنوات الأولى لصعود الحركة القوميّة ـ الإشتراكيّة. وقد مشى بمحاذاة هتلر في انقلاب ميونيخ في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٣.

٣ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٣٨.

حوادث خطيرة قد تحدث. وفي ٢٢ نيسان (إبريل) ١٩١٥ كتب الكاثوليكوس كيفورك مستغيثًا إلى رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة طوماس ويلسُن، وإلى ملك إيطاليا "فكتور عمّانوئيل". وقد أيّده سفيرا روسيا في واشنطن وروما. وفي ٦ أيّار (مايو) كتب كيفورك في المعنى نفسه إلى الرئيس الفرنسيّ "بوانكاريه". ثمّ أقدمت روسيا على المبادرة إذ قام وزير الخارجيّة "سازونوف" مع الحكومات الحليفة بتحضير بيان احتجاج انضمّ إليه، ولو على مضض، نظيره الإنكليزيّ السير "إدوارد غريه". أمّا وزير خارجيّة فرنسا "دولكاسيه" فطلب أن تُستبدل الجملة الأولى "جريمة ضدّ **المسيحيّة** والحضارة" بجملة "جريمة ضدّ **الإنسانيّة** والحضارة" حتّى لا يجرح شعور المسلمين في المستعمرات الفرنسيّة. وتطلّب الأمر شهرًا كاملاً حتّى يُصاغ إعلان الحلفاء المشترك في ٢٤ أيّار (مايو). وقد أُرسلت نسخة منه إلى الباب العالي عن طريق الحكومة الأميركيّة[١]. وقد أغضب الصدر الأعظم أن تعتبره الحكومات الحليفة مسؤولاً عن المعاملة التي يتعرّض لها الرعايا العثمانيّون. لكنّ ردّة فعل الحلفاء هذه قد أجبرت طلعت بيه على تغيير تكتيكه. وفي الأرشيف العثمانيّ نصّ البرقيّات المرقّمة المرسلَة إلى قادة شرطة فان وتبليس وأرضروم وحلب والموصل وأضنه، وإلى سناجق مرعش وزور وأورفه، التي تنظّم إبعاد الأرمن ونقلهم[٢].

---

١ - Ternon Yves, *Les Arméniens, Histoire d'un Génocide*, Op. Cit., P. 248.

٢ - Orel Sinasi et Yuca Süreyya, *Affaires Arméniennes, Les "Télégrammes" De Talât Pacha. Fait Historique Ou Fiction?* Les Reproduisent Avec La Mention "Documents Authentiques", No. XXVI, XXVII, XXVIII, D'Après Bayur Yusuf Hikmet, "Türk Inkilâbi Tarihi", *Histoire De La Révolution Turque* (Ankara,1957) Cité Par Hovannisian Richard G., *Armenia On The Road To Independance*, Berkley & Los Angeles, CA., University Of California Press.

إنتظر طلعت حلول يوم ٢٦ أيّار (مايو) ليخبر الصدر الأعظم رسميًّا بالإجراءات التي اتّخذها[١]، وذلك "لأنّ الأرمن القاطنين قرب الجبهة عرقلوا نشاطات الجيش الأمبراطوريّ العثمانيّ المكلّف بالدفاع عن الحدود ضدّ أعداء البلد؛ لأنّهم تعرّضوا لحركات المؤن والجنود؛ لأنّهم تحالفوا مع العدوّ؛ وخصوصًا لأنّهم هاجموا القوّات المسلّحة داخل البلد والسكّان الأبرياء والمدن والقرى العثمانيّة، وراحوا يُعملون فيها قتلاً ونهبًا؛ ولأنّهم تجرّأوا على إمداد الأسطول المعادي بالمؤن وكشفوا له عن مواقعنا المحصّنة؛ ولأنّه من الضروريّ أن يتمّ اجتثاث هذه العناصر العصيّة من المنطقة العسكريّة وأن يتمّ إخلاء القرى التي يستعملها هؤلاء العصاة كملاجئ وقواعد؛ كان يجب اتّخاذ بعض الإجراءات ومنها: إبعاد أرمن ولايات فان وتبليس وأرضروم، من ليفا وأضنه ومرسين وكوزان وجبل بركات باستثناء مدن أضنه وسيس ومرسين؛ سنجق مرعش باستثناء مدينة مرعش؛ أقضية الإسكندرون وبيلان وجسر الشغور وأنطاكيا في ولاية حلب باستثناء المدينة الإداريّة في كلّ من هذه السناجق. وقد تمّ الإعلان بأنّ الأرمن سيرسَلون إلى الأماكن التالية: ولاية الموصل باستثناء الجزء الشماليّ على محاذاة ولاية فان؛ سنجق زور، جنوب أورفة باستثناء المدينة نفسها، شرقيّ وجنوبيّ شرقيّ ولاية حلب وجزر شرقيّ من الولاية السوريّة[٢]".

ويرى مؤرّخون أنّه من المؤكّد أنّ طلعت بدأ عمليّات الإبعاد قبل أن يتلقّى الأوامر من مجلس الوزراء بهذا الصدد. وبسبب قلقه من ردود الفعل العالميّة على إجراءاته هذه، قرّر وضع مجلس الوزراء أمام الأمر الواقع وفرض عليه موافقة رسميّة على

---

١ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٤٠، D'APRÈS BAYUR YUSUF HIKMET "TÜRK INKILÂBI TARIHI", *HISTOIRE DE LA RÉVOLUTION TURQUE*, OP. CIT., P. 50.

٢ - IBID.

الإجراءات المتّخذة سابقًا. وقد وافقت الحكومة وأصدرت، في ٢٧ أيّار (مايو) "قانون الإبعاد الموقّت" الذي يسمح للسلطات العسكريّة بالقيام بالإجراءات المناسبة بحقّ السكّان المشبوهين بالتجسّس والخيانة والقيام بعمليّات إبعاد جماعيّة من المدن والقرى المشبوهة، دون أن يذكر الأرمن بالإسم"[١]. وفي ٣٠ أيّار (مايو) نشر مجلس الوزراء مرسومًا عامًّا يتعلّق بالإبعاد، يحاول الحفاظ على الوجه الإنسانيّ للعمليّة، لأنّه يتّخذ إجراءات حماية للأشخاص والممتلكات، كتأليف لجان خاصّة لتأمين هذه الحماية؛ ووضع قائمة بالأموال والممتلكات المتروكة؛ وإعادة توزيع هذه الأموال بعد تمركز المبعَدين في "القرى الجديدة"[٢]"... وقد تبع هذا المرسوم قرارات تنظيميّة عديدة، في ٣٠ أيّار (مايو)، تتعلّق "بمسائل سكن وغذاء الأرمن المبعَدين بسبب ظروف الحرب والإجراءات السياسيّة الملحّة" ثمّ قرارات أخرى، في ١٠ حزيران (يونيو)، تتعلّق بإدارة أراضي وأملاك الأرمن المبعَدين بسبب حالة الحرب والوضع الاستثنائيّ العام[٣]. ويبدو أنّ أنور باشا كان قد أخبر فنغنهايم، في ٣١ أيّار (مايو) بأنّه سيقوم بتكثيف برنامج مكافحة العصيان عبر اقتراحات عديدة، كإغلاق المدارس الأرمنيّة؛ وإلغاء الصحافة الأرمنيّة؛ ومنع البريد للأرمن؛ ونقل "العائلات المشبوهة" من مراكز العصيان إلى بلاد الشام. وقد نقل السفير الألمانيّ إلى وزارة خارجيّته هذه

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤١، أنظر نصّ القانون في: LEPSIUS J., *ARCHIVES DE GÉNOCIDE DES ARMÉNIENS*, FAYARD (PARIS, 1986)

٢ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٤١، أنظر النصّ الحرفيّ في : BAYUR YUSUF HIKMET "TÜRK INKILÂBI TARIHI", مترجَم إلى الفرنسيّة في HISTOIRE DE LA RÉVOLUTION TURQUE, OP. CIT., VOL. III, PP. 40- 42; GÜRÜN KÂMURAN "LE DOSSIER ARMÉNIEN", SOCIÉTÉ TURQUE D'HISTOIRE, (TRIANGLE,1983)

٣ ـ SAFARIAN ARA, UNITED STATES DOCUMENTS ON THE ARMENIAN GENOCIDE, WATERTOWN MA, ARMENIAN REVIEW, 1913- 1915, (3 VOLUMES).PP 170- 176.

التدابير مع اقتراح الموافقة عليها[1]. ولكن عمليًا، كان قد بُدئ بتنفيذ تدابير الإبعاد في عدّة مقاطعات، وكان فنغنهايم على علم بها من خلال القناصل والمخبرين.

مُحَـــاولاتٌ تُركيَّـــــة للتنصُّل من المسؤُوليَّة

في ٤ حزيران (يونيو) نشرت الحكومة العثمانيّة بيانًا في الصحافة الأوروبيّة ترفض فيه اتّهامات دول التفاهم، وتنكر حصول أيّ مجزرة ضدّ الأرمن في الأمبراطوريّة. وتدّعي أنّ "الإجراءات" إنّما موجّهة ضدّ العصاة والثوريّين وعملاء التفاهم. وأنّ عمليّات الإبعاد في منطقة الحرب هدفها الدفاع عن الوطن فقط. ويضيف البيان: "أرمن أرضروم ودرتشن وإيغين وساسون وتبليس ومرعش وقيليقية لم يستهدفهم أيّ إجراء من قِبَل السلطات الأمبراطوريّة لأنّهم لم يرتكبوا أيّ عمل من شأنه تعكير صفو الهدوء والأمن العامَّين... هذه الحقيقة معروفة، على الأقلّ من قِبَل قناصل الدول المحايدة. والاتّهامات التي تطلقها حكومات دول التفاهم الثلاث ليست سوى أكاذيب[2]". من سلوك وزارة الداخليّة والحكومة عدّة تناقضات. فالباب العالي يؤكّد على أنّه، حتّى نهاية أيّار (مايو)، لا يشكّ بولاء الأرمن. إذن ليس هناك من انتفاضة أرمنيّة، الأمر الذي تؤكّد عليه كلّ برقيّات القناصل. رغم ذلك، فقد أمر طلعت، في أيّار (مايو)، بالقيام بإبعاد سكّان أرمن دون تبرير لعمله هذا. وعندما تأكّد من أنّ عمليّات الإبعاد لا يمكن أن تبقى في الخفاء، أخبر الحكومة زاعمًا بوجود

---

١ - TRUMPENER, ULRICH: *GERMANY AND THE OTTOMAN EMPIRE*, OP., CIT., P. 210.

٢ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٢، نقلاً عن: BEYLERIAN ARTHUR, *LES GRANDES PUISSANCES*, OP. CIT., P. 210. ويستخلص باحثون غربيّون TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., PP. 350 - 351.

انتفاضة أرمنيّة، وهو الزعم الذي تبنّاه الباب العالي لينشر قوانين ٢٧ و٣٠ أيّار (مايو)، حيث أنّ الأوّل لا يذكر الأرمن بالتحديد. من جهة أخرى تبرهن الوثائق القنصليّة عن أنّ عمليّات الإبعاد استمرّت دون أن تقدر الحكومة العثمانيّة على إثبات أيّة مؤامرة أرمنيّة. أخيرًا فإنّ التزامات الحكومة العثمانيّة بشأن حماية أشخاص المبعدين وممتلكاتهم، وحول ظروف الإبعاد اللائقة إنسانيًّا، لم تنفَّذ مطلقًا، رغم أنّها تتعلّق بمئات آلاف الأشخاص. وليس هناك في الأرشيف العثمانيّ المفتوح أمام العامّة من ثمانينات القرن العشرين أيّ وثيقة تتعلّق بتسجيل الأشخاص المبعَدين في مساكن جديدة، أو التعويضات التي تلقّوها مقابل خسارة أموالهم وممتلكاتهم. ويتابع الباحث موضحًا أنّ هذه التناقضات تثبّت أنّ الإبعاد لم يكن جوابًا على مؤامرة أرمنيّة، ولكن جزءًا من خطّة عامّة لتصفية الأرمن[١].

أرضـرُوم وسواهَـا
بعدَ جَرائِمِ اسطنبُول

بعد اسطنبول، جاء دور مقاطعة أرضروم. فكان الموعد الذي حدّده الأتراك لأرمنها مع المنفى في ١٤ ـ ١٥ حزيران (يونيو)؛ وفي ٢٤ منه كان دور مسقط رأس الفدائيّ القائد "أنترانيك" "شاهين قرّة حصار"؛ وفي أوّل تمّوز (يوليو) دور "طرابزون[٢]"، التي طُرد منها في يوم واحد ستّة آلاف شخص من دون مؤونة. وبعد طرابزون كان دور "بيازيد" حيث اعتُقل الرجال وأُعدموا وتمّ ترحيل النساء والأطفال نحو صحراء حلب، وقد لاقى المصير نفسه أرمن "سباستيا" في ٥ تمّوز (يوليو)؛ وفي

١ ـ راجع: العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٤٢ ـ ٤٣.

٢ ـ طرابزون TRABZON, TRÉBIZONTE : مدينة في أرمينية التركيّة على البحر الأسود، من مدنها سينوب، كانت مركزًا للآداب والفنون، قضى عليها العثمانيّون ١٤٦١.

الثامن منه نُظّمت مجازر "بابرت" و"يرزنغا" و"ترتشان"؛ وفي ١٥ تمّوز (يوليو) دُمّرت قرية "مالاتيا"[١] وأُبيد السكّان؛ وفي ٢٧ تمّوز (يوليو) كان دور مدن قيليقية: أضنة ومرسين وطرسوس وأنطاكية؛ وفي ٢٨ تمّوز (يوليو) كَان دور عنتاب وكلّس وأديامان؛ وفي ٥ آب (أغسطس) أُبيد مَن بقي على قيد الحياة من سكّان صاصون، دون تمييز بين النساء والأطفال والمسنّين؛ وفي ٦ آب (أغسطس) دُمّرت "فنديجاك" وأبيد سكّانها؛ وبين ١ و١٣ آب (أغسطس) طُرد سكّان "بارديزاغ" و"بورصه" و"أضابازار" و"أزميت"؛ وفي ١٦ منه نزح أرمن "مرعش" و"قونيا"[٢].

ويرى باحثون أنّ عمليّات الإبعاد هذه لم تكن في الحقيقة إلاّ تغطية لمشروع أكبر يهدف في المحصلّة إلى تصفية أرمن تركيا. فالإبعاد مشروع عسير التنفيذ "والمنهج المستعمل يمكن أن يبدو حضاريًّا أكثر من المجزرة، ولكنّه أكثر فعاليّة وراديكاليّة بكثير"، كما يقول القنصل الأميركيّ دافيس[٣]. فخلال أشهر طويلة، كانت قوافل المبعَدين تجتاز تركيا، غالبًا سيرًا على الأقدام، عبر مسالك متعرّجة بعيدًا عن الطرقات العامّة. فقط قرب طرق سكك الحديد، أي في الولايات الغربيّة، نُقل المبعدون بقاطرات. وطرق المنفى هذه يجب أن تقودهم مبدئيًّا نحو بلاد الشام. ولكنّ شروط نجاح الخطّة اعتمدت على معادلة أنّه "إذا كان يجب إبعاد كلّ الأرمن، فإنّ عددًا قليلاً منهم يجب أن يصل إلى بلاد الشام". وهكذا كانت القوافل، خلال الرحلة، تتعرّض،

---

١ ـ مالاتيا: هي نفسها **ملطية**، مدينة على الفرات في تركيا، فيها وُلد المؤرّخان البطريرك ميخائيل السرياني ١١٢٦ ـ ١١٩٩، وغريغوريوس ابن العبري ١٢٢٦ ـ ١٢٨٦.

٢ ـ زهر الدين، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص٩٨ ـ ٩٩.

٣ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٤٣، نقلاً عن: DAVIS LESLIE, *LA PROVINCE DE LA MORT*, ED: COMPLEXE (PARIS, 1994) P. 32.

أو تُعرَّض للهلاك. إذ كانت شروط الرحلات القاسية، التي لا يتلقّى فيها المسافرون أيّ غذاء، تترك للطبيعة مهمّة اختيار الناجين. لكنّ هذا الاختيار الطبيعيّ الذي يُبقي الأقوى جسديًّا، أي الأخطر، على قيد الحياة، لم يكن مناسبًا للترك، لذلك فقط أدخلوا القتلة واللصوص في المعادلة. فكان أغوات المناطق الكرديّة يُرسلون رجالهم المعتادين على السرقة والاغتصاب والقتل العشوائيّ، ليُغيروا على قوافل الأرمن المبعدين، وليعيثوا فسادًا وقتلاً ونهبًا. وكانت عصابات "تشيتي" تُكمل المهمّة بمجازر جماعيّة للمواكب، أو عبر تصفية الرجال والشبّان الباقين على قيد الحياة[1]. وفي أكثر الأوقات كان الرجال يُفصلون عن القوافل ويبادون. وكانت الجثث تُلقى في الأنهار، ما كان يعرقل تدفّق المياه أو دوران الطواحين. أمّا الجثث التي كانت ترسو على ضفاف الأنهر فكانت تلتهمها الكلاب أو تصبح طعامًا للطيور الكواسر؛ وكان الأطفال يباعون أو يوزّعون على الفلاّحين الأتراك[2]. ويقول باحث غربيّ[3]: إنّ الموت يبقى، في الحقيقة، الوجهة الحقيقيّة الوحيدة لقوافل المبعَدين الأرمن. فالمبعَدون في الولايات الغربيّة، والذين مات معظمهم على الطريق، تيقّن الناجون منهم، من نساء وأطفال، أنّ الوجهة الحقيقيّة لرحلتهم هي الصحراء، قبرهم النهائيّ. إذ ليس هناك من مدينة أو قرية لاستقبال المبعَدين، ولا حتّى معسكرات اعتقال، هناك فقط بعض الخيم القليلة قبل الانتقال إلى وجهة أخرى مجهولة، تعجّ الطريق إليها بالجوع والمرض والمجازر. ولقد أُعطيت الأوامر بالقتل في سريّة مطلقة. وكان الإبعاد غطاءً قانونيًّا فحسب. رغم ذلك، فمنذ بداية برنامج الإبعاد، راح الشهود، كلّ من موقعه، ينشرون المعلومات بأنّ ذلك

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٤.

٢ ـ زهر الدين د. صالح، الأرمن شعب وقضيّة، مرجع سابق، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

٣ ـ TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 225.

الإبعاد ليس له ما يبرّره من اعتبارات عسكريّة، وأنّه ليس إلاّ غطاء لأعمال القتل والمجازر. والوثائق القنصليّة في هذا المجال مفحِمة[1].

حَصيلَة المَجازِر التركيَّة
بحقِّ الشَّعب الأرمَنِيّ

إختلفت الأرقام الواردة في التقارير حول حصيلة مجازر الأتراك بحقّ الشعب الأرمنيّ باختلاف واضعيها. غير أنّ الحصيلة التقريبيّة، بحسب الإحصاء الرسميّ التركيّ عام ١٩١٤، تحدّثت عن ١,٢٩٥,٠٠٠ أرمنيّ في تركيا؛ أمّا إحصاءات البطريركيّة الأرمنيّة فتتحدّث عن ٢,١٠٠,٠٠٠ ضحيّة؛ أمّا الرقم الذي تقدّمه المصادر الأرمنيّة فيقول بأنّ عدد القتلى يتراوح بين ١,٥٠٠,٠٠٠ و١,٨٠٠,٠٠٠ ألف، وهو الرقم الذي اعترفت به وزارة الداخليّة التركيّة عام ١٩١٩. وأكّد عليه المؤرّخ التركيّ بايور[2]، ووافق عليه "مصطفى كمال أتاتورك[3]" في لقاء مع الجنرال الأميركي "مايجور هاربورد" في أيلول (سبتمبر) ١٩١٩[4]. وفي جميع الحالات فإنّ عدد ضحايا المجزرة

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٤.

٢ ـ BAYUR YUSUF HIKMET, *"TÜRK INKILÂBI TARIHI", HISTOIRE DE LA RÉVOLUTION TURQUE,* VOL 3 - 4, P. 787.

٣ ـ **مصطفى كمال باشا** (١٨٨١ ـ ١٩٣٨): قائد وسياسيّ تركيّ، وُلد في سلانيك، زعيم الحزب الوطنيّ ومؤسّس الجمهوريّة التركيّة وأوّل رئيس لها ١٩٢٣، أجرى إصلاحات عظيمة من أعمقها تأثيرًا في الحقل الدينيّ والاجتماعيّ والثقافيّ استعمال الأبجديّة اللاتينيّة عوض العربيّة في الكتابة التركيّة وعلمنة الدولة، لُقّب بأتاتورك أي أبو الأتراك.

٤ ـ DADRIAN VAHAKN N., *AUTOPSIE DU GÉNOCIDE ARMÉNIEN,* COMPLEXE (BRUXELLES, 1995, P. 207.

قد بلغ ثلثي عدد الأرمن في تركيا[1]. وهذه النسبة تبنّاها المؤرّخ البريطاني "أرنولد توينبي" عام ١٩١٦ وقال أنّه من أصل ١,٨٠٠,٠٠٠ أرمنيّ يعيشون في الأمبراطوريّة العثمانيّة، قضى ٦٠٠,٠٠٠ في طريق الإبعاد، ولاقى ٦٠٠,٠٠٠ آخرون حتفهم في أماكنهم، أي ١,٢٠٠,٠٠٠ ضحيّة لهذه المجزرة البشعة؛ ٢٠٠,٠٠٠ أرمنيّ ذهبوا إلى القوقاز و١٥٠,٠٠٠ نجوا من الإبعاد؛ ١٠٠,٠٠٠ خُطفوا والأطفال الصغار منهم وُضعوا في مياتم تركيّة؛ أخيرًا ١٥٠,٠٠٠ نجوا مختبئين عند عائلات تركيّة أو كرديّة أو عربيّة أو في معسكرات الاعتقال[2].

ويعتمد الأتراك على مقولة اتّهام الأرمن بما معناه "الخنجر في الظهر"، لتبرير تلك المذابح. أي إنّهم يحمّلون الأرمن مسؤوليّة ما تعرّض له الأرمن أنفسهم من تنكيل وإبادة. وقد نشر الباب العالي عام ١٩١٦ كتابًا أبيض يتكلّم عن أعمال اللجان الثوريّة الأرمنيّة قبل وبعد إعلان الدستور. ويتضمّن الكتاب مقتطفات من نصوص نشرها الثوريّون الأرمن خلال نضالهم ضدّ عبد الحميد الثاني، أي عندما كانوا متحالفين مع جمعيّة تركيا - الفتاة[3].

---

١ - في إحصائيّة كنسيّة كاثوليكيّة جاء أنّ عدد الأرمن في تركيا كان قبل الحرب العالميّة الأولى حوالى مليون نسمة ونصف. ونتيجة المذابح والاضطهاد لم يبقَ منهم حاليًا إلاّ زهاء سبعين ألف نسمة من الأرثذوكس، معظمهم في القسطنطينية، وليس لهم إلاّ أسقف واحد هو البطريرك القسطنطينيّ الخاضع لجاثليق اتشميادزين. وقد قُدّر عدد الذين ذُبحوا بين ١٨٩٤ و١٨٩٦ بحوالى مئة ألف أرمنيّ. وذُبح سنة ١٩٠٩ في أدنه وحدها بخلال أسبوعين أكثر من عشرين ألف أرمنيّ. وقضى أكثر من مليون ونصف مليون نسمة من الأرمن الذين كانوا في الأمبراطوريّة العثمانيّة، ذبحًا، في أفظع مجزرة بشريّة عرفها التاريخ في أوائل هذا القرن. (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص ٣٣٦.)

٢ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٥.

٣ - العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٦، نقلاً عن: *Aspirations et Agissements Révolutionnaires des Comités Arméniens avant et après la Proclamation de la Constitution Ottomane* (Constantinople, 1917) (Traduit de l'Osmanli).

وإذ تعرّضت مدن وقرى تركيّة للتدمير والمجازر، في نهاية سنة ١٩١٧، على الجبهة القوقازيّة التي كانت تحت سيطرة جنود مناصرين للأرمن، استغلّت الحكومة التركيّة هذه الجرائم لإدخال معطى جديد في أطروحتها: الفظائع الأرمنيّة[١]. غير أنّه في "محاكمة القسطنطينيّة" ١٩١٩ ـ ١٩٢٠، تمّ دحض المزاعم التركيّة القائمة على إنكار النوايا الجريميّة المسبقة، وذلك عندما اعترف الصدر الأعظم أمام مؤتمر السلام بالتالي:

> خلال الحرب، اهتزّ ضمير كلّ العالم المتحضّر تقريبًا أمام الجرائم التي اقترفها الأتراك. ولا أفكّر أبدًا بنكران هذه الجرائم التي من شأنها أن تهزّ الضمير الإنسانيّ إلى الأبد. ولا أبحث عن تخفيف درجة إجرام مرتكبي هذه المأساة الكبرى. ما أريده هو أن أبيّن للعالم، مع كلّ الحجج والدلائل، عن المرتكبين الحقيقيّين لهذه الجرائم الفظيعة... أرشيفنا بات مفتوحًا أمام أيّ تحقيق كفيل بتأكيد ما تشرّفت بإعلانه أمام المحكمة العليا[٢]..

وفي ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٢٥ أعلن الصدر الأعظم أمام مؤتمر السلام اعترافه "بمبدأ التعويض عن الخسائر الناجمة عن الأفعال المخالفة لحقوق الإنسان، وعن عدم تضامنه مع الأعمال المرتكبة من قِبَل "فئة ثوريّة عصفت بتركيا""[٣]. وفي رأي باحث غربيّ[٤] أنّ محاكمات القسطنطينية قد دمّرت "حواجز الحماية" التي أقامتها أجهزة دعاية "الاتّحاد والترقّي"، و"المؤتمر الوطنيّ التركيّ". فمع تأكيد تلك المحاكمات

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٦، نقلاً عن: - DOCUMENTS SUR LES *ATROCITÉS ARMÉNIENNES RUSSES*, SOCIÉTÉ ANONYME DE PAPETERIE ET D'IMPRIMERIE (CONSTANTINOPLE,1917)

٢ - PAILLARÈS MICHEL, *LE KEMALISME DEVANT LES ALLIÉS*, ED. DU BOSPHORE (CONSTANTINOPLE - PARIS,1922) PP. 33- 35

٣ ـ العزّي، مرجع سابق، المجزرة الأرمنيّة، ص ٤٨.

٤ - TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 342.

على المسؤوليّة الأرمنيّة وتبريرها لعمليّات الإبعاد، إلاّ أنّها لم تستطع التعتيم على هول المجازر التركيّة، إذ لفظت:

> ليس هناك من كلمة لوصف هذه الجريمة البشعة. لا شيء يمكن له تبريرها أو تبرير أعمال السلب والنهب التي أُضيفت إليها وجاءت لتزيد من عذابات فئة كبيرة من الشعب الأرمنيّ. هذه هي الحقيقة، حقيقة جريمة "الاتّحاد والترقّي" في العلاقة مع العنصر الأرمنيّ خلال الحرب. وهي تمثّل إحدى الجرائم الأبشع في التاريخ والتي يرتجف أمام ذكرها الضمير الإنسانيّ الجدير بهذا الإسم[1].

ويرى مراقبون في تلك الاعترافات محاولة الحكومة التركيّة إعفاء شعبها من المسؤوليّة، لتحميلها كاملة على "الاتّحاد والترقّي" والأجهزة التي قامت بالتخطيط للمجازر وتنفيذها[2]. وعندما سيطر مصطفى كمال* على الحكم، وهو الرافض لاقتطاع أيّ أرض من تركيا، كان أوّل ما قام به "محو آثار محكمة القسطنطينيّة ووضع حدّ لكلّ هذه الأعمال القضائيّة". وقد أكّد الكماليّون على نقطة مشتركة واحدة بين الأطروحات التركيّة: المسؤوليّة الأرمنيّة[3]. في مؤتمر لوزان يقدّم حلولاً، على طريقته، للمسألة الأرمنيّة "المؤسفة" عبر عرض تاريخيّ للحركة الانفصاليّة الأرمنيّة منذ معاهدة برلين. وأنهى عرضه بالقول:

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٨، نقلاً عن: *LA TURQUIE DEVANT* LE *TRIBUNAL MONDIAL*, PUBLICATIONS DU CONGRÈS NATIONAL (CONSTANTINOPLE, 1919) P. 166.

٢ - TERNON YVES, *LES ARMÉNIENS, HISTOIRE D'UN GÉNOCIDE*, OP. CIT., P. 342.

٣ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص٤٩. وراح "عصمت إينونو[4]".

* **عصمت إينونو** INONOU (١٨٨٤ ـ ١٩٧٦): قائد وسياسيّ تركيّ، وُلد في إزمير، رفيق مصطفى كمال وخلفه في الرئاسة ١٩٣٨ ـ ١٩٥٠، أعلن الحرب على المحور ١٩٤٥، رئيس الوزارة ١٩٦١ ـ ١٩٦٥.

> إنّ مسؤوليّة كلّ النكبات التي تعرّض لها العنصر الأرمنيّ في الأمبراطوريّة العثمانيّة تعود لتقع على أعماله الخاصّة. فالحكومة التركيّة والشعب التركيّ لم يقوما، في كلّ الحالات وبدون استثناء، إلاّ بإجراءات قمعيّة انتقاميّة، وهذا بعد أن نفذ صبرهما[1].

وهكذا، بحسب باحثين، ظلّ خطّ الدفاع التركيّ صلبًا جامدًا انكفأ خلفه كلّ الذين أنكروا حدوث حرب إبادة ضدّ الشعب الأرمنيّ في تركيا. وبعد عام ١٩٤٥ أصبحت تركيا عضوًا في منظّمة الأمم المتّحدة، ثمّ وقّعت على اتّفاق حرب الإبادة CONVENTION SUR LE GÉNOCIDE، واكتشف أرمن الدياسبورا أنّ حوادث ١٩١٥ ـ ١٩١٦، تشكّل حرب إبادة حقيقيّة، وأنّ تاريخ ٢٤ نيسان (إبريل) هو الذكرى السنويّة لهذه الحرب. فغيّرت الحكومة التركيّة استراتيجيّتها، إذ لم تعد تكتفي بنكران هذه الحرب، ولكنّها راحت تدعم حججها بدراسات تاريخيّة تؤكّد على عدم وجود أيّ حقّ للأرمن في الأراضي التركيّة، وبأنّ المجازر حدثت في ظروف عسكريّة خلال الحرب وكان سببها الأرمن أنفسهم، وردّ فعل الأتراك لم يكن إلاّ دفاعًا عن النفس. ويدور الموقف التركيّ حول فكرة مركزيّة: غياب أيّة نيّة مسبقة لدى الاتّحاد والترقّي أو الحكومة العثمانيّة، ممّا يعني عدم جواز الكلام عن حرب إبادة، لأنّ هذه الأخيرة لا تقوم إلاّ على نوايا مسبقة. ويؤكّد المؤرّخون الأتراك على وجود مؤامرة حيكت على يد أرمن إنكلترا ومصر وفرنسا الذين تسلّلوا إلى المخابرات البريطانيّة ولفّقوا الأخبار تحت إشراف "لورد برايس" و"أرنولد توينبي"، وأنّ السفير الأميركيّ، "هنري مورجانتو"، قد لفّق مقولات على لسان "أنور باشا" بأمر من وزارة الخارجيّة الأميركيّة، وأنّ

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٤٩، نقلاً عن: MANDELSTAN ANDRÉ, *LA SOCIÉTÉ DES NATIONS ET LES PUISSANCES DEVANT LE PROBLÈME ARMÉNIEN*, 2ÈME ÉD. (BEYROUTH,1970) P. 273, (LE LIVRE JAUNE DE LA CONFÉRENCE DE LAUSANNE EST ANALYSÉ DANS CET OUVRAGE, P 258- 307)

مورجانتو قد اخترع مقابلات مع أنور باشا ليست مدوّنة في يوميّاته[١]. وقامت تركيا بتشجيع عدد من المؤرّخين والباحثين المختصّين بالدراسات التركيّة في الخارج، وسمحت لهم بالاطّلاع على الأرشيف المغلق. وهكذا فإنّ البروفسور الأميركيّ في لوس أنجلوس "ستانفورد شاو"، الذي كتب مع زوجته "تاريخ الأمبراطوريّة العثمانيّة وتركيا الحديثة" يدافع بشدّة عن الموقف التركيّ ويصف الأرمن كمواطنين ذوي حظوة في الأمبراطوريّة العثمانيّة قبل أن يصبحوا جلّادين فعليّين ضدّ الأتراك الذين دافعوا عن أنفسهم عبر إبعاد بعض السكّان الأرمن من المناطق الإستراتيجيّة بعد تأمين مساكن لهم في شروط أفضل[٢]. وبات بعض المؤرّخين يقول بأنّ الأرمن لم يكونوا أبدًا، تاريخيًّا، أمّة مستقلّة في الأراضي التركيّة التي يطالبون بها، وتركيا لم تحضّر أبدًا لتصفيتهم، بل على العكس، هم الذين حضّروا وبدأوا حرب إبادة ضدّ الأتراك، وإذا تعرّضوا للتدمير فهذا ذنبهم. ثمّ إنّ عدد الضحايا الأرمن ليس مرتفعًا إلى هذا الحدّ... إلخ[٣].

خَيبَـــــــــةُ

مَا بَعدَ المَجَازر

ما إن انتهت الحرب حتّى أمل مَن تبقّى من الأرمن خيرًا بمباحثات السلم والنظر إلى الشعوب المقهورة خاصّة وأنّه، في خلال سنوات الحرب، كان الأرمن قد

---

١ ـ العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٥٠، نقلاً عن: HEATH W. LOWRY, *THE STORY BEHIND AMBASSADOR MORGENTHAU'S STORY*, ISIS PRESS (ISTAMBUL, 1990)

٢ ـ SHAW S.J. & E. K., *HISTORY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY*, (CAMBRIDGE,1977) 2 VOLUMES; HOVANNISSIA, RICHARD G., *ARMENIA ON THE ROAD TO INDEPENDANCE*, BERKLEY & LOS ANGELES, CA., UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. PP. 124- 126.

٣ ـ راجع: العزّي، المجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ٥١.

سيطروا، بمساعدة الروس، على جزء من أرمينية العثمانيّة، لكنّ الظروف الجيوسياسيّة الجديدة التي أحاطت بأرمينية لم تسمح بتحقيق الأمل الذي تحقّق لمعظم الشعوب التي سيطر عليها الأتراك مئات السنين. أمّا السبب الأكثر أهميّة فيكمن في أنّ أرمينية، التي بدت في السابق عائقًا قوميًّا وثقافيًّا بوجه الحركة القوميّة التركيّة، قد أصبحت تقع الآن، إمّا داخل روسيا البولشيفيّة، أو داخل دول تركيا الحديثة، علمًا بأنّ المصالح الدوليّة الكبرى هي التي تتغلّب[1].

فبعد هزيمة تركيا في الحرب العالميّة الأولى في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، وعندما اجتمع الحلفاء ووقّعوا على معاهدة "سيفر[2]" بتاريخ ١٠ تمّوز (يوليو) ١٩٢٠، إشترك معهم بالتوقيع ممثّل الأرمن أواديس أهارونيان. وقد اعترف المجتمع الدوليّ آنذاك بأرمينية دولة مستقلّة ذات سيادة[3]. فعاش الأرمن إنذاك، أو بالأحرى مَن تبقّى منهم، حلمًا جميلاً لكنّه كان جدّ قصير. هذا الحلم كان في الإعتراف باستقلالهم في صيف ١٩١٨، وفي تحديد رقعة أرمينية جغرافيًّا في سنة ١٩٢٠ بعد تحكيم الرئيس الأميركيّ وِلسُن[4]. إلاّ أنّ بنود هذه المعاهدة بقيت حبرًا على ورق[5]. فقيام الدولة السوفياتيّة هنا، والحركة الكماليّة وقيام دولة تركيا الحديثة هناك، جعلا هذا الحلم ينطفئ إلى ما شاء اللّه. فقد أُدخل القسم الواقع تحت سيطرة روسيا في

---

١ ـ بو ملهب عطاللّه، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٢.

٢ ـ **معاهدة سيفر** SÈVRES: معاهدة عُقدت بين تركيا والدول الحلفاء سنة ١٩٢٠ في مدينة SÈVRES الفرنسيّة الواقعة على نهر السين، حدّت بشكل كبير من حجم الأمبراطوريّة العثمانيّة، أعيد النظر ببنودها في السنوات اللاحقة.

٣ ـ الحاج، الديمقراطيّة في النظام الدوليّ الجديد، مرجع سابق، ص ٨٧، نقلاً عن: MANDELSTAN ANDRÉ, *LA SOCIÉTÉ DES NATIONS ET LES PUISSANCES*, OP. CIT.

٤ ـ بو ملهب عطاللّه، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص١٣.

٥ ـ الحاج د. كميل، الديمقراطيّة في النظام الدوليّ الجديد، مرجع سابق، ص ٨٧.

إطار الدولة السوفياتيّة ثمّ ما لبث أن أُعطي "استقلاله"، لكن كجمهوريّة سوفياتيّة. أمّا بالنسبة للقسم الواقع تحت سيطرة الأتراك، وبالأخصّ بعد استعادة الاعتبار من قِبَل هؤلاء مع حرب وإصلاحات مصطفى كمال وبنائه للدولة "الديمقراطيّة"، ما لبثت أوروبّا أن تناست وعودها وضماناتها مرّة أخرى[1]. فمع وصول أتاتورك إلى السلطة نفّذ هو أيضًا مجزرة إزمير ضدّ الأرمن، التي ذهب ضحيّتها ما يقارب الألفَي أرمنيّ قُتلوا على أرصفة المرفأ، أمام سفن الحلفاء[2]. ومن ثمّ استُبدلت معاهدة "سيفر*" بـ"معاهدة لوزان[3]" ١٩٢٣، بعد الانتصارات التي حقّقها مصطفى كمال أتاتورك، ولم يؤتَ في المعاهدة الأخيرة على ذكر الشعب الأرمنيّ وحقوقه القوميّة، بل كُرّست سيطرة تركيا على الجزء الغربيّ من أرمينية[4]. وهكذا لم تعد أرمينية تُذكر في سجلّ الاتّفاقات الأوروبيّة التركيّة في لوزان، حيث يبدو أنّ المصالح، ومنها البترول، طغت فأنست الدولَ مسألةَ أرمينية والقرارات التي اتُّخذت في السابق حول استقلال أرمينية[5]. وبقيت الإبادة الأرمنيّة التي نُفّذت عام ١٩١٥ دون اعتراف من قبَل الحكومات التركيّة المتعاقبة وبدون تعويضات، مع أنّ لجنة "استباق المجازر" المنبثقة عن لجنة "حقوق الإنسان" في الأمم المتّحدة قد عرّفتها بـ"الإبادة الأولى الجماعيّة في القرن العشرين[6]".

---

١ ـ بو ملهب عطاالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٣.

٢ ـ الحاج، الديمقراطيّة في النظام الدوليّ الجديد، مرجع سابق، ص ٨٧، نقلاً عن: HENRI, *AU PAYS DE L'EPOUVANTE* BARBY - *L'ARMÉNIE MARTYRE* (PARIS 1917)

٣ ـ **معاهدة لوزان**: معاهدة صلح عُقدت ١٩٢٣ بين تركيا والحلفاء في مدينة لوزان LAUSANNE السويسريّة الواقعة على بحيرة ليمان.

٤ ـ الحاج، الديمقراطيّة في النظام الدوليّ الجديد، مرجع سابق، ص ٨٨.

٥ ـ بو ملهب عطاالله، المسألة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص١٣.

٦ ـ الحاج، الديمقراطيّة في للنظام الدوليّ الجديد، مرجع سابق، ص ٨٨، عن تقرير ويتيكير.

الفَصْلُ السَّادِس

جُمهُورِيَّةُ أرمينيَةَ وأرمنُ الشُّتَات

فِي ظلِّ الحكمِ الرُّوسيِّ؛ الكَنيسَة الأرمنيَّة الرسوليَّة في الزَّمن المُعاصِر؛

الأرمَن في لبنَان؛ كاثوليكوسيّة بيت كيليكية في إنطلياس؛

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الرَّسوليَّة والحَركَة المَسكُونيَّة؛

بين الكنيسة الأرمنيّة الرّسوليَّة والكنيسة الأرمنيَّة الكاثوليكيّة.

فِي ظلِّ الحُكمِ الرُّوسيّ

مع بدايات القرن الثامن عشر، بدأت الأمبراطوريّة الفارسـيّة بـالتدهور، وتقهقـرت جيوشها في منطقة القوقاز أمام زحف الجيوش الروسيّة بقيادة "بطرس الأكبر" (١٦٩٤ ـ ١٧٢٥) الـذي احتـلّ مرفـأ "بـاكو"[١] سـنة ١٧٢٢. وهكـذا دخلـت أرمينيـة فـي حمايــة الأمبراطوريّة القيصريّة وأصبحت السدّ المنيـع فـي مقدّمـة الحـدود مـع الأمبراطوريّـة العثمانيّة.

إمتدّ الحكم الروسيّ إلى مناطق جبال أرمينية والقوقاز، وذلـك علـى حسـاب تركيـا وإيـران. ودخلـت "أتشـميادزين*"، مقرُّ الجـاثليق الأعظـم، فــي حـوزة الـروس سـنة ١٨٢٨[٢]. وفي نهاية القـرن التاسـع عشـر، عـرف أرمـن روسـيا بدورهـم يقظـة قوميّـة شديدة، كان لا بدّ أن تمتدّ بسرعة نحو إخوانهم في الأمبراطوريّة العثمانيّـة. وفـي عـام ١٨٩٠ وُلد حزب "الطاشناق" أي "الإتّحاد الثوريّ الأرمنــيّ" فـي تفليس[٣]، وهـو حركـة ذات توجّه اشتراكيّ غير شيوعيّ. وكان سبقه في الولادة حزب "الهنتشاك" أي "الحزب الإجتماعيّ الديمقراطيّ" بالمعنى الماركسيّ وقتها، أي أنّـه حـزب شـيوعيّ، وذلـك عـام

١ ـ باكو BAKOU : مرفأ على شاطئ بحر قزوين الغربيّ، شهير بالنفط، عاصمة جمهوريّة أذربيجان السوفياتيّة سابقًا، مركز صناعيّ.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

٣ ـ تفليس أو تبيليستي TABILISSI: مدينة في جنوب غـرب الاتّحـاد السوفياتي السابق، عاصمـة جمهوريّـة جورجيـا، مركـز جامعيّ وصناعيّ.

١٨٨٧ في جنيف[١]. "وكان هدف الحزبَين تحرير أرمينية، عبر العمل السرّي، بعد فشل الأرمن في تحقيق مطالبهم بالإصلاحات الدستوريّة[٢]. وقد شكّل الحزبان ردّة فعل على الأوضاع القائمة في أرمينية والسلطة العثمانيّة، بقدر ما عكس كلّ منهما المناخات الثقافيّة التي تخرّج منها المؤسّسون والتيّارات الإيديولوجيّة التي عاشوها في بيئتهم وتأثّروا بها. وبالرغم من أنّ مؤثّرات عديدة لعبت دورها في نهج وتطوير إيديولوجيّة كلّ من الحزبَين، فإنّهما التقيا عند أهداف مشتركة: الدفاع، وتحرير أرمن تركيا عن طريق العمل الثوريّ الذي من شأنه أن يحرّك الدبلوماسيّة الغربيّة، ويسرّع في إيجاد الحلّ العادل للمسألة الأرمنيّة[٣]". وفي أثناء الحرب العالميّة الأولى قاسى الأرمن القاطنون في طرفَي الحدود التركيّة الروسيّة الكثير من الأهوال. ولمّا نشبت الثورة في روسية سنة ١٩١٧ وقضت على حكم القياصرة، أعلن الأرمن استقلالهم داخل الجمهوريّة الأرمنيّة سنة ١٩١٨، وتسلّم زمام الحكم حزب الطاشناك[٤]. لكن بتشجيع من القوى الكبرى الطامعة بثروات "باكو" النفطيّة، اندلعت النزاعات مع الجمهوريّات المحيطة مثل "جورجيا" في كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩١٨، و"أذربيجان" عامَي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ حول السيطرة على "باكو" و"كاراباخ" و"ناخيتشيفان". ولمّا انتصر الشيوعيّون في روسيا، تعاونوا مع الأتراك الذين احتلّوا قسمًا كبيرًا من أراضي الجمهوريّة الأرمنيّة، وقضوا على سكّانها الأرمن، واستولى الروس على القسم الباقي وفرضوا فيه الحكم الشيوعيّ في ٤ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٢٠، ودمجوه بالاتّحاد السوفياتي[٥].

---

١ ـ شرف، القضيّة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٦.

٣ ـ شرف، القضيّة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص١٧١ ـ ١٧٢.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

وفي آب (أغسطس) ١٩٢٠، أعادت معاهدة "سيفر*"، التي فرضها المنتصرون في الحرب العالميّة الأولى على تركيا المهزومة، إلى الأرمن، جزءًا مهمًّا من أرمينية الكبرى واعترفت بأرمينية كدولة مستقلّة. ولكن عندما نشبت ثورة مصطفى كمال في أيلول ١٩٢٠، بدا أنّ الغربيّين تخلّوا عن أرمينية، إذ بعد شهرَين من ذلك، أصبحت أرمينية سوفياتيّة، بل أصغر الجمهوريّات السوفياتيّة على الإطلاق[١]. وأرادت جمهوريّة "أرمينية الإشتراكيّة السوفياتيّة" التي تضمّ حوالي ثلث اللاجئين من تركيا، أن تكون وطنًا جديدًا لكلّ الأرمن، وشكّلت بالنسبة لهم "الوطن الأمّ" أو "الوطن القوميّ الجديد"، وبالنسبة للبعض الآخر مجرّد جزء من الأراضي المحتلّة فحسب. وفي الاتّحاد السوفياتيّ، لعبت هذه الجمهوريّة دورًا مميّزًا، إذ لجأت موسكو إلى علاقات الأرمن القديمة بالشرق الأوسط، خصوصًا إيران والدول العربيّة، حيث أنّ الجسم الدبلوماسيّ السوفياتيّ ضمّ العديد من الأرمن. وبعد موت ستالين، ظهرت أرمينية، رغم المراقبة المشدّدة من قبل موسكو، وبفضل الدياسبورا المنتشرة في العالم، كجمهوريّة منفتحة على العالم. ومن عام ١٩٢٠ حتّى تقاعده عام ١٩٦٠ بقي "أناستاس ميكويان" أحد أهمّ القادة السوفيات[٢]. على أنّ الشيوعيّين السوفيات قد قمعوا حرّيّة الكنيسة، ولم يعد لجاثليق "أتشميادزين" إمكانيّة الاتّصال بسائر الأرمن، إلاّ أنّه بعد نهاية الحرب العالميّة الثانية سنة ١٩٤٥، أخذ يبثّ الدعاية بين الأرمن المنتشرين في أنحاء العالم، لإرجاعهم إلى الجمهوريّة الأرمنيّة. وحاول بسط نفوذه وسلطته على جميع الأرمن، ولا سيّما على جثلقة سيس في سورية ولبنان[٣].

---

١ ـ العزّي، الجزرة الأرمنيّة، مرجع سابق، ص ١٦ ـ ١٧.

٢ LACOSTE YVES, *DICTIONNAIRE DE GÉOPOLITIQUE*, OP. CIT., P. 196.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

في استفتاء جرى سنة ١٩٩١ بعد انفراط عقد الاتّحاد السوفياتيّ، اختار الأرمن الاستقلال عن روسيا، وانضمّت أرمينية إلى كومنولث الدول المستقلّة. وأصبحت اليوم أرمينية جمهوريّة في جنوب غرب آسيا، في جبال القوقاز الصغرى، مساحتها ٢٩,٧٨٥ كلم[٢]، تقع بين تركيا في الغرب، وأذربيجان في الشرق، وإيران في الجنوب، وجورجيا في الشمال. عاصمتها يريفان. وهي جبليّة السطح، يبلغ ارتفاع قمّة جبل أراجاتس فيها ٤,٠٩٥م. فيها مراع خصبة، تروى وديانها اصطناعيًّا. أهمّ منتجاتها النبيذ والقطن والتبغ والصوف والنحاس. تولّد الكهرباء من بحيرة سيفان. عدد سكّان أرمينية اليوم ٣,٤٧٠,١٢٣ نسمة. انتخب "ليفور تار ـ بتروسيان" رئيسًا لجمهوريّة أرمينية في ١٩٩٠، وفي ١٩٩٨ أصبح روبرت كوشاريان رئيسًا للجمهوريّة.

الكَنيسَة الأرمنيَّة الرسوليَّة
في الزَّمن المُعاصِر

حاليًّا، قوام الكنيسة الأرمنيّة الأرثذوكسيّة: كاثوليكوسيّة أتشميادزين في جمهوريّة أرمينية وأوروبّة والأميركتَين؛ كاثوليكوسيّة الأرمن لبيت كيليكية في إنطلياس، لبنان؛ بطريركيّة الأرمن في اسطنبول منذ سنة ١٤٦١؛ وبطريركيّة القدس في فلسطين.

يقطن القوقاز حاليًّا زهاء مليونَين و٤٠٠ ألف أرمنيّ أرثذوكسيّ، منهم مليون و٦٠٠ ألف في جمهوريّة أرمينية السوفياتيّة، و٨٠٠ ألف في جمهوريّتَي جيورجيا وأذربيجان المجاورتَين. وهناك مئتا ألف أرمنيّ أرثذوكسيّ منتشرين في نواحي الإتّحاد السوفياتيّ السابق. ولا يمكننا معرفة مَن بقي منهم مؤمنًا بدينه وممارسًا لأوامره بعد الحكم الشيوعيّ. والأرمن القاطنون في جمهوريّات الاتّحاد السوفياتيّ السابق،

خاضعون كنسيًّا لجاثليق "أتشميادزين" قرب يريفان، عاصمة الجمهوريّة الأرمنيّة. وقد عادت الحريّة الدينيّة إلى أرمينية سنة ١٩٩٠ بعد انهيار السوفيات[1].

وقد أوردت دراسات إحصائيّة حديثة أنّ مجموع الأرمن في العالم اليوم يتوزّع على الشكل التالي: في اليونان ١٠ آلاف؛ في إيران ١٠٠ ألف؛ في مصر ٢٥ ألف؛ في قبرص ٤ آلاف؛ في الأردنّ والقدس ٣ آلاف؛ في العراق ٢٥ ألف؛ في فرنسا ٨٦ ألف؛ في أميركا الشماليّة ٢٠٠ ألف؛ في أميركا الجنوبيّة ١٥٠ ألف؛ في الهند ألفان؛ في أوروبّة الغربيّة ما عدا فرنسا ٥ آلاف؛ ومجموع الأرمن في العالم كلّه ٣ ملايين ونصف[2].

وذكرت دراسات أنّ عدد الأرمن الأرثذوكس، المقيمين في البلدان العربيّة، يبلغ اليوم نحو مائتين وخمسين ألف نسمة، موزّعين على لبنان وسورية ومصر والعراق[3].

الأرمَـــن
في لبنَـان

في لبنان توزّع الأرمن في القرى الشماليّة ثمّ انتقلوا إلى كسروان وبيروت. أمّا اللجوء المميّز للأرمن في هذا البلد فكان بعد الأحداث المؤلمة التي جرت في أرمينية بين السنوات ١٨٩٤ وحتّى ١٨٩٦، وتضاعفت الهجرة عام ١٩٠٩. أمّا الهجرة الكبيرة فبدأت خلال الحرب العالميّة الأولى وعقب المجازر الأرمنيّة التي حصلت منذ مطلع

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٨.

٣ ـ السمّاك محمّد، الأقليّات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص٢٤.

عام ١٩١٥، وفي عام ١٩٣٩ كانت هناك هجرة مباشرة إلى لبنان حينما استوطن حوالى عشرة آلاف أرمنيّ في بلدة عنجر على الحدود اللبنانيّة ـ السوريّة. وكانت جماعات أخرى قد توزّعت على مخيمات سُمّيت بأسماء المدن الأرمنية، مثل مرعش، وأدنة، وسيس، وسواها ومن ثم توزّع الأرمن في مختلف المناطق اللبنانية، وخاصة في ملتقى قضاء المتن ومدينة بيروت، حيث باتوا يعيشون بكثافة ناشطة. ويبلغ اليوم عدد الأرمن في لبنان حوالى ربع مليون نسمة[١]. وكان معظم الأرمن الذين نجوا من المذابح قد لجأوا إلى حلب، ومنها توزّعوا في نواحي سورية ولبنان. ولمّا احتلّ الفرنسيّون مقاطعة قيليقية، عاد إليها سكّانها الأرمن سنة ١٩٢٠، إلاّ أنّهم اضطرّوا إلى أن ينزحوا عنها من جديد، لمّا جلا عنها الفرنسيّون. فلجأ جاثليق سيس الأرثذوكسيّ إلى لبنان، وأقام في بلدة إنطلياس، شماليّ بيروت.

وقد نشبت أزمة دينيّة سنة ١٩٥٦ إثر انتخاب البطريرك "زارا" جاثليق سيس، فقد حاول جاثليق "أتشميادزين" أن يتدخّل في شؤون جثلقة سيس ويفرض عليها سلطته. إلاّ أنّ الجاثليق زارا (١٩٥٦ ـ ١٩٦٣) قد تمكّن من المحافظة على استقلال بطريركيّته، وإعادة الهدوء والسلام إليها. وقد انضمّت إليه أبرشيّات كثيرة في المهجر، كانت خاضعة لجثلقة "أتشميادزين". وتوفّي البطريرك زارا سنة ١٩٦٣، وخلفه البطريرك خورين باروريان. وظلّ قائمًا على شؤون كنيسته حتّى عام ١٩٧٧، إذ عيّن المطران كاركين سركيسيان معاونًا له، وهو يتمتّع بكامل الصلاحيّات. ولمّا توفّي الكاثوليكوس خورين في ٩ شباط (فبراير) ١٩٨٣ أصبح معاونه الكاثوليكوس الأصيل[٢].

---

١ ـ ذكر إحصاء جرى سنة ١٩٦٠ أنّ عدد الأرمن في لبنان نحو ٢٤٠ ألفًا، بين كاثوليك وأرثذوكس، راجع: WILLEMART H. ET P., *DOSSIER DU MOYEN-ORIENT ARABE*, ED. MARABOUT, (BELGIQUE,1969)

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

كاثوليكوسيّة بيت كيليكية
فــي إنطليـــــــــــاس

ذكرنا سابقًا أنّ للكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة، المعروفـة بالأرثذوكسيّة، كاثوليكوسيّة بيت كيليكية في إنطلياس من أعمال ساحل المتن في لبنان. وقد كان لهذه الكاثوليكوسيّة دور مهمّ في تطوير حياة الشعب الأرمنيّ من الناحية الدينيـة والثقافيّـة والعلميّـة، وبعد المجازر التـي ارتكبها الأتـراك والتـي طـالت الكرسـيّ الكاثوليكوسـيّ نفسـه، اضطـرّ الكاثوليكوس "سهاك خابايان" إلى مرافقة أبناء كنيسته إلى سوريا. وبعد مفاوضات بين الكاثوليكوس سهاك وبطريرك القدس، تـمّ الاتّفـاق علـى استقرار الكرسـيّ فـي منطقـة بيروت وبالضبط في إنطلياس حيـث كـان فيها جمعيّـة أميركيّـة معروفـة باسم جمعيّـة "مسـاعدة الشـرق الأدنـى"، فـاتّفق الكـاثوليكوس مـع المسـؤولين فيهـا وانتقـل الكرسـيّ الكاثوليكوسيّ إلى مقرّ هذه الجمعيّة حيث تمّ تشييد كنيسة ومدرسة إكليريكيّـة ومطبعـة، وهكذا بدأت من جديد الحياة تسير بالاتّجاه الطبيعيّ عند الشعب الأرمنيّ. فبعد إحيـاء هذا الكرسيّ الكاثوليكوسيّ، أصبـح المقـرّ مركـزًا روحيًّـا وقوميًّـا ومنـارة ينطلـق منهـا العمل ليعطي جميع حاجات أبناء الكنيسة في لبنان وسوريا وقبرص وإيران واليونـان والولايـات المتّحـدة وكنـدا[1]. وقـد تعـاقب علـى كاثوليكوسـيّة الأرمـن الأرثذوكـس فــي إنطلياس خمسة بطاركة منـذ سـنة ١٩٣١، قـاموا بـدور طليعـيّ فـي مختلـف الميـادين، فأسّسوا المدارس والإكليريكيّات والجمعيّـات الخيريّـة وملاجـىء الأيتـام ودور العجـزة والمستشفيات وسوى ذلك من الأعمال الإسكانيّة والتعليميّة والاجتماعيّة علـى أنواعهـا. وتعمل هذه الكاثوليكوسيّة على تسهيل عجلة الحياة في المؤسّسـات، ومـن أهـمّ أعمالهـا

---

١ ـ في سنة ١٩٥٠ تمّ بناء دير في بلدة بكفيّا كمقرّ صيفيّ لهذه الكاثوليكوسيّة.

بناء مساكنشعبيّة في منطقة الفنار من أعمال ساحل المتن تضمّ حوالي مئتَي وحدة سكنيّة؛ كما تقوم بدور فعّال في تعميق الثقافة المسيحيّة بين أبنائها وخاصّة في أوساط النشء الجديد، وذلك بوسائل عدّة منها المطبوعات الدينيّة.

أمّا الشعب الأرمنيّ، فقد نشط في مسيرة استعادة حياته في لبنان، فتمكّن، في وقت قصير، من تحقيق مكانة ملحوظة وفاعلة له في المجتمع اللبناني المركّب، وبات يشارك في الحياة السياسيّة للدولة اللبنانيّة مشاركة حيويّة وعضويّة.

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الرَّسوليَّة

والحَركَة المَسكُونيَّة

تتأرجح الحركة المسكونيّة في الكنائس الأرمنيّة بين النشاط والفتور، وتخضع لتيّارات عديدة تختلف بين كنيسة وكنيسة ومنطقة ومنطقة، وأحيانًا بين رئيس روحيّ ورئيس روحيّ آخر. على أنّ التوجّه العام لتلك الحركة يبدو وكأنّه يسير في اتّجاه إيجابيّ. تجدر الإشارة إلى أنّ ممثّلين عن كاثوليكوسيّة إنطلياس للأرمن "الأرثذوكس"، وممثّلين عن بطريركيّة الأرمن الكاثوليك، هم أعضاء في مجلس كنائس الشرق الأوسط، ويشاركون، جنبًا إلى جنب، في جميع أعماله بروح مسكونيّة منفتحة. كما أنّ العلاقات بين الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة والكنيسة الإنجيليّة الأرمنيّة تبدو وديّة، ولكن لا تتعدّى حدود الاحترام المتبادل والصلوات المشتركة والتعاون في بعض المجالات.

علمًا بأنّ ممثّلين عن كرسي "أتشميادزين" وكرسيّ إنطلياس، وهما من الكنيسة الرسوليّة، قد شاركوا كمراقبين في جلسات ذلك المجمع. وقد ساهم في هذا التقارب الكاردينال أغاجنيان الذي كان رئيس مجمع انتشار الإيمان، وأحد مدراء المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وقد جاء لزيارة البابا على رؤوس وفود رسميّة، كلّ من كاثوليكوس

"أتشميادزين" فازكين الأول، وكاثوليكوس إنطلياس خورين، ومن بعده كـاركين الثـاني. كما زار روما بطاركة اسطنبول والقدس، وقد نتج عن هذه الزيـارات بيانـات مشتركة وعلاقات وديّة. وقد كان لـ"المجلس الحبريّ البابويّ لتعزيز الوحدة بين المسيحيّين" الدور الفعّال في تنظيم هذه اللقاءات. وتقوم الكنيسة الرسوليّة الأرمنيّة بدور فعّال في نطاق "مجلس الكنائس العالميّ" و"مجلس كنـائس الشـرق الأوسـط"، وتسعى إلى إقامة وتطوير العلاقات المميّزة مع سائر الكنائس وفي مقدّمتها الكنيسة الكاثوليكيّة، والكنيسة الأرثذوكسيّة الغربيّة، والكنـائس الشـرقيّة، والجمعيّـات الدينيّـة والثقافيّـة التابعـة لهـذه الكنائس. وقد زار الكاثوليكوس خورين باروريان البابا بولس السـادس فـي رومـا عـام ١٩٦٧. وزار الكاثوليكوس الجديد كاركين سركيسيان البابـا يوحنّـا بولـس الثـاني سنة ١٩٨٣، وأُجري له استقبال حافل. والكاثوليكوس كـاركين ضليـع بـالأمور المسكونيّة، وكان قد مثّل كنيسته كمراقب في المجمع الفاتيكانيّ الثاني[١].

بين الكنيسة الأرمنيّة الرّسوليَّة والكنيسـة الأرمنيّـة الكاثوليكيّة

وقد تطوّرت العلاقات المسكونيّة بين الكنيستَين الأرمنيّـة الرّسـوليَّة[٢] والأرمنيّـة الكاثوليكيّة[٣] بشكل واضح بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني[٤]. وتقتصر العلاقة بيـن الكنيسـة الكاثوليكيّة الأرمنيّة والكنيسة الأرمنيّة الرسوليّة، على الاحترام المتبادل والمشاركة فـي

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

٢ ـ هي نفسها المعروفة باسم الكنيسة الأرثذوكسيّة، والتي يُطلق عليها خطأً إسم الكنيسة الغريغوريّة.

٣ ـ راجع الفصل التالي.

٤ ـ المجمع الفاتيكانيّ الثاني: عُقد في روما ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ تحت عنوان التجديد في العالم المسيحيّ، تجـد التفـاصيل الوافية حولـه فـي المجلّد العاشر من هذه الموسوعة.

بعض الاحتفالات الدينيّة والقوميّة، والزيارات الرسميّة، والتعاون في الخدمات الإنسانيّة وفي المجالات الثقافيّة والخيريّة. أمّا الحوار العقائديّ فغير قائم بينهما. وللآباء المخيتارين[١] فضل ملحوظ في دعم هذه الروح المسكونيّة، إذ كانوا، ولا يزالون، يشكّلون الجسر المتين الذي يربط بين الكنيستَين الأرمنيّة الكاثوليكيّة والرسوليّة. وإنّ الحريّة الدينيّة التي أعلنتها الجمهوريّة الأرمنيّة الحديثة قد ساهمت في تمتين العلاقات. إذ كان وجود الرهبان والراهبات الأرمن الكاثوليك في أرمينية لرعاية شؤون الكاثوليك، قد خلق أزمة مع كرسيّ "أتشميادزين"، ما لبثت أن هدأت بعد أن قام وفد من الأساقفة الأرمن "الأرثذوكس" بزيارة البابا، وقام وفد آخر من أساقفة الأرمن الكاثوليك بزيارة الكاثوليكوس فازكين الأول. وقد ساهم في تطبيع العلاقات بين الكنيستَين الكردينال سيلفستريني رئيس مجمع الكنائس الشرقيّة الذي زار "أتشميادزين" في ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٩٤ باسم البابا يوحنّا بولس الثاني وقدّم للبطريرك فازكين ذخائر القدّيسيَن الرسولَين برتلماوس وتدّاوس المحفوظة في روما[٢].

---

١ ـ راجع الفصل التالي.

٢ ـ تجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة الأرمنيّة تعتبر انّ هذَين القدّيسَين الرسولَين هما مؤسّساها كما سبق وذكرنا في بداية هذا البحث.

الفَصْلُ السَّابِع

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الكاثُوليكيَّة

نُشُوء الكَنِيسَة الأرمَنيّة الكاثُوليكيَّة؛

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الكاثُوليكيَّة في لُبنَان؛ تضَامُن كَاثوليكيّ شَرقيّ مع الأرمن الكاثوليك؛

تحرير الأرمن الكَاثوليك وتنظيمهم في القسطنطينيّة؛ إضطراب الأحوال والتّنظيم الجديد؛

أبرشيّة الأرمَن الكاثوليك في بلاد مَا بَين النهرَين؛

الرّاهب مخيتار والرهبانيّة المخيتاريّة؛ نزوح الأرمَن الكَاثوليك إلى لبنَان؛

الأوضاع الحاليّة في البطريركيّة الأرمنيّة الكاثوليكيّة.

نُشُوء

الكَنِيسَة الأرمَنيّة الكاثُوليكيّة

ذكر باحثون كنسيّون[1] أنّه عندما حاول بعض الأساقفة، بين نهاية القرن السادس وأوائل القرن السابع، أن يقولوا بمبادىء كنيسة روما، جوبهوا برفض الأكثريّة، ما اضطرّهم إلى مغادرة أرمينية والتوجّه إلى "رافينا" وروما في إيطاليا حيث أسّسوا لهم الاديار. ومع قدوم الفرنجة إلى الشرق في الحملة الصليبيّة الأولى ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩، ومساعدتهم الأرمن على إنشاء مملكة قيليقية[2]، تأثّرت الكنيسة الأرمنيّة بالوضع العام الناشئ، فشهدت انفتاحًا نحو الغرب، وبدأ عصر من العلاقات المسكونيّة مع الكنائس اللاتينيّة والبيزنطيّة والسريانيّة بهمّة الكاثوليكوس "كريكور فكاياسير" الذي زار القدس

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص١١٨ ـ ١١٩.

٢ ـ ذكر باحثون كنسيّون (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص١١٨ ـ ١١٩) أنّه في القرن الحادي عشر، تمركز الأرمن في مقاطعة قيليقية وأنشأوا إمارة مستقلّة حالفت الإفرنج. وقد منحت روما أميرها الأرمنيّ لاون الثاني التاج الملكيّ. وفي هذه الحقبة كان عدد الأرمن ملحوظًا في إمارتي أورفا الرها، وأنطاكية، كما كان لهم وجود في في مملكة القدس. وفي هاتين الامارتين كانت العلاقات حسنة بين الإفرنج والأرمن.

والإسكندريّة والقسطنطينيّة وروما سعيًا وراء التفاهم الكنسيّ[1]. وتابع عمله أسقف طرسوس القدّيس "ترسيس لامبروناتسي" ولكن باتّجاه الكنيسة اللاتينيّة، ونجحت بوادر الوحدة مع روما، فبدأ الحجّاج الأرمن يذهبون إلى المدينة الرسوليّة لزيارة ضريحَي بطرس وبولس. ونسج على منوالهما الكاثوليكوس "كريكور الشاب" ومَن خلَفه سعيًا وراء الوحدة[2]. لكنّ هذا التيّار الوحدويّ لقي معارضة شديدة من أساقفة أرمينية الكبرى، فلم يدم طويلاً. وبالرغم من إدخال بعض العادات الغربيّة في الطقوس الدينيّة، حافظت الكنيسة الأرمنيّة على تقاليدها وعلى طابعها الوطنيّ.

في النصف الأول من القرن الثاني عشر، بدأت جماعات أرمنيّة تميل الى اتّباع الكنيسة الغربية الكاثوليكية، كان ذلك في عهد البابا أوجانيوس الثالث (١١٤٥ ـ ١١٥٣) الذي زار "فيتربو" ووجّه منها رسالة للكنيسة الأرمنيّة والسريانيّة. وفيتربو مدينة إيطالية كانت في ذلك العهد تقع تحت حكم روما. وقد ذهبت جماعة من الأرمن لمقابلة البابا في فيتربو، حيث حصلت "أعجوبة أثناء رتبة القدّاس الإلهيّ إذ ظهر شعاع منبعث على رأس الحبر الأعظم عند مباشرته الأسرار المقدّسة وحمامتان تصعدان وتنحدران. وذلك بموجب شهادة أوتون أسقف فريسينكا[3] الذي كان حاضرًا

---

١ ـ ذكر باحثون كنسيّون (بتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص٢٣٣.) أنّ الحملات الصليبيّة قد أسفرت عن حصول اتّحاد بين الكنيسة الأرمنيّة والكنيسة الأمّ في روما، إذ اعترف الجاثليق الأرمنيّ غريغوريوس، أي كريكور، بأنّ في المسيح طبيعتَين في مجمع القدس سنة ١١٤٠. وقد أُقرّ هذا الاتّحاد في مجمع طرطوس المنعقد سنة ١١٩٦ في عهد الحبر الأرمنيّ الأكبر: نرسيس شانور هالي. لكنّ هذا الاتّحاد لم يدم أكثر من ثلاثة قرون، إذ بدأ يضعف في أواسط القرن الرابع عشر في مقابل الحزب المعارض للاتّحاد. ولمّا سقطت مملكة قيليقية الأرمنيّة سنة ١٣٧٥ في أيدي المماليك، قُضي على هذا الاتّحاد. وكان أسقف أكتمار، وهي جزيرة في بحيرة فان، قد استقلّ عن الكنيسة الأرمنيّة الأمّ وحمل لقب جاثليق، وفي العام ١٣١١، استقلّ أيضًا أسقف القدس وحمل لقب بطريرك.

٢ ـ تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الملك الأرمنيّ "هيتوم الثاني" (١٢٨٩ ـ ١٣٠٧) قد تخلّى عن العرش ليترهّب عند الآباء البريمونتاريّين PRÉMONTRÉS.

٣ ـ **فريسينكا**: مدينة في بافيارا من أعمال النمسا.

في فيتربو[1]. وكان من جملة الأرمن الحاضرين "الجاثليف غريغوريوس الثالث، وقد توجّه إلى أورشليم سنة ١١٤٧ حيث تظاهر بالدين الكاثوليكيّ وحضر مجمع اللاتين هناك ضدّ معتقدات الأرمن، ثمّ ذهب الى مصر ومات فيها، فقام بطريرك القبط كيرِلّوس، بعد موت غريغوريوس، برسم حنانيا بطريركًا على الأرمن. وإذ لم يقبل الأرمن بتلك الرسامة، أقاموا عليهم بطريركًا "تيارسي الرابع الغيلايانسي" أخا غريغوريوس المتوفّي الذي ركّز الكرسيّ البطريركيّ في سيس، واجتهد بأمر الإتّحاد مع الكنيسة الرومانيّة محاميًا عن الإيمان الكاثوليكيّ ضدّ الأرمن غير الكاثوليك. وقد كان مشهورًا بالتأليف نثرًا وشعرًا، ونظم كتابًا يحوي أناشيد مقدّسة لا تزال كنيسة الأرمن تستعملها حتّى الآن.

ثمّ نلتقي من بطاركة الأرمن الكاثوليك: غريغوريوس الرابع الملقّب بالصبي الذي وجّه اليه البابا لوقيوس الثالث (١١٨١ ـ ١١٨٥) رسالة وبراءة باباويّة سنة ١١٨٤. ثمّ قسطنطين الأوّل الذي ثبّته البابا غريغوريوس التاسع (١٢٢٧ ـ ١٢٤١) مرسِلاً له البراءة في ١٢٣٩، وقد انتُخب هذا البطريرك في العام ١٢٢٠. ثم يليه سائر البطاركة. وبالإجمال، فقد اتّبع الأرمن الكنيسة الكاثوليكيّة في المجمع الفلورنتينيّ[2] على عهد البابا أوجانيوس الرابع (١٤٣١ ـ ١٤٤٧). ثمّ ما لبث أكثرهم أن انفصل عن الكاثوليك، ولم يبقَ منهم سوى أفراد قلائل. غير أنّ ذلك العدد قد تكاثر في ما بعد، فأقام عليهم الكرسيّ الرسوليّ رأسًا بصفة بطريرك قيليقية. وكانت فكرة الاتّحاد تنمو بكل واضح ابتداءً من القرن الثاني عشر، رغم أنّها عانت الكثير من ضروب الإضطهاد عبر تاريخها. وقد بلغ الإضطهاد ذروته داخل الأمبراطوريّة

---

١ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مكتبة البستان، ج٣ (بيروت،١٩٧١)، مادّة "بزمّار".

٢ ـ المجمع الفلورنتيني: مجمع كنسيّ عُقد في فلورنسة ١٤٣٩ ـ ١٤٤٥ بهدف اتّحاد الكنائس.

العثمانيّة في أوائل القرن الثامن عشر، إذ كان الأرمن غير الكاثوليك يتدخّلون لدى الباب العالي للتضييق على الكاثوليك منهم، وهكذا كان الكاثوليك ينهزمون أمام خصومهم، فكانوا يلاقون التعذيب والسجن وشتّى ضروب الإضطهاد[1].

إنتشرت فكرة الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة مجدّدًا في القرن السابع عشر بين جماعة من الأرمن القاطنين في "أتشميادزين"، قاعدة أرمينية الكبرى، وفي حلب والقسطنطينيّة، بفضل المرسلين الغربيّين. وكان بين بطاركة الأرمن وجثالقتهم في ذلك العهد، مَن كانوا يميلون إلى الاتّحاد، ومَن كانوا يقاومون الفكرة. وابتدأ اتّحاد الأرمن بالكنيسة الرومانيّة في جثلقة سيس في قيليقية شماليّ سورية. وكان جاثليقها يقطن في أغلب الأحيان مدينة حلب، فاتّصل به الرهبان المرسَلون، وحرّضوه على الانضمام إلى الكنيسة الرومانيّة. وأوّل مَن فكّر في الاتّحاد هو الجاثليق خجادور (١٦٥٨ ـ ١٦٧٣)، وقد كانت علاقاته بقنصل فرنسا والرهبان المرسَلين وثيّة. واتّبع طريقته الجاثليق عزارياس الثاني (١٦٨٣ ـ ١٦٩٨) وغريغوريوس بدزاك (١٦٨٩ ـ ١٦٩١)[2]. غير أنّ مؤسّس البطريركيّة الأرمنيّة الكاثوليكيّة الحديثة هو المطران أبراهام أرزفيان، من مواليد عنتاب في سنة ١٦٧٦. إنتُخب أسقفًا على مدينة حلب سنة ١٧١٠، فقاسى الاضطهاد والنفي بسبب معتقده الكاثوليكيّ، فعُذّب ورُمي في السجن، غير أنه تمكّن من الهرب في العام ١٧١٥، ملتجئًا الى كسروان لبنان، وقد صحبه عدّة آباء وأساقفة[3].

---

١ ـ المرجع السابق.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٢٩.

٣ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مكتبة البستان، ج٣ (بيروت،١٩٧١)، مادّة "غوسطا" ومادّة "بزمّار".

الكَنِيسَةَ الأرمَنيّة الكاثُوليكيَّة
فِـــي لُبْنَـــــــــــــان

كان في العام ١٧٠٨ قد أتى الى دير مار أنطونيوس قزحيّا في شمالي لبنان شابّان من أبناء كنيسـة الأرمن الكـاثوليك، إسماهما يعقـوب ويوحنّـا، وأرادا أن يتعـوّدا علـى الحياة النسكيّة والعيشة المشتركة ويتعلّما السير الرهبانيّ وتهذيبه الصادق ليتيسّر لهمـا أن يُنشئا رهبانيّة في كنيستهما. وقد مكث الشابّان في دير قزحيّا عشـر سنوات[1]. وفـي العـام ١٧١٨، إنضـم اليهمـا الأسـقف أبراهـام وأسـقف آخـر أو كـاهن يُدعـى مينــاس، فأسّسوا رهبانيّة الأرمن الكاثوليك فـي ديـر المخلّـص المعـروف بـالكريم فـي غوسـطا، واتّبعوا قوانين وفرائض القدّيس أنطونيوس الكبير التي تتبعهـا الرهبانيّـة المارونيـة، إذ كان الشيخ صخر بن أبي قانصوه الخـازن قد وقـف سنة ١٧١٦ علـى الأرمن مكـان الدير المذكـور بنـاء علـى توصيـة مـن البطريـرك المـاروني يعقـوب عـوّاد (بطريـرك ١٧٠٥ ـ ١٧٣٣)[2].

نمت رهبانية القدّيس أنطونيوس الأرمنيّـة الكاثوليكيّـة نمـوًّا سـريعًا، ومـا لبثـت أن أصبحت تبعث المرسَـلين خاصـّة عبر قيليقيـة. ومـا لبـث الأسـقف أبراهـام أن انتُخـب بطريركًـا علـى الكنيسـة فـي مجمـع عُقـد عـام ١٧٤٠ باسـم "أبراهـام بطـرس الأوّل أرزيقيان"[3]، وسرعان ما اتّصل برومـا طالبًـا براءتهـا. وفـي تشـرين الثـاني (نوفمـبر)

---

١ ـ فهد الأب بطرس، تاريخ الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة بفرعَيها الحلبيّ واللبنانيّ. (جونيه ـ لبنان،١٩٦٨)

٢ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مرجع سابق.

٣ ـ لمّا قرّر الأرمن الكاثوليك في حلب الاستقلال عن البطريرك ميخائيل الغريغوريّ، عاد المطران أبراهام إلـى حلب، ومنـح الدرجـة الأسقفيّة لثلاثة كهنة، عيّن واحد منهم نائبًا بطريركيًا لمدينة حلب، والأخران أسقفين، الواحـد علـى عنتـاب، والثـاني علـى مـاردين. وعقد هؤلاء الأساقفة مجمعًا، وانتخبوه بطريركًا على الأرمن الكاثوليك ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

١٧٤١ ذهب الى المدينة الخالدة وقابل البابا بنديكتُس الرابع عشر (١٧٤٠ ـ ١٧٥٨) الذي استقبله أحسن استقبال، وثبّت انتخابه في ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٧٤٢، وسلّمه درع الرئاسة، ومنحه الباليوم في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٧٤٢ في الكابيلاّ البابويّة، وأقرّ سلطته على أقطار سورية ومصر والعراق وقيليقية، وكان للبطريرك الجديد من العمر ستّون عامًا. بينما خضع الكاثوليك في أرمينية الكبرى والقسطنطينيّة للقاصد الرسوليّ. ولمّا رجع البطريرك أبراهام من روما إلى الشرق، سعى جهده لأن يستقرّ في القسطنطينيّة أو في الإسكندريّة أو في دمشق، فلم يستطع، لأنّ الدولة العثمانيّة لم تعترف به بطريركًا، فأقام في دير الكريم في غوسطا كسروان لبنان، ودبّر من هناك شؤون طائفته، ونصّب على الأبرشيّات الشاغرة أساقفة امتازوا بالفضيلة والنشاط[1]. وكانت توجيهات البطريرك أبراهام تصبّ نحو إنشاء مقرّ بطريركيّ وانتخاب ابن شقيقته ونائبه هاغوب هوفسبيان خلفًا له. وعلى أثر وفاته دُفن في دير الكريم في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٧٤٩[2]. وفي تشرين الأول (أكتوبر) ١٧٥٠ تمّ انتخاب هاغوب هوفسبيان بطريركًا فانتقل من الكريم إلى بزمّار حيث توفّي، ولكنّ جثمانه نُقل إلى الكريم.

في هذه الأثناء، كان دير الأرمن الكاثوليك في الكريم ينمو بسرعة، وقد تمكّن رهبانه، بعد وقت قصير، من تأسيس دير جديد في بيت خشبو قرب غزير في حوالي ١٨٢٠[3]. وفي العام ١٧٤٨، تفاوض البطريرك أبراهام

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

٢ ـ راجع: مفرّج، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، الجزء الثالث، مرجع سابق، مادّة غوسطا.

٣ ـ إنتقلت ملكيّة هذا الدير من الأرمن إلى الآباء الكبّوشيّين ثمّ إلى آل الخازن ١٩٢٥، ومنهم إلى مؤسّسة كونتوار الأمانة العقاريّة بشخص مالكها الشيخ يوسف كنعان، الذي باع هذا الدير مؤخّرًا من الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة التي أجرت عليه ترميمًا شاملا وجعلته مقرًّا رئيسًا لها.

مع مشايخ غوسطا الخوازنة الذين وقفوا له أرض بزمّار في كسروان حيث قرّر إنشاء دير جديد[1]، وما لبث هذا المشروع أن تحقّق، وسرعان ما أصبح دير بزمّار يبعث الرسل عبر قيليقية وسواها[2]. وفي العام ١٨٦٥ باعت الرهبانيّة الأرمنيّة دير الكريم في غوسطا من المطران يوحنّا الحبيب مؤسّس جمعيّة الرسل، واتّخذت لها من دير بزمّار مركزًا رئيسًا لها ولبطريركها[3]. وأضيفت إلى الدير لاحقًا مدرسة إكليريكيّة لرهبانها[4].

في العام ١٨٦٦، اضطر بطريرك الأرمن الكاثوليك[5]، لأسباب خاصّة، لأن يترك مقرّه في بزمّار وينتقل الى القسطنطينيّة، ليستقرّ في الكاتدرائيّة التي دُفن فيها الأمير بشير الثاني الكبير، بسبب الصلة التي توثقت بين هذه الكنيسة ولبنان، ثم نُقل رفاته إلى لبنان بعد الإستقلال. وقد بقي مقرّ البطريركيّة هناك حتّى انقضاء عهد العثمانيّين، فعاد بطريرك الأرمن الكاثوليك إلى لبنان عام ١٩٢٨، واتّخذ له مقرًّا مع حاشيته في

---

١ ـ بُني هذا الدير على أنقاض معبد وثنيّ كان يقصده كهنة مرّة في السنة، يقرعون الطبول لدعوة الأهالي في القرى المجاورة للمشاركة في احتفال تقديم الأضاحي.

٢ ـ تكوّنت حول دير بزمّار جمعيّة من الكهنة المرسلين، لا تزال تُعرف حتّى اليوم باسم "جمعيّة كهنة دير بزمّار البطريركيّة". وقد أعطت هذه الجمعيّة بطاركة وكهنة. ويعود الفضل إليها في تنشئة الإكليريكيّين وخدمة الرعاية في أرمينية وفي المهجر.

٣ ـ لجأ إلى دير بزمّار أيضًا بعض الأساقفة الذين كانوا يديرون أبرشيّاتهم عن بُعد بواسطة النوّاب هربًا من الحكومة العثمانيّة. وعندما كان يشتدّ الاضطهاد، كان النوّاب أيضًا يلجأون إلى الكنيسة المارونيّة وهي الكنيسة الكاثوليكيّة الوحيدة المعترف بها آنذاك في سوريا ولبنان، أو يلجأون إلى النيابة اللاتينيّة في اسطنبول.

٤ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مرجع سابق.

٥ ـ أقام في دير بزمّار ثمانية بطاركة حتّى ١٨٦٦ تاريخ انتقال المقرّ إلى اسطنبول، وتحتضن كنيسة الدير القديمة رفات ستّة منهم. أمّا البطاركة الثمانية الذين سكنوا كسروان فهم: أبراهام أرزيفيان ١٧٤٠ ـ ١٧٤٩؛ هاغوب هوفسبيان ١٧٤٩ ـ ١٧٥٣؛ ميخائيل كسباريان ١٧٥٥ ـ ١٧٨٠؛ باسيليوس أفكاديان ١٧٨٠ ـ ١٧٨٨؛ غريغوريوس كوبليان ١٧٨٨ ـ ١٨١٢؛ غريغوريوس جراجيان ١٨١٢ ـ ١٨٣٠؛ هاغوب هولاسيان ١٨٤١ ـ ١٨٤٣؛ غريغوريوس دوراستفازادوريان ١٨٤٣ ـ ١٨٦٦.

بيروت، مع المحافظة على مقرّه في بزمّار[1].

كان دير بزمّار، عبر تاريخه، موضوع اهتمام جدّيّ من قِبَل رجال إكليروس هذه الكنيسة، ولقد كان مرجع أبنائها المتفرّقين في أقطار العالم، ولا يزال. وهو اليوم، بالإضافة إلى كونه ديرًا ومدرسة إكليريكيّة ومركزًا بطريركيًّا، متحف أثريّ جُمعت فيه تحف تاريخيّة قيّمة، ندر أن وُجدت في متحف لبنانيّ خاص. وتحمل جدران كنيسة الدير القديمة لوحات من الفنّ الإيطاليّ، منها لوحة عجائبيّة لسيّدة الآلام من أعمال الفنّان الشهير "رافاييل سانزو" وأخرى للرسّام "غيريرو باربيري". أمّا المقرّ الأوّل الذي بُني منتصف القرن الثامن عشر والذي حُوّل إلى متحف بطريركيّ فيضمّ الغرفتَين اللتَين كان يقيم فيهما البطاركة إضافة إلى أربع غرف معروضة فيها أغراض البطاركة الأول، من صلبان، ومباخر، وملابس، وتيجان، وأدوات خدمة القدّاس، وأناجيل، وآلة طباعة من العام ١٦٧٧، وصندوق مجوهرات كان يخصّ الأميرة حسنجيهان زوجة الأمير بشير الكبير التي اعتنقت المسيحيّة بفضل المطران يعقوب هولاسيان الأرمنيّ الكاثوليكيّ. وفي الطبقة العلويّة أُنشئ سنة ١٩٦٦ متحف أُعيد ترميمه سنة ١٩٨٢ ويضمّ قطعًا تجمع حضارات مختلفة تمتدّ من العصور الحجريّة إلى أوائل القرن العشرين، جمعها أهل الدير وخبّأوها على مدار الأعوام. وهو مؤلّف من ستّ صالات تتوزّع فيها واجهات زجاجيّة تحوي خزفيّات متنوّعة وأخرى من تركيا، وكؤوسًا من الفضّة، وقطعًا أثريّة فينيقيّة، وفخّاريّات وأدوات استعملها الفينيقيّون في مجال طبّ الأسنان، وعقودًا وحليًّا من العصر الحجريّ، ومجموعات نادرة من القطع النقديّة القديمة من عصور مختلفة، منها أربع قطع نُقشت عليها صورة "ديكران

---

[1] ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مرجع سابق.

الأول" الذي حكم أرمينية بين ٩٥ و٥٥ ق.م.؛ وهناك أيضًا تماثيل صغيرة لآلهة الأرمن وحليّ لملوكهم، ورسم لعذراء أرمينية على سجّادة يعود تاريخها إلى سنة ١٩٠٩، ومجموعة من السيوف وكتب وأناجيل ومخطوطات من القرن الثالث عشر كُتبت على جلود الحيوانات بالعربيّة والسريانيّة والأرمنيّة؛ والرسالة الأولى للقدّيس بطرس مكتوبة على ورق البردى تعود إلى القرن الثامن. وتضمّ إحدى الصالات بزّات كهنوتيّة مشغولة بخيوط الذهب، بينها واحدة للبابا بينيدكتس الرابع عشر (١٧٤٠ ـ ١٧٥٨) أهداها للبطريرك أبراهام أرزيقيان، وكؤوسًا وتيجانًا من الذهب مرصّعة بالحجار الكريمة، ومجموعة من الأدوات المنزليّة العائدة إلى العصر الحجريّ، ومجموعة أخرى من الأسماك المتحجّرة عمرها ملايين السنوات. وفي المتحف أيضًا صالة للرسم تتضمّن مجموعة كبيرة من اللّوحات الزيتيّة والمائيّة لفنّانين ورسّامين أرمن قدامى ومعاصرين، تجمع أعمالهم موضوعات مشتركة عن القدّيسين والشهداء الأرمن والعذابات والمجازر التي تعرّض لها الشعب الأرمنيّ، إضافة إلى فصول ومشاهد من تاريخ الكنيسة. وفي إحدى الصالات الستّ تُعرض مجموعة متنوّعة من الأيقونات والأوسمة والتذكارات. كما تشتمل الفسحة الثقافيّة في الدير على مكتبة كبيرة وثمينة تضمّ ١,٧٠٠ مخطوطة، منها ١,٥٠٠ باللّغة الأرمنيّة، و٢٠٠ بلغات أخرى. وقد تمّت فهرسة ٦٧٦ مخطوطة أرمنيّة منها، علمًا بأنّ غالبيّة هذه المخطوطات مزيّنة برسوم ومنمنمات رائعة. وتضمّ المكتبة أعدادًا ضخمة من الكتب والموسوعات العربيّة والأجنبيّة في شتّى المواضيع ومنها تاريخ لبنان والشرق الأوسط. وكمعظم أديرة لبنان فدير بزمّار عريق بأقبيته المليئة بخوابي النبيذ العتيق، ومنها ما يعود إلى ١٨٩٠.

لعب دير بزمّار دورًا هامًّا في حقبة المتصرفيّة، إذ كان بعض المتصرّفين من أتباع كنيسة الأرمن الكاثوليك، وقد حاول القيّمون على مقدّراته تحقيق مصالح عديدة

تخدم لبنان. وبالرغم من اضطرار المؤسّسة إلى بيع العديد من ممتلكاتها في مجاعة الحرب العالميّة الأولى لتتمكّن من عون الجياع والمنكوبين، فلا يزال هذا الدير يحافظ على قيمة ماديّة ضخمة، بالإضافة الى قيمته الروحيّة والمعنويّة الرفيعة، التي لم تستطع مظالم العثمانيّين، عبر تاريخ وجودهم في البلاد، من النيل منها في شيء.

ومن أبرز الأسماء التي لمعت في سماء الكثلكة، إسم الكاردينال أغاجانيان[1]، الذي انتُخب رئيسًا لكنيسة الأرمن الكاثوليك في لبنان في العام ١٩٢٧، واتّخذ من دير بزمّار مركزًا له. وقد أشعّ إسم هذا البارّ في أنحاء العالم منكّرًا، ليس فقط بكنيسة الأرمن الكاثوليك ، بل وعلى الأخصّ، بإسم لبنان.

تضَامُن كَاثوليكي شَرَقي
مع الأرمن الكاثوليك

ويلفت باحثون إلى التضامن الوثيق الذي برز بين الأرمن الكاثوليك وسائر الكنائس الكاثوليكيّة في الشرق قي خلال تعرّض الأرمن الكاثوليك للأزمات، فيذكرون، للدلالة على ذلك، الدور الهامّ الذي لعبه الموارنة في نشأة الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة. فهم الذين أوَوا البطريرك أبراهام أثناء منفاه، ووهبوه دير الكريم، ثمّ أرض بزمّار؛ وساعده الروم الكاثوليك أيضًا. فإنّ أول سيامة أسقفيّة أرمنيّة كاثوليكيّة قام بها المطران أبراهام أرزفيان في حلب سنة ١٧٣٩، كانت بمساعدة أسقفَين من الروم الكاثوليك هما: جراسيموس مطران حلب المستقيل، واغناطيوس الحلبيّ مطران حمص المنفيّ عن أبرشيّته. وكان المطران أبراهام نفسه قد ساهم في سيامة المطران فينان

---

١ ـ الكاردينال البطريرك غريغوريوس بطرس أغاجانيان (١٨٩٥ ـ ١٩٧١): وُلد في أغالنصة (روسيا)، بطريرك الأرمن الكاثوليك ١٩٣٧ ـ ١٩٦٢، كردينال ١٩٤٦، رئيس مجمع انتشار الإيمان ١٩٥٩.

الملكيّ الكاثوليكيّ سنة ١٧٢٤. وكان هذا أحد الأساقفة الذين رسموا البطريرك كيرلّس طاناس. واشترك المطران أبراهام سنة ١٧٣٦ في أعمال المجمع اللبنانيّ الشهير الخاصّ بالموارنة[1]، وهذا دليل على تضامن الطوائف الكاثوليكيّة في ذلك الوقت. أمّا الرهبانيّة الأنطونيّة الأرمنيّة فقد اندثرت في مطلع القرن العشرين[2].

تحرير الأرمن الكاثوليك وتنظيمهم في القسطنطينيّة

كان الأرمن الكاثوليك خاضعين، من الناحية المدنيّة لسلطة البطريرك الغريغوريّ المقيم في القسطنطينيّة. فسعت دولتا فرنسا والنمسا لدى الباب العالي في أمر إعتاق الطوائف الكاثوليكيّة من تبعة الطوائف الأرثذوكسيّة، فأعتقها جميعها سنة ١٨٣٠ وجعل لها ممثّلاً واحدًا لدى الحكومة العثمانيّة، وهو كاهن أرمنيّ اتّخذ لقب "البطريرك". ورأى البابا بيوس الثامن (١٨٢٩ - ١٨٣٠) أنّ الظروف مؤاتية لأن يُعتق الأرمن الكاثوليك من سلطة القاصد الرسوليّ اللاتينيّ المقيم في القسطنطينيّة. فنصّب عليهم أسقفًا أرمنيًّا مستقرًّا في العاصمة العثمانيّة، تمتدّ سلطته الروحيّة على أرمينية الكبرى وآسية الصغرى والمقاطعات العثمانيّة في القارّة الأوروبّيّة[3]. وتولّى هذا المنصب المطران أنطونيوس حسّون سنة ١٨٤٦، واعترف الباب العالي بسلطته سنة ١٨٥٧. وحقّق المطران أنطونيوس حسّون مشاريع كثيرة. فشيّد الكنائس والمدارس،

---

١ - راجع: الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٣١.

٣ - إنتظر الأرمن الكاثوليك العام ١٨٣٠ ليحصلوا على فرمان عثمانيّ صدر في ٦ كانون الثاني (يناير) يعترف باستقلاليّة الطائفة الأرمنيّة الكاثوليكيّة، حينئذ توقّفت الاضطهادات وعاد المبعَدون إلى مدنهم وتولّى الأساقفة المقيمون في المنفى زمام الأمور في أبرشيّاتهم وأنشأوا الكنائس ولمّوا شمل الرعيّة، إلاّ أنّ هذا الاستقرار لن يدوم طويلاً.

وبنى دارًا أسقفيّة ومدرسة إكليريكيّة، وأسّس جمعيّة راهبات الحبل بلا دنس الأرمنيّات. ونال أبناء كنيسته بفضله حظوة كبرى لدى الحكومة العثمانيّة. فازدهرت في عهده الأبرشيّات الأرمنيّة، والإرساليّات المنتشرة في أرمينية الكبرى، في نواحي أرارات وطوروس وزيتون[1]. وتمّ انتخاب "البطريق" أنطوان حسّون، مطران اسطنبول، بطريركًا على الأرمن الكاثوليك في العام ١٨٦٧ باسم بطرس التاسع (١٨٦٧ ـ ١٨٨١) وذلك إثر وفاة البطريرك ميخائيل أستوزادوريان سنة ١٨٦٥، وثبّت البابا بيوس التاسع انتخابه، وأقرّ رئاسته على الأرمن كلّهم، واعترف به الباب العالي في السنة عينها، وحمل لقب "بطريرك كيليكية" وأقام بالقسطنطينيّة، وبقي خلفاؤه فيها حتّى ١٩٢٨[2].

إضطراب الأحوال والتنظيم الجديد

عندما تسلّم البطريرك حسّون في القسطنطينيّة السلطتَين الروحيّة والزمنيّة، كانت الدولة العثمانيّة في عهد "التنظيمات". وكانت هذه التنظيمات قد أنعشت الروح القوميّة والوطنيّة لدى الأرمن، وأعطت للعلمانيّين مجالاً واسعًا للتدخّل في الشؤون الكنسيّة. وبعث البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٧ ببراءة تعاكس تمامًا هذه النزعة، فمنعت العلمانيّين من التدخّل في الشؤون الكنسيّة، وحصرت انتخاب الأساقفة في يدَي البابا وحده، وانتخاب البطريرك في أيدي الأساقفة فقط، واحتفظ البابا لنفسه بأمر التثبيت. ورأى بعضهم أنّ هذا التدبير يغيّر عادات الكنيسة الأرمنيّة، فرفضوا القبول به

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٢.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٢.

والانصياع له. وانقسمت الكنيسة على نفسها، فثار المعارضون ثورة عنيفة، وأحرقوا البراءة البابويّة، وقاوموا البطريرك حسّون مقاومة شديدة، وعزلوه من منصبه فنفاه العثمانيّون. ودامت القلاقل والاضطرابات من سنة ١٨٦٧ حتّى سنة ١٨٧٩، أي إلى أن ارتقى البابا لاون الثالث عشر السدّة الرسوليّة، فأطاعه المعارضون وقدّموا له خضوعهم. فرقّى البطريرك أنطونيوس حسّون إلى الرتبة الكرديناليّة سنة ١٨٨٠ مكافأة خضوعه لأوامر الكرسيّ الرسوليّ. واستقال البطريرك الكردينال من منصبه البطريركيّ سنة ١٨٨١، وانزوى في روما حيث مات سنة ١٨٨٤[١].

وخلفه البطريرك بطرس العاشر عازاريان (١٨٨١ ـ ١٨٩٩) فتنازلت روما قليلاً عن قراراتها، فأعاد البطريرك الجديد السلام، واستطاع أن يسكّن القلوب ويعيد الوفاق إلى صفوف أبناء كنيسته، ورمّم ما تهدّم من منشآت البطريرك حسّون، فأعاد بناء دار البطريركيّة، ومدرسة راهبات الحبل بلا دنس، ونظّم المستشفى الأرمنيّ في القسطنطينيّة، وبنى معهد القدّيس غريغوريوس في بيرة، أحد أحياء العاصمة العثمانيّة، وطبع الكتب الطقسيّة بمساعدة الآباء المخيتاريّين من فرع البندقيّة. وكان البطريرك بطرس العاشر رجل علم وعمل، فأحسن علاقاته مع الباب العالي، فاعتبر بعضهم هذه العلاقات الطيّبة خيانة للقضيّة الوطنيّة أثناء مذابح سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦، مع أنّ موقفه الفطن قد أنقذ الأرمن الكاثوليك من الموت، وأبعد مذابح سنة ١٨٩٦ عن مدينة زيتون.

ولمّا مات البطريرك بطرس العاشر عازاريان سنة ١٨٩٩، عاد الشعب إلى المطالبة بحقّ انتخاب البطاركة والأساقفة، على غرار الأرمن الغريغوريّين. وقويت هذه الحركة بعد إعلان الدستور وخلع السلطان عبد الحميد، فاضطربت البطريركيّة

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٣.

الأرمنيّة الكاثوليكيّة اضطرابًا شديدًا في عهد البطريرك بطرس الحادي عشر عمّانوئيليان (١٨٩٩ ـ ١٩٠٤) وعهد بطرس الثاني عشر صباغيان (١٩٠٤ ـ ١٩١٠). وأظهر البطريرك بطرس الثالث عشر ترزيان (١٩١٠ ـ ١٩٣١) تعلّقًا شديدًا بالسدّة الرسوليّة، وعقد عام ١٩١١ في روما مجمعًا مع أساقفته، لا تزال قراراته تسيّر شؤون الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة. وإذ ثارت المعارضة ضدّه، عزلته الحكومة التركيّة، فالتجأ إلى روما حيث توفّي سنة ١٩٣١. ودبّر شؤون الكنيسة قائمقام بطريركيّ في ظلّ تجدّد مطالب العلمانيّين في اسطنبول سنة ١٩٢٧، فنُقل مقرّ البطريركيّة من جديد إلى دير بزمّار عام ١٩٢٨. وعُني البطريرك بطرس الرابع عشر أربياريان (١٩٣١ ـ ١٩٣٧) بتنظيم شؤون كنيسته، بعد أن هاجر معظم أبنائها من أرمينية إلى سورية ولبنان، وبعد الحرب العالميّة الأولى، وإثر انسحاب الفرنسيّين من قيليقية سنة ١٩٢١[1].

خلف بطرس الرابع عشر البطريرك بطرس الخامس عشر أغاجانيان سنة ١٩٣٧. ورقّاه البابا بيوس الثاني عشر سنة ١٩٤٦ إلى الرتبة الكرديناليّة. وفي سنة ١٩٦٠ أصبح رئيسًا لمجمع انتشار الإيمان، واستقال من وظيفته البطريركيّة في آب (أغسطس) ١٩٦٢. وخلفه البطريرك بطرس السادس عشر بطانيان في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢، وكان قبلاً أسقفًا على حلب، وحضر المجمع الفاتيكانيّ الثاني بصفته بطريركا، وساس شؤون كنيسته بحكمة. ولمّا بلغ سنّ الخامسة والسبعين، قدّم استقالته لقداسة البابا بولس السادس الذي أعلن قبولها عام ١٩٧٦. وخلفه البطريرك هاياك بطرس السابع عشر كديكان (١٩٧٦ ـ ١٩٨٢)، وكان متقدّمًا في السنّ، فاستقال في

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤.

أيّار (مايو) ١٩٨٢، فانتُخب خلفًا له البطريرك يوحنّا بطرس الثامن عشر كسباريان في ٥ آب (أغسطس) ١٩٨٢[١]. وقد بدأت مع هذا البطريرك مرحلة جديدة في تنظيم الكنيسة، فتوالى تأسيس الرعايا في زحلة ١٩٢٣، والأشرفيّة ببيروت ١٩٢٨، ومار الياس ببيروت ١٩٢٩، والزلقا وجلّ الديب وإنطلياس في ساحل المتن ١٩٨١. أمّا القطاع التربويّ فتقاسمت جهوده كلّ من البطريركيّة ومعهد بزمّار والآباء المخيتارين وراهبات الحبل بلا دنس.

أبرشيَّة الأرمَن الكاثوليك في بلاَد مَا بَين النهرَين

كانت ماردين ولا تزال من أوّل الكراسي المطرانيّة اعتبارًا للسيّد "ملكون طاباز" الماردينيّ المذكور في الخير، ونظرًا إلى كثرة عدد الأرمن الكاثوليك فيها. وقد تعاقب على كرسي أسقفيّتها: السيّد ملكون طاباز الذي اصطفاه المرسل الأب "يوحنّا سان منس" سنة ١٦٤١ وأوفده إلى عاصمة الكثلكة فدرس العلوم في مدرسة البروباغندا ورُسم كاهنًا وعاد إلى وطنه وجعل يشتغل في كرم الربّ دون مال حتّى استدعاه البطريرك بطرس بيسك الحلبيّ الكاثوليكيّ ونصّبه مطرانًا على ماردين سنة ١٧٠٨ فعاد إلى أبرشيّته وراح ينصح الأرمن ليحنوا هامتهم لخليفة بطرس زعيم الرسل. فكُلّلت مساعيه بالنجاح والتوفيق حتّى اعتنق عموم الأرمن في ماردين الإيمان الكاثوليكيّ. وبعد أن قضى ستّة أعوام في خدمة الرعيّة الجديدة ظهر عليه خصوم الكثلثة وأذاقوه الأمرّين، ثمّ استحصلوا الأمر بنفيه إلى القسطنطينيّة فزُجّ في السجن وأوثق بالسلاسل حتّى قضى شهيدًا سنة ١٧١٦[٢]؛ خلفه المطران "مرطير مركار

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

٢ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٢٥.

الآمديّ" الذي اعتنق الإيمان الكاثوليكيّ سنة ١٦٨٥ وأيّده الحبر الرومانيّ مطرانًا لماردين في ٢ آب (أغسطس) ١٧٢٢ وتوفّي سنة ١٧٢٧ ودُفن في كنيسة مار جرجس في ماردين؛ فقام بعده شقيقه المطران "ملكون مركار" سنة ١٧٣٨ وتوفّي في سلخ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٧٦٧؛ فخلفه المطران "أوهانّس طازباز" الذي أقامه الكرسيّ الرسوليّ مطرانًا لماردين في نيسان (إبريل) ١٧٦٨، وقضى سنة في ماردين ثمّ توجّه إلى روما حيث توفّي في ٣ نيسان (إبريل) ١٧٧٣؛ خلفه المطران يوسف بليط، فتولّى في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٧٢، وتوفّي في آب (أغسطس) ١٧٧٣؛ خلفه المطران "بطرس يفيزلر" تلميذ البروباغندا الذي رقّاه البطريرك ميخائيل الثالث في دير بزمّار مطرانًا لماردين وتوفّي في ١١ تمّوز (يوليو) ١٧٨٧؛ خلفه المطران "يوياكيم طازباز"، في أيلول (سبتمبر) ١٧٨٩، وتوفّي في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر)؛ خلفه المطران "إبراهيم قنديلي" الذي رسمه سالفه مطرانًا وجعله معاونًا له في تدبير الأبرشيّة وتولّى مكانه بعد موته، توفّي في ٢٨ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٣٨؛ خلفه المطران "يوسف فرّا الحلبيّ"، في ١٥ تمّوز (يوليو) ١٨٣٨ غير أنّه استعفى ولزم وطنه حتّى وفاته في ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٥٤؛ خلفه المطران "جبرائيل شاشاتي" الحلبيّ الذي رقّاه البطريرك غريغوريوس الثامن إلى المطرانيّة في ١٣ أيّار (مايو) ١٨٥٥، توفّي في غرّة سنة ١٨٦٣؛ خلفه المطران "ملكون نزر نزريان" الذي رسمه البطريرك غريغوريوس الثامن وخدم الأبرشيّة ستًّا وثلاثين سنة، فبذل المساعي في بناء كنيسة مار يوسف بماردين وكرّسها في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٤، توفّي في ١١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٠٠، له منشور طُبع في ٢ نيسان (إبريل)؛ على أنّ خصوم الأرمن الكاثوليك شخصوا إلى ماردين سنة ١٨٧٤ ودخلوا إلى الهيكل وطردوا المطران والقسّين من كنيستهم وجعلوا وجهاء الملّة تحت المراقبة، فساروا إلى كنيسة

السريان الكاثوليك وحلّوا فيها ضيوفًا. وكانوا يقضون فيها الحفلات والطقوس البيعيّة بالمناوبة. حتّى أنّ المطران ملكون كتب في خطبته في غرّة سنة ١٨٧٥ ما نصّه: "إنّي أنتهز الفرصة لأبدي لكم يا أبناء الطائفة السريانيّة المكرَّمين ولكهنتكم الغيورين ورئيسكم الجزيل الإكرام شعائر الحبّ والامتنان لِما أبديتم نحونا نحن المضطهَدين من خالص الحبّ عربونًا لتقواكم إذ تذكّرتم قول يسوع: كلّما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه[1]. كنت غريبًا فآويتموني. نعم نحن غرباء السيّد المسيح. غرباء حبًّا بإيماننا واتّحادنا غير المنفصم مع الكرسيّ الرسوليّ البطرسيّ[2]".

وجاء في المدوّنات أنّ خصوم الكثلكة لم يكتفوا بذلك، بل رفعوا الدعوى إلى المحكمة المدنيّة وطلبوا أن يُنفى المطران وكهنته... غير أنّ كاثوليك ماردين غدوا وقت الاضطّهاد كنبراس أنار بلاد أرمينية جمعاء. وكما أنّهم كانوا الأوّلين في الكثلكة غدوا الأوّلين أيضًا في المدافعة عن حوزة الإيمان الكاثوليكيّ بقولهم ومثلهم وعملهم فاستحقّوا الثناء الطيّب والذكر الجميل على تتالي الأيّام. وظلّ الأرمن في كنيسة السريان الكاثوليك حتّى ٧ شباط (فبراير) ١٨٧٦ فرجعوا إلى كنيستهم ورجعت إليهم حقوقهم المهضومة؛ وقام بعد "ملكون نزريان" برعاية أبرشيّة ماردين المطران "هوسيك كوليان" تلميذ دير بزمّار، رُسم مطرانًا في ٦ تمّوز (يوليو) ١٩٠٢. من مآثره أنّ أهالي تلّ أرمن لمّا جار عليهم الزمان سنة ١٩٠٣ ووقعوا في الفاقّة وتفرّقوا في القرى المجاورة، طلبًا للقوت، سار إليهم بنفسه وأرسل في استدعائهم إلى قريتهم وبذل لهم مبلغًا وافرًا من المال حتّى اصطلحت أحوالهم وزالت ضيقتهم. ولحقه ضيم كبير عام ١٩٠٧ لمّا استولت الحكومة على الأوقاف المكتوبة باسم سالفه ملكون نزريان،

---

١ ـ متّى ٢٥: ٤٠.

٢ ـ أرملة، القصاري، مرجع سابق، ص٦٢ ـ ٢٧.

وجعلت تبيعها وتتصرّف بها. فهبّ لتأييد الحقوق المهضومة ووجد لسالفه المتوفّى وارثًا شرعيًّا. فاستحصل إعلامًا ناطقًا بأنّ تلك الأملاك تخصّ فقراء الأرمن وأنّ راعي الأبرشيّة هو المتولّى عليها. وأسعفه في نيل مرغوبه "جرجس أفندي مناشي أحمردقنه السريانيّ" المحامي البمارديني. وإلى هذين السيّد الجليل و"الورتبيد إسهاك حولوزيان" يرجع الفضل في مشترى بيت الدولباني بأربعمائة ليرة وضمّه إلى كنيسة مار يوسف سنة ١٩٠٤، وكان خصوم الكثلكة متحفّزين للاستيلاء عليه. وعام ١٩١٠ عرض استعفاءه على البطريرك "بوغوص ترزيان" الثالث عشر فرفضه. لكنّ السيّد هوسيك عاد إلى دير بزمّار وكتب إلى الأب الأقدس في تمّوز (يوليو) ١٩١٠ يلحّ عليه أن يقبل استقالته من الكرسيّ نظرًا لشيخوخته وتأهبًّا للسفر الطويل إلى الأبديّة. فأجاب الحبر الرومانيّ إلى طلبه. وما برح مقيمًا بالدير يشتغل في ترجمة الكتب الدينيّة إلى اللغة الأرمنيّة. وقد صنّف كتابًا جليلاً في أخبار مطارنة ماردين سلفائه الطيّبي الذكر. وأسعف الدير والأبرشيّة بمبالغ وافرة خلّدت له الذكر الجميل على توالي الأعصار[١].

خلف هوسيك كوليان على كرسي ماردين المطران "أغناطيوس مالويان الماردينيّ" تلميذ دير بزمّار وكاتب سر البطريرك "بولس صبّاغيان"، رُسم مطرانًا في عاصمة الكثلكة في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١١ وعاد إلى أبرشيّته يرعاها بالحزم والغيرة. كان متضلّعًا بالمعارف الدينيّة والعلوم الأدبيّة، خبيرًا بالأرمنيّة والفرنسيّة والعربيّة والتركيّة والإنكليزيّة، ملمًّا باللغات الشرقيّة كالعبرانيّة والسريانيّة، موصوفًا ببلاغة المنطق يلقي الخطب الإرتجاليّة النفيسة مستقيًا المناهل الطيّبة من الكتاب المقدّس ومن مؤلّفات آباء الكنيسة المشهورين[٢].

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٢٨ ـ ٢٩.

٢ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٢٩ ـ ٣٠.

تشمل أبرشيّة ماردين الأرمنيّة الموصل ودير الزور وبغداد والبصرة، ولها بماردين كنيستان، الواحدة قديمة على اسم مار جرجس الشهيد، يرتقي عهدها إلى القرن الخامس؛ والثانية كُرّست سنة ١٨٩٤ على اسم مار يوسف. وفي غربي ماردين قرية تلّ أرمن عمّرها المسيحيّون على أنقاض "دُنيسر" أو "قوجحصار" القديمة، كان أهلها كلّها أرمن ولهم كنيسة على اسم مار جرجس. وللأرمن دير على اسم بربارة الشهيدة في شمالي ماردين، وهو من آثار السيّد ملكون طازباز الطيّب الذكر، يقصده الزوّار كلّ سنة في الأحد الأول من شهر أيّار (مايو). ولهم كذلك دير على اسم مار يوحنّا المعمدان في قرية الموسكيّة غربيّ ماردين، تعهّده السيّد اغناطيوس المذكور، وعُثر فيه على بعض الحجارة القديمة والآثار الحريّة بالذكر. ولهم كذلك كنيسة في "دارا" وجماعة معدودة عُرفت منذ عام ١٨٥٦ كان لها كاهن يدبّر شؤونها الروحيّة. وكان لهم أيضًا كنيسة على اسم مار يوحنّا في "ويران شهر"، وجماعة معتبرة وورتبيت يسوس نفوسهم. وكان لهم في "ديركه" كنيسة وجماعة وكاهن يرعاهم. وأغلب هذه الرسالات لم تُنقل كلّها فتضعضعت مع الأيّام ولم يبقَ فيها سوى أنفار قلائل[١].

وقد كان عدد الأرمن الكاثوليك في ماردين وضواحيها، قبل النكبة الهائلة، زهاء خمسة عشر ألفًا، وكانوا بأجمعهم كاثوليك لا يعرفون التكلّم بالأرمنيّة. وكان المسلمون يحبّونهم ويعزّونهم ويتردّدون إليهم ويبيعون ويشترون معهم. ولا ندري كيف تبدّلت الأحوال ولم يبق منهم في البلد عند شبوب النيران سوى بعض عيال لا تتجاوز عدد الأنامل. ومن أشهر العيال الأرمن بماردين وأكبرها عائلات "بوغوص" و"كسبو"

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٣٠.

و"طازباز" و"كجو" و"مالو" و"جنانجي" و"آدم" و"ترزيباشي" و"كنديز" و"تسمه" و"قره زوان" و"عين ملك" و"بطاني" و"شامي" و"جاندري" و"تازا" و"مناظر" و"شدّ" و"خوجا يونان" و"قبلو" و"حنجو" و"مرشو" و"جرّو" و"ترزي" و"أحمراني"... ومنها ما يبلغ عدد أفرادها مائتَي نسمة ونيّف. فهؤلاء بأجمعهم قد سيقوا خارج وطنهم وأُودي بحياتهم من دون سبب، ولم ينجُ منهم إلاّ مَن انهزم أو اختفى. وقد كتب البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالته المسطّرة سنة ١٨٥٤ قال: "إنّ طائفة الأرمن لا يُحصى عددها ولا يُستقصى حدّها مشهورة بالقدم والإسم مستحقّة بليغ الثناء لحبّها للديانة المسيحيّة وثباتها فيها دون سائر طوائف الشرق"[١].

الرَّاهب مخيتار
والرهبانيّة المخيتاريّة

في أواسط القرن السابع عشر ظهر في المنطقة الغربيّة من أرمينية راهب مندفع اسمه "مخيتار" (١٦٧٦ ـ ١٧٤٩) من مواليد سيواس[٢]. وكان يبحث عن حياة رهبانيّة عميقة في الأديرة الأرمنيّة فلم يجدها، فلجأ إلى الرهبان الكاثوليك ليتتلمذ على أيديهم وينهل من معين الحياة الرهبانيّة، واعتنق الكثلكة رسميًّا في حلب بمناسبة إحدى رحلاته إليها. ثمّ عاد إلى بلاده ساعيًا وراء إصلاح الحياة الرهبانيّة وتنشيط الحياة الدينيّة داخل الكنيسة الأرمنيّة الوطنيّة. وأخذ يسعى لاتّحاد الأرمن بكنيسة روما. وسافر إلى القسطنطينيّة ليؤسّس فيها مدرسة للأرمن. فلمّا اشتدّ الاضطهاد فيها على الكاثوليك، ترك القسطنطينيّة ولجأ إلى مقاطعة "مورا" في بلاد اليونان، وكانت في

---

١ ـ أرملة، القصارى، مرجع سابق، ص٣٠ ـ ٣١.

٢ ـ سيواس أو سبطيّة SIVAS : مدينة في أواسط تركيا الأسيويّة.

حوزة جمهوريّة البندقيّة آنذاك. وهناك انضمّ إليه بعض تلاميذه، فأسّس معهم جمعيّة رهبانيّة عُرفت باسم "جمعيّة الرهبان المخيتاريّين"[1]. وذكرت مدوّنات أنّ مخيتار أنشأ في اسطنبول جماعة صغيرة من الرهبان المثقّفين، ثمّ أرسلهم لتعليم الناس الإيمان الحقّ، وانكبّ هو شخصيًّا على تثقيف الرهبان والكهنة المتزوّجين. وكان هؤلاء الرهبان يجوبون المدن والقرى مبشّرين بالمسيح وبتعاليم آباء الكنيسة، ويحظون باحترام المؤمنين المتعطّشين إلى كلمة الربّ. لكنّ البطريرك لم يفهم مأرب مخيتار الصادق فاتّهمه بالتبشير بالكثلكة، فحاربه ومنعه من التعليم وحصل على قرار من الباب العالي للقبض عليه[2]. ولمّا استولى الأتراك سنة ١٧١٥ على مقاطعة المورا اليونانيّة، هرب مخيتار مع تلاميذه إلى مدينة البندقيّة في إيطالية، حيث استقبله أمراؤها، ووهبوه ديرًا مهجورًا على جزيرة "القدّيس عازار" على شاطئ البندقيّة. حيث لا يزالون حتّى اليوم. وأنشأ مخيتار الرهبانيّة بعد الحصول على موافقة البابا وبركته سنة ١٧١٢، واستمدّ قوانين رهبانيّته من قوانين القدّيسَين بندكتس وباسيليوس[3].

وكان للآباء المخيتاريّين الدور الكبير في الحفاظ على التراث الأرمنيّ الروحيّ والزمنيّ، فأسّسوا مطبعة أرمنيّة، وجمعوا المخطوطات، ونقلوا أمّهات الكتب الروحيّة إلى الأرمنيّة، وانكبّوا على الدراسات الدينيّة واللغويّة والعلميّة والأدبيّة. ولمّا أُنشئت البطريركيّة الأرمنيّة الكاثوليكيّة في العام ١٧٤٢، انضمّت الرهبانيّة المخيتاريّة إليها.

---

١ ـ يتيم المطران ميشيل والإرشمندريت أغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة وأهمّ أحداث الكنيسة الغربيّة، منشورات المكتبة البولسيّة، ط٤ (بيروت، ١٩٩٩) ص ٣٣١.

٢ ـ موسوعة الأديان في العالم، الكنائس الشرقيّة ٢، مرجع سابق، ص ٥٧.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣١؛ موسوعة الأديان في العالم، الكنائس الشرقيّة ٢، مرجع سابق، ص ٥٧.

ولكن بالرغم من الاعتراف بالإيمان الكاثوليكيّ فإنّ الآباء المخيتاريّين تحاشوا كلّ تأثير لاتينيّ وحافظوا على نقاء الطقوس الأرمنيّة والتقاليد الدينيّة.

وإذ ظهر في العام ١٧٧٣ تيّار جديد متشدّد داخل الرهبانيّة، انشطرت إلى قسمَين، فأنشأت مجموعة من الرهبان ديرًا جديدًا في مدينة تريستي الإيطاليّة، ثمّ انتقلوا سنة ١٨١١ إلى مدينة فيينّا عاصمة النمسا، حيث أصبح ديرهم مركزًا للإشعاع الروحيّ والعلميّ. وأصبح المخيتاريّون بالتالي جمعيّتَين مستقلّتَين، تُدعى الواحدة "جمعيّة البندقيّة"، وتُسمّى الأخرى "جمعيّة فيينّا"[1].

نزوح الأرمَن الكَاثوليك إلى لبنان

كان الشعب الأرمنيّ الكاثوليكيّ قد تعرّض للاضطهاد منذ سنة ١٧٠٧ في مختلف أماكن وجوده. وقد نزح بعضهم إلى لبنان في القرن التاسع عشر على ثلاث هجرات متعاقبة، فاستوطنوه. وبعد حقبة قصيرة من الهدوء في بلدان الشرق جئنا على ذكرها سابقًا، عاد هذا الشعب ليتعرّض للاضطهاد بكلّ عنف. وعندما حصلت الإبادة الجماعيّة للأرمن في القسطنطينيّة، عادت فلولهم بشكل مأساويّ إلى بيروت حيث استقبلهم النائب البطريركيّ بالإمكانيّات التي كانت بحوزته. وكانت السنوات الممتدّة بين ١٩٢١ و١٩٣١ كناية عن مرحلة انتقاليّة للتخطيط وحلّ المشكلات الاجتماعيّة

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٣١؛ تجدر الإشارة إلى أنّه لمّا حصل الأرمن الكاثوليك على الاعتراف الرسميّ من قِبَل الدولة العثمانيّة في العام ١٨٣٠، عاد الرهبان المخيتاريّون إلى اسطنبول وقرى قيليقية ومنطقة القوقاز فأنشأوا المدارس والكنائس واهتمّوا بتنشئة الشبيبة.

والتربويّة والرعويّة الأرمنيّة، خاصّة تلك التي نجمت عن المجزرة التي حصلت في القسطنطينيّة وكانت نتيجتها مقتل ٨ مطارنة و١١١ كاهنًا و٧٥,٠٠٠ مؤمن، وتدمير ١٧ كنيسة و٩٨ مقرًّا للمرسلين و١٣٧ مدرسة و٢١ ديرًا و٦ معاهد إكليريكيّة[١]. وكان البطريرك بولس طرزيان أوّل البطاركة الذين عادوا من القسطنطينيّة إلى بيروت سنة ١٩٢٨ قبل سنتَين من تقديم استقالته.

الأوضاع الحاليّة
في البطريركيّة الأرمنيّة الكاثوليكيّة

إزدهرت الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة ازدهارًا كبيرًا بفضل تنظيمها وثقافة كهنتها العالية وانضباطهم في رسالتهم. فاهتمّ كهنة الأبرشيّات، إلى جانب جمعيّة دير بزمّار البطريركيّة، بالأمور الراعويّة. أمّا الأمور التربويّة والثقافيّة فكانت تقع على عاتق الآباء المخيتاريّين بفرعَي: البندقيّة وفيينّا، وعلى عاتق راهبات الحبل بلا دنس اللواتي أنشأهنّ البطريرك حسّون في العام ١٨٤٧ كما سبق الذكر.

وللكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة في الشرق الأوسط، إضافة إلى الأبرشيّة البطريركيّة، أبرشيّات: حلب، وبغداد، واسطنبول، وأصفهان، والقامشلي، والقاهرة، ونيابة بطريركيّة في دمشق وفي القدس، ورهبانيّة المخيتاريّين، وراهبات الحبل بلا دنس. ولهم في فرنسا منذ سنة ١٩٦٠ أسقف تحت سلطته زهاء عشرة آلاف أرمنيّ، كما لهم نيابة رسوليّة في أثينا، وأبرشيّة في الأرجنتين، ونيابتان رسوليّتان في كلّ من بلدان أميركا اللاتينيّة ما عدا الأرجنتين، وفي الولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا. وعدد

---

١ ـ موسوعة الأديان في العالم، الكنائس الشرقيّة ٢، مرجع سابق، ص٦١.

أبناء الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّـة فـي البـلاد العربيّـة والمهجـر يربـو علـى ٢٠٠ ألـف نسمة[١]. وقد ذكرت دراسات أنّ عدد الأرمن الكاثوليك، المقيمين فـي البلـدان العربيّـة، يبلغ اليوم نحو خمسين ألف نسمة، أكثرهم في سورية ولبنان[٢].

***

بالرغم من الأحداث السياسيّة والدينيّـة التـي هزّت كيـان المسـيحيّين فـي الشـرق، وغيّرت مجرى تاريخ كنائسهم، فإنّ الأرمن ظلّوا محـافظين، منـذ بدايـة القـرن الرابـع حتّـى اليوم، علـى قوميّتهـم ولغتهـم ومعتقدهـم وتقـاليدهم، وهـم شـديدو الالتفـاف حـول كنيسـتهم، يشـدّهم تضـامن فريـد فـي مـا بينهم، وتمسّـك بوطنهـم الأمّ أرمينيـة. هـذه الخصوصيّات مكّنت الكنيسة الأرمنيّة من أن تقوم، عبر التاريخ، بدور يتخطّى الحـدود الطقسيّة والرعويّة والروحيّة، إلى المجالات الحياتيّة والاجتماعيّة والمرجعيّـة الشـاملة. وهي تشكّل الجامع لشمل الأمّة الأرمنيّة حيثما وُجـد أبناؤهـا، والمفـاعل المحـافظ علـى الكيان والهويّة والثقافة، من دون تعصّب أو انعزال، إنْ في الوطن الأصليّ أرمينية، أو في عالم الانتشار. فالأرمن، أينما وُجدوا، وبالرغم مـن خلافـاتهم المذهبيّـة والسياسيّة، يحافظون على أواصر وحدة لافتة ولحمة قويّة تجمع في ما بينهم، من حيـث الحضـارة القوميّة والتاريخ المشترك والإيمان المسيحيّ، خالية من العنصريّـة البغيضـة كمـا هـي الحال عند بعض الشعوب. ولعلّ الاضطهادات المتتالية التي تعرّض لهـا الأرمـن عبـر

---

١ ـ المطران يتيم والإرشمندريت ديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٢٥.

٢ ـ سعد الدين د. إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٩٨٨)؛ السمّاك محمّد، الأقليّات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص٢٤.

تاريخهم المديد، قد أفرزت في نفوسهم نزعة التضامن هذه، وزادتهم تعلّقًا بدينهم وبقوميّتهم من دون أن يتخلّوا عن التفاعل الحضاريّ مع الشعوب التي يختلطون بها. وحصيلة القول أنّ الشعب الأرمنيّ ذو مبادئ أصيلة وخصال نضاليّة تدعو للاعجاب وتفرض الاحترام.

NOBILIS

بيروت